



جامعة الإسكنـدريـــة
كليــة الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلاميـة

الدولة الفاطمية والمذهب الشيعي وزواله من مصر في العصر الأيوبي

دكتور
أحمد إبراهيم محمد حرفوش





جامعة الإسكندريـــة
كليــة الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

الدولة الفاطمية والمذهب الشيعي وزواله من مصر في العصر الأيوبي

رسالة مقدمة من الباحث
أحمد إبراهيم محمد حرفوش

لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
(نظام الساعات المعتمدة)

إشراف

الأستاذ الدكتور
حمدي عبد المنعم محمد حسين
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور
سحر السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة الإسكندري

1443 هـ　　　　　　2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمْ وَرَضُوا عَنْه وَأَعَدَّ لَهمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الْأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

صدق الله العظيم

(سورة التوبة؛ الآية: 100)

الحمدلله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم البشرية، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم؛ إن أفضل ما يمتن الله به على عباده العلم، فالحمد لله أن وفقنا لما يحب ويرضى، وامتثالًا لقول النبى -صلي الله عليه وسلم- " من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا إنكم قد كافأتموه"[1].

لذا فإنني أتوجه بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلي الأستاذ الدكتور/ **حمدي عبد المنعم محمد حسين**، والأستاذة الدكتورة/ **سحر السيد عبد العزيز سالم**، أساتذا التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية، اللذان تفضلا بالإشراف على هذه الدراسة. من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا إنكم قد كافأتموه وعلى ما أولياني من تشجيع واهتمام، وما غمراني به من فيض علمهما، ونصحهما، وسعة صدرهما وتسامحهما، وحسن معاملتهما الكريمة وجميل صبرهما، وما بذلاه من توجيه النصيحة من أجل الوصول إلى الدقة العلمية، والصورة الجيدة للبحث، وخروجها علي النحو المرضي، فجزاهما الله عني خير الجزاء، ومتعهما بدوام الصحة والعافية، والنعم الكثيرة، ودوام الشكر عليها.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة والحكم:

الأستاذ الدكتور/ **إبراهيم عبد المنعم سلامة** رئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية، والأستاذ الدكتور/ **محمد عبد السلام عباس** أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بالمعهد العالي للسياحة بكينج مريوط ، لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة ومراجعتها وتدقيقها، وتكرمهما بإرشادي إلي مواطن الخلل والنقص.

والحمد لله في الأولى والآخرة.

الباحث.

[1]. (أبو داوود، السنن: 4445).

فهرس المحتويات

المقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد،

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لا شك أن التاريخ هو مرآة الأمم، يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، لذا كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلًا صحيحًا، بحيث يكون نبراسًا وهاديًا لهم في حاضرهم ومستقبلهم، فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، فلن تستطيع الأمم أن تتقدم في حاضرها إلا بالرجوع الى تاريخها وماضيها، فلا مستقبل لأمة تجهل تاريخها، وليس هناك أعظم من التاريخ الإسلامي، وبالتاريخ تُعرف الأحداث والوقائع، وما صاحبها من تغيرات ومجريات، وفي التاريخ أيضًا استلهام للمستقبل على ضوء السنن الربانية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحدًا من الخلق بحال، وفي دراسة التاريخ شحذ للهمم، وبعث للروح من جديد، وتنافس في الخير والصلاح والبذل والعطاء، وفي التاريخ عظات وعبر، وآيات ودلائل، قال تعالى :{**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) { الأنعام:11} .

ومما لا شك فيه أن من المعالم الحضارية لكل دولة أو أمة هي المعلم الثقافي؛ حيث إن التاريخ ما هو إلا منتجًا ثقافيًا حضاريًا للدول والأمم؛ ولقد كانت مصر تابعة لدولة الخلافة الإسلامية منذ فتح مصر على يد عمرو بن العاص، حتى دخول الفاطميين إليها، واتخاذها عاصمة لدولتهم ما يقرب من مائتي عام، حتى زوال دولتهم على يد صلاح الدين؛ ولئن كان أهل مصر مدينين بالجميل والمعروف لعمرو بن العاص وأصحابه الذين أوصلوا رسالة الإسلام إلى مصر، فإن أهل مصر مدينين أيضًا بالجميل والمعروف لصلاح الدين وأصحابه الذين عملوا على إزالة المذهب الشيعي منها؛ ولقد كان زوال المذهب الشيعي من مصر في العصر الأيوبي أثرا على الحياة الثقافية والعلمية فيها، فهو أعظم حدث في مصر بعد الفتح الإسلامي، ومن ثم كان زوال المذهب الشيعي من مصر من أهم المحطات التاريخية في تاريخ مصر، ولقد أحدث زوال المذهب الشيعي من مصر دويًا هائلًا في العالمين العربي والإسلامي ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع.

خطة البحث وتقسيماته:

لقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتم تقسيمه إلى دراسة تمهيدية، وأربعة فصول، ثم خاتمة، ثم ثبت بأهم مصادر ومراجع الدراسة، وهو على النحو التالي:

التمهيد :نشأة الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر

1- نسب الفاطميين.
2- نشأة الخلافة الفاطمية في المغرب.
3- غزو الفاطميين لمصر واتخاذها عاصمة لدولتهم.

الفصل الأول: التغييرات التي أحدثها الفاطميون في مصر:

1- موقف الفاطميين من أهل السنة .
2- سياسة الفاطميين مع أهل الذمة.

3- مظاهر الحياة الاجتماعية والاحتفالات التي أحدثوها.

4- التغييرات الثقافية في المجتمع المصري.

5- حمل المصريين على اعتناق المذهب الشيعي.

الفصل الثاني: الصراع الزنكي الصليبي في مصر وأثره في سقوط الدولة الفاطمية:

1- ضعف الخلفاء الفاطميين والصراع على الوزارة.
2- حملة أسد الدين شيركوه الأولى على مصر سنة (559هـ-1164م)
3- حملة أسد الدين شيركوه الثانية على مصر سنة (562هـ-1167م)
4- حملة أسد الدين شيركوه الثالثة على مصر سنة (564هـ-1169م)
5- وزارة صلاح الدين للخليفة الفاطمي.
6- الصعوبات التي واجهت صلاح الدين.
7- إقامة الخطبة للعباسيين، ونهاية الدولة الفاطمية.

الفصل الثالث: جهود صلاح الدين للقضاء على المذهب الشيعي:

1- قطع الخطبة الجامعة بالأزهر وإبطال تدريس الفكر الشيعي به.
2- التوسع في إنشاء المدارس السنية.
3- إلغاء الأعياد المذهبية للفاطميين ومحو رسومهم وعملاتهم.
4- إحياء قضية انتحال النسب الفاطمى للبيت النبوي.

الفصل الرابع: أثر التحول المذهبي على الحياة الثقافية والعلمية في مصر:

1- انتشار المذاهب السنية في ربوع مصر.
2- أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على الأعياد والاحتفالات الشيعية في مصر.
3- أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على القضاء.

الخاتمة ونتائج البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة في موضوع البحث:

نظرًا لأهمية هذا الموضوع من الناحية التاريخية والحضارية، كان من الأهمية بمكان، أن يأخذ حقه في الدراسات التاريخية الحديثة المتخصصة، ولقد أسهم بعض الباحثين في ذكر أحداث الدولة الفاطمية في مصر، ومحاولة نشر المذهب الشيعي بها، ثم ضعف الدولة الفاطمية وزوالها على يد صلاح الدين، وما تابع ذلك من زوال المذهب الشيعي من مصر، وإحلال المذهب السني، وأثر ذلك على الحياة الثقافية والعلمية فيها، ومن هذه الدراسات:

كتاب: "الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص "[1]

كتاب: "في التاريخ العباسي والفاطمي"[2]

كتاب: "في تاريخ الأيوبيين والمماليك"[3]

كتاب: "تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي "[4].

كتاب: "تاريخ الدولة الفاطمية "[5].

كتاب: "الدولة الفاطمية في مصر"[6]

كتاب: "تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب "[7]

كتاب: "الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية "[8]

كتاب: " دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك "[9].

كتاب: " محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية "[10]

كتاب: " تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام " [11].

كتاب: " الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي "[12].

رسالة دكتوراه في: " المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي، ودورها في نشر المذهب

---

[1]. د. حسن إبراهيم حسن: المطابع الأميرية بالقاهرة، (1350هـ-1932 م).
[2]. د. أحمد مختار العبادي: دار النهضة العربية للطلاعة والنشر-بيروت، (1415هـ-1995م).
[3]. د. أحمد مختار العبادي: دار النهضة العربية للطلاعة والنشر-بيروت، (1415هـ-1995 م).
[4]. د. السيد عبد العزيز سالم، د. سحر السيد عبد العزيز سالم: مؤسسة شباب الجامعة، ط (1425هـ-2004م).
[5]. د. محمد جمال الدين سرور: دار الفكر العـربي.
[6]. د. أيمن فؤاد السيد: الدار المصرية اللبنانية، (1412هـ-1992م).
[7]. د. أحمد فؤاد السيد: مكتبة مدبولي، ط (1423هـ-2003 م).
[8]. د. عبد المنعم ماجد: دار الفكر العربي، ط2(1417هـ-1997م).
[9]. د. حمدي عبد المنعم محمد حسين: دار المعرفة الجامعية، (1426هـ-2005م).
[10]. د. حمدي عبد المنعم محمد حسين: دار المعرفة الجامعية، (1426هـ-2005م).
[11]. د. محمد سهيل طقوش: دار النفائس، (1428هـ-2007م).
[12]. د. عبد المنعم عبد الحميد سلطان: دار الثقافة، (1419هـ-1999م).

السني "[1].

رسالة ماجستير في: " الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي "[2]

رسالة ماجستير في: " العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام "[3].

رسالة ماجستير في: " حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي "[4].

رسالة ماجستير في: " الحياة الاجتماعية والثقافية في المغرب ومصر"[5].

المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

تقوم هذه الدراسة على المنهج التاريخي، وهو منهج علمي يقوم في الأساس على جمع المعلومات التاريخية من المصادر الأصلية، ثم النظر والاطلاع في المراجع الحديثة، وذلك للجمع بين رؤية الباحثين المعاصرين والمؤرخين القدامى، وذلك من أجل التوصل إلى النتائج العلمية السليمة، ولقد حرصت كل الحرص على وضع وجمع كل التفاصيل المتناثرة في بوتقة واحدة من أجل الوصول إلى تصور واضح للأحداث، كما اتبعت أيضًا أسلوبًا علميًا منهجيًا قائمًا على المقابلة بين المصادر وتحليليها واستنباط الأسباب والنتائج والحقائق قدر المستطاع.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

لا شك أن الحديث عن هذه الحقبة التاريخية يُعد من الصعوبة بمكان، حيث أن البحث يدرس مدة زمنية طويلة منذ بداية عصر الدولة الفاطمية وحتى نهاية عصر الدولة الأيوبية، كما أن المصادر التاريخية لم تتعرض كثيرًا للتغيرات الثقافية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع المصري؛ ومن الصعوبات أيضًا ندرة الوثائق الأصلية التي يحتاج الباحث إلى الرجوع إليها أثناء البحث، وكذلك فإن بعض المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع غلب على مؤلفيها التعصب المذهبي أحيانًا، واتباع الهوى وعدم الالتزام بالضوابط العلمية والشرعية، لذا بالغوا في ذكر بعض الأخبار التي ترجح ما يميل إليه المؤلف؛ وتظل هذه الدراسة عملًا متواضعًا في تاريخ هذه الفترة التاريخية التي تُعد من أهم الفترات التي مرت بها الأمة الإسلامية، بل يعد أهم حدث في مصر بعد الفتح الإسلامي هو زوال المذهب الشيعي من مصر؛ وقد بلغت قصارى جهدي في اختيار الصحيح من الروايات، وتنقيح ما يمكن تنقيحه قدر المستطاع، والجمع بين الروايات المتعارضة، وذلك وفق الضوابط والقواعد العلمية والله الموفق والمستعان.

---

(1) د. أيمن شاهين سلام: كلية الآداب، جامعة طنطا، (1419هـ-1999م).
(2) د. رشا خليل أحمد علي: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية (1431 هـ-2010م).
(3) د. أمجد حافظ حسين طاعة: الجامعة الإسلامية، غزة، (1433 هـ-2012م).
(4) د. محمد صالح محمد شيخ العيد: الجامعة الإسلامية، غزة، (1435 هـ-2014م).
(5) د. سامي العبيد محمد أحمد: كلية الآداب جامعة شندي، (1440 هـ-2019م).

عرض لأهم مصادر البحث:

لقد تطلب البحث في أحداث نهاية الدولة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين، وما تابع ذلك من زوال المذهب الشيعي من مصر، وإحلال المذهب السني، وأثر ذلك على الحياة الثقافية والعلمية فيها، تنوع مصادر المعلومات، من المصادر التاريخية، والمصادر الجغرافية، وكذا المصادر من كتب الأنساب وكتب الفقه والموسوعات الأدبية والدينية، ولقد حاولت في هذا البحث أن أعتمد على الكثير من المصادر المتنوعة، ومن ثم فقد تم تتبع كثيرًا من هذه الكتب المتنوعة، والاستفادة منها في موضوع البحث، وهنا يمكننا التنويه لتصنيف بعض هذه المصادر وأهميتها .

أولًا-المصادر التاريخية:

هي مؤلفات تتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام، قبل الإسلام وبعده وحتى زمن المؤلف، وهي تبدأ عادة ببدء الخلق مرورًا بقصص الأنبياء، وبعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- حتى وفاته، ثم تتناول تاريخ الخلفاء والملوك والمشاهير والأعلام، وقد استفاد الباحث من عدد من هذه المصادر ومنها:

الكامل في التاريخ[1]: لابن الأثير:

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفي سنة (630هـ-1233م) كانت أسرة ابن الأثير معروفة بحب العلم، واستقرت أسرته في مدينة الموصل، وهو أوسط الإخوة الثلاثة الذين نبغوا في ميادين العلم؛ كان ابن الأثير حافظًا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيرًا بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم؛ ولذا كان أكثر ما اشتهر به دراسة التاريخ؛ ويعتبر كتاب (الكامل في التاريخ) أهم مؤلفات ابن الأثير في هذا المجال، إذ تناول فيه دراسة التاريخ العام للعالم الإسلامي، ابتداءً بالخليقة على عادة جُلّ أهل التاريخ الإسلامي، وانتهى عند آخر سنة (628هـ-1231م)، ويعتبر (الكامل في التاريخ) من أهم الكتب في التاريخ الإسلامي. والتزم المؤلف في نهجه التوازن بين الأحداث في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وعندما اقترب من عصره حاول تفصيل الأحداث [2]، واعتمد على المتخصصين في تاريخ كل إقليم.

وقد تجلت مواهب ابن الأثير في طريقة عرضه للحقائق، إذ حذف التفاصيل التي لا تدعو الحاجة إليها، وأمعن في فحص المصادر، واختار من النصوص ما يناسب الحقائق، وألّف في كل ذلك خلاصة لكل ما وقع من الأحداث في السنة، ويعتبر كتابه هو أحسن ما صنف من كتب التاريخ الإسلامي على نسق

---

(1). ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفي سنة (630هـ-1233م).، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (1417هـ-1997م).، عدد الأجزاء: 10.

(2). السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، ط (1434هـ-2013م)، ص103.

الحوليات[1]، ومن مميزاته: التمهيد للخبر بمقدمة مختصرة تذكر القارئ بما كان قد رواه من قبل؛ وذلك من أجل الربط بين أجزاء الخبر، فهو يلخص الخبر أولًا ثم يذكره مفصلًا، وقد خلا الكتاب من الأسانيد التي تطول أحيانًا مراعاة لقارئ الكتاب، وقد أفاد الكتاب خلال دراستي وبحثي في معظم فصول الرسالة[2].

عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية:

للمؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي الشافعي، ولد بدمشق سنة (599هـ - 1203م) وعُرف بأبي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر[3] وقد جاء كتاب" الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية " على طريقة الحوليات، معتمدًا في ذلك على معلوماته لمعاصرته للأحداث التي كتبها، كما اعتمد مصنفات المؤرخين الذين عاشوا الأحداث التي سبقت مولده، مثل ابن القلانسي، وابن الأثير.

ويعد كتابه من أهم الكتب التي تناولت العصر الأيوبي، وذلك لمعاصرته للأحداث التي كتبها، وقد بدأ كتابه بأحداث سنة (548هـ - 1153م) وانتهى بأحداث سنة (589هـ - 1193م) وهي سنة وفاة صلاح الدين الأيوبي[4]، وكانت وفاته سنة (665هـ - 1266م)، وقد تناول الكتاب سيرة الملك نور الدين محمود، والسلطان صلاح الدين، والأحداث التي جرت في عهدهما، مثل: الصراع مع الصليبيين في الشام ومصر، وزوال الخلافة الفاطمية، وجمع مصر والشام تحت قيادة واحدة، وقد أفاد الكتاب خلال دراستي وبحثي في الفصلين الثاني والثالث، وخاصة الصراع الزنكي الصليبي على مصر ، وزوال الدولة الفاطمية من الحياة السياسية.

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب:

للمؤرخ جمال الدين بن محمد بن سالم أبو عبد الله المازني التميمي الشافعي المعروف بابن واصل، ولد في مدينة حماة[5] سنة (604هـ -1208م)، وتلقى العلم فيها على علماء عصره، ثم رحل إلى دمشق في طلب العلم، ومنها إلى بيت المقدس، ثم إلى بغداد والقاهرة وغيرهم من المدن.

وقد أقام ابن واصل في مصر فترة طويلة، وعاصر الحملات الصليبية المتأخرة، وسقوط الدولة الأيوبية، وقيام دولة المماليك حتى وفاته سنة (697هـ -1298م) [6] ويعد كتاب" مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " من المصادر المهمة التي تناولت تاريخ الأيوبيين لكثرة ما يحويه من تفاصيل عنهم، وقد ألف ابن واصل كتابه على طريقة الحوليات، وقد أفادني الكتاب خلال دراستي وبحثي في كل فصول الدراسة

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص103.

(2) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص104.

(3) قطب الدين: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (726هـ-1326م). ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2(1413هـ-1992م). عدد الأجزاء: 4، ج2ص367.

(4) الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت1396هـ-1967مـ). الأعلام، نشر: دار العلم للملايين، بيروت-لبنان ط15(1426هـ-2005م).، ج3ص299.

(5) حماة: دينة كبيرة، كثيرة الخيرات، رخيصة الأسعار، كثيرة الأسواق، يحيط بها سور محكم، يأتيها الماء من نهر العاصي، وفي طرف المدينة قلعة عظيمة محكمة البناء، الحموي: شهاب الدين أبو عبد اللهـ ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفي سنة(626هـ-1229م). معجم البلدان، نشر: دار صادر، بيروت، ط2(1415هـ-1995م)، ج3 ص361.

(6) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مقدمة المحقق، ج1ص4؛ الزركلي: الأعلام، ج8ص223.

تقريبًا، وخاصة أحداث دخول الأيوبيين إلى مصر.

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء:

لتقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك[1] بالشام، وينسب إلى حارة المقارزة إحدى حارات بعلبك في أيامه، ولد في القاهرة سنة (766 هـ- 1365م)، ونشأ بها؛ تولى والده بعض وظائف القضاء وكتب التوقيف بدار الإنشاء، وبرع المقريزي في الأدب وغيره من العلوم، وذاع صيته في البلاغة والإنشاء، وجالس الأئمة وتأثر بهم، وولي الحسبة والخطابة مرات عدة، وتولى ديوان الإنشاء سنة (788ه- 1386م) واتصل بسلاطين المماليك في أيامه، وعرضوا عليه تولي قضاء دمشق بعد أن دخلها سنة (810ه- 1408م)، فأبى وعاد إلى مصر، ومات في القاهرة سنة (845 ه- 1441م) [2].

أما عن كتابه اتعاظ الحنفاء فيعد من أهم المصادر في التاريخ الفاطمي، إذ يتناول سيرتهم منذ نشأة دولتهم بالمغرب ومشكلة نسبهم، ثم انتقالهم إلى مصر حتى انتهاء دولتهم، ولقد استفدت من هذا الكتاب خلال دراستي وبحثي في معظم فصول الرسالة؛ وقد أفادت الدراسة أيضًا من كتب أخرى للمقريزي منها: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والمعروف ب " الخطط المقريزية "، يتناول هذا الكتاب مدينة القاهرة منذ تأسيسها، وخططها، وأوضاعها الاجتماعية والفنية والاقتصادية، ويعد الكتاب من أعظم الكتب التي تحدثت عن الخطط والأثار[3] إلى جانب الأوضاع السياسية في بعض الأحيان، وقد أفاد الكتاب خلال دراستي وبحثي في معظم فصول الرسالة، حيث أنه ملم بمعظم أحداث الفاطميين.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:

للمؤرخ أبي المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي مؤرخ بحاثة، من أهل القاهرة، مولدًا ووفاة؛ ولد سنة (813ه-1410م)، وتوفى سنة(874ه-1470م)[4]، كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق(784هـ-1382م) : (801هـ-1399م)، ومن أمراء جيشه المقدمين، ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (ت824هـ-1421م) [5]، ونشأ على يد عدد من علماء الدين في القاهرة، ثم لازم المقريزي وأخذ عنه التاريخ وشغف به؛ وهوايته هذه جعلت منه المؤرخ الكبير، وصنف كتبًا نفيسة، منها: كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة "، وكتاب " المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي "، وكتاب " مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة "، وكتاب " حوادث الدهور في مدى

---

[1]. بعلبك: مدينة قديمة بالشام، وتبعد عن دمشق غربًا 96ميلًا، وفيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، الحموي: المصدر السابق، ج 2ص300.

[2]. المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي المتوفي سنة (845هـ-1441مـ). اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: 4، ط1، ج1 ص11، الزركلي: الأعلام، ج1 ص177.

[3]. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص109.

[4]. ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الحنفي، المتوفي سنة (874هـ-1469م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر: دار الكتب، مصر، عدد الأجزاء: 16، ج1، ص3.

[5]. ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح المتوفي سنة(1089هـ-1678م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، (1406هـ-1986م). عدد الأجزاء: 11، ج1، ص76.

الأيام والشهور " [1]، وغيره من الكتب؛ أما عن كتابه " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " فهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي لها حتى سنة (872ه- 1468م)، وقد اختلف ابن تغري بردي في طريقة الحوليات، إذ جعل كل فترة من فترات الملوك والسلاطين فصلًا قائمًا بذاته، ثم ذكر السنين وحوادثها تباعًا داخل الفصل، وقد أفادني الكتاب خلال دراستي وبحثي في كل فصول الدراسة تقريبًا.

ثانيًا- المصادر الجغرافية:

والمصادر الجغرافية هي عبارة عن كتب تصف الدول والمدن جغرافيًا، وهي لم تقتصر على وصف الموقع الجغرافي فقط، ولكنها تشتمل في كثير من الأحيان على معلومات تاريخية متنوعة، ومن هذه المصادر:

معجم البلدان: [2]

لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفي سنة (626هـ-1229م) قيل إنه ولد في الأناضول، ووقع أسيرًا في بلاد الروم، وحُمل إلى بغداد مع غيره من الأسرى، فبيع فيها، فاشتراه تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، فعاش في الرق حتى سن العشرين؛ وقد بدأت رحلات ياقوت الحموي مع سيده في رحلاته التجارية، ثم توسّع بعد أن نال حريته وسافر إلى خوارزم وحلب وفلسطين ومصر، بدأ ياقوت الحموي في كتابة مذكرات عن المدن التي زارها، والتي جمعها في كتاب: معجم البلدان الذي يعد أشهر مؤلفاته وأهمها، ويتميز ياقوت الحموي عن الكثير من المؤلفين من أبناء عصره باتساع مادته وغزارتها، وبالجمع بين المادة الجغرافية والمادة التاريخية والأدبية، كما أنه أمين في النقل[3] ، فضلًا على كونه جغرافي ورحالة وأديب وشاعر وخطاط ولغوي، من أشهر جغرافي الحضارة الإسلامية،

---

(1) الزركلي: الأعلام، ج8، ص 223.

(2) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفي سنة (626هـ-1229م). معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، ط2، (1415هـ-1995م)، عدد الأجزاء: 7.

(3) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص197.

ولا يُعد هذا الكتاب معجمًا جغرافيًا فقط، وإنما هو أيضًا كتاب تاريخ وأدب، وقد استفدت كثيرًا من هذا الكتاب القيم، في شرح أسماء الأماكن، والمدن التي ورد ذكرها في الرسالة، ويعتبر كتابه " معجم البلدان " موسوعة جغرافية كبيرة، فقد جمع فيه ياقوت الحموي كل ما يتعلق بما يؤرخ له، من التاريخ والأخبار ووصف الأقاليم، ويذكر عظماء البلدة وشعراءها ورجال الدين فيها[1]؛ وقد أفادني هذا المصدر في توضيح أماكن بعض المدن والقرى التي ذكرت في متن الرسالة.

---

[1]. الزركلي: الأعلام، ج8، ص131.

تقويم البلدان:

للمؤرخ والجغرافي إسماعيل بن علي بن محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه[1] بن أيوب بن شاذي، الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماة، ولد سنة (672هـ-1273م) بدمشق، ثم رحل إلى مصر، واتصل بأمرائها المماليك، وجعلوه سلطانًا مستقلًا في حماة، وقرب العلماء وحسنت سيرته بين الناس، وقد حفظ أبو الفداء القرآن الكريم و كتبًا أخرى، وبرع في الفقه والأصول والعربية والتاريخ والأدب، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، ونظم الشعر، وصنف كتبًا عديدة في التاريخ والنحو[2]؛ أما عن كتاب تقويم البلدان فهو كتاب جغرافي شامل للكثير من القرى والبلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وقد أفادني هذا المصدر في توضيح أماكن بعض المدن والقرى التي ذكرت في متن الرسالة.

(1). شاهنشاه: كلمة فارسية تعني ملك الملوك، أو الملك الأعظم، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، نشر: مكتبة الشروق الدولية، ط4 (1429هـ-2008 م). ص501.

(2). ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1404هـ-1984م). عدد الأجزاء: 7، ج2، ص403.

ثالثًا- كتب التراجم والطبقات:

سير أعلام النبلاء [(1)]:

للمؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حافظ ومؤرخ، علامة ومحقق، برع في علوم الحديث والقراءات والتاريخ، ولد سنة (673هـ-1274م)، وفقد بصره سنة (741هـ-1340م)، وتوفي في دمشق سنة (748هـ-1347م)، وكان قد رحل إلى القاهرة، وطاف كثيرًا من البلدان، تصانيفه كثيرة تقارب المائة[(2)] ويعد كتاب سير أعلام النبلاء من أكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي بحثت في التراجم والطبقات، والتي غطت ما يزيد عن سبعة قرون من تاريخ رجال الإسلام، وذلك منذ بزوغ الدعوة الإسلامية حتى سنة (746هـ-1345م)، وقد بلغ حرص الذهبي في النقد وشدة تحريه أنه تكلم في ابنه عبد الرحمن فقال: " إنه حفظ القرآن، ثم تشاغل عنه حتى نسيه "[(3)]؛ وقد استفدت من هذا المصدر في عدة مواطن متفرقة؛ والى جانب هذا الكتاب فقد استفدت من كتب أخرى للمؤرخ نفسه وهي: كتاب " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام "[(4)] ، وكتاب " العبر في خبر من غبر"[(5)]، وكتاب " معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار "[(6)].

الوافي بالوفيات:

للمؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ولد في صفد[(7)] بفلسطين سنة (696هـ-1297م)، وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، وكان مولعًا بالأدب وتراجم الأعيان، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، وكان لذلك أعظم الأثر في سعة اطلاعه وغزارة علمه، وله زهاء مائتي مصنف، وتوفي الصفدي سنة (764هـ-1363م)[(8)]؛ ويعد كتابه " الوافي بالوفيات " والذي يقع في 29 مجلد موسوعة تاريخية عظيمة، إذ ترجم فيه صاحبه لأكثر من: 12000 شخصية من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء والقضاة والوزراء والقضاة والعمال، والقرّاء والمحدّثين، والفقهاء والمشايخ، والصلحاء والأولياء والنحاة، والأدباء والشعراء، والأطباء والحكماء، وأصحاب النِّحل والبدع والآراء، وأعيان كل فن ممّن اشتهر أو أتقن إلا وذكره [(9)] وهو مرتب على حروف المعجم حتى تسهل الاستفادة منه، وقد استفدت من هذا الكتاب في عدة مواطن متفرقة في الرسالة.

---

(1)- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المتوفي سنة (748هـ-1347م).، سير أعلام النبلاء، الناشر: دار الحديث-القاهرة، طبعة (1427هـ-2006م). عدد الأجزاء:18.

(2)- الزركلي: الأعلام، ج5 ص326.

(3)- بشار عواد معروف: مقدمة تحقيق سير أعلام النبلاء للذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، ط3، (1405هـ-م1984)..

(4)- تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط1(1424 هـ-2003م)، عدد الأجزاء: 15.

(5)- تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 4.

(6)- دار الكتب العلمية، ط1(1417هـ-1997م).

(7)- صفد: هي بلدة متوسطة بين الكبر والصغر، ولها قلعة ذات بناء جيد، وهي مشرفة على بحيرة طبرية؛ أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء، صاحب حماة (732هـ-1332م). تقويم البلدان، دار صادر بيروت، ص243.

(8)- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفي سنة (764هـ-1363م). الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث – بيروت (1420هـ-2000م). عدد الأجزاء: 29، مقدمة المحقق، ج1 ص (13: 15).

(9)- ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، ص65.

رابعًا-الموسوعات العامة:

1-النويرى:

ومن أهم الكتب التي استعنت بها: نهاية الأرب في فنون الأدب [1]، لصاحبه: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري المتوفي سنة (733هـ-1332مـ)، وكان النويري في حياته ذكي الفطرة، حسن الشكل فيه مكرمة وأريحية وود لأصحابه[2]من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا إنكم قد كافأتموه وله نظم يسير ونثر جيد، ويكفيه أن مصنف (نهاية الأرب في فنون الأدب) كبير جدًا وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره[3].

وهو من الموسوعات الأدبية الكبرى، جمع فيه النويري خلاصة التراث العربي في شقَّيه، الأدب والتاريخ، ويقع الكتاب في واحد وثلاثين مجلدة، طبع منها ثمانية عشر مجلدًا [4]، وتشتمل الموسوعة على خمسة فنون: السماء والآثار العلوية والأرض والآثار السفلية وهو قسم جغرافي فلكي عام؛ والإنسان وما يتعلق به، والحيوان والنبات، والتاريخ؛ وهذه الأقسام الأربعة تشغل عشرة مجلدات؛ أما القسم الخامس وهو التاريخ، فيشغل واحدًا وعشرين مجلدًا، وقد سرد فيه تاريخ الإنسانية بدءً من أبى البشر أدم مرورًا بالأنبياء حتى سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، ومراحل التاريخ الإسلامي المتعددة.

وقد استفدت من هذا الكتاب في عدة مواطن متفرقة أثناء البحث والدراسة .

---

(1) النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، المتوفى سنة(733هـ-1332م). نهاية الأرب في فنون الأدب، نشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1 (1423هـ-2002م)، عدد الأجزاء: 33.

(2) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص111.

(3) الزركلي: الأعلام، ج1، ص165.

(4) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص199.

عرض لأهم مراجع البحث:

الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص[1]، هذا الكتاب من تأليف: د.حسن إبراهيم حسن، أستاذ التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وقد تحدث في هذا الكتاب الحياة السياسية والدينية في مصر في العهد الفاطمي، فأحسن وأجاد فكان الكتاب ليس بالطويل الممل ولا المختصر المخل، وقد استفدت من هذا الكتاب في معظم فصول الرسالة.

تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي[2]، هذا الكتاب من تأليف: د. السيد عبد العزيز سالم، د.سحر السيد عبد العزيز سالم، أساتذا التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، وقد تحدثا في هذا الكتاب عن تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الفاطمية، فأحسنا وأجادا وقد استفدت من هذا الكتاب في حديثهما عن تاريخ مصر في العصر الفاطمي.

تاريخ الأيوبيين والمماليك[3]هذا الكتاب من تأليف: د. السيد عبد العزيز سالم، د. سحر السيد عبد العزيز سالم، أساتذة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، وقد تحدثا في هذا الكتاب عن تاريخ مصر الإسلامية منذ نهاية الدولة الفاطمية حتى نهاية عهد المماليك، وقد استفدت من هذا الكتاب في حديثه عن تاريخ مصر في العصر الأيوبي.

في تاريخ الأيوبيين والمماليك[4] هذا الكتاب من تأليف: د.أحمد مختار العبادي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، وقد تحدث في هذا الكتاب عن تاريخ الأيوبيين والمماليك، وكان سرده للأحداث سردًا ممتعًا، وقد استفدت من الكتاب في معظم فصول الرسالة.

تاريخ الدولة الفاطمية [5] هذا الكتاب من تأليف: د. محمد جمال الدين سرور أستاذ التاريخ الإسلامي كلية الآداب – جامعة القاهرة، وقد تحدث في هذا الكتاب عن الدولة الفاطمية في المغرب والعقبات التي واجهتها ثم انتقالها إلى مصر واتخاذ القاهرة عاصمة لدولتهم ثم ضعف الدولة وسقوطها؛ وقد استفدت من الكتاب في معظم فصول الرسالة.

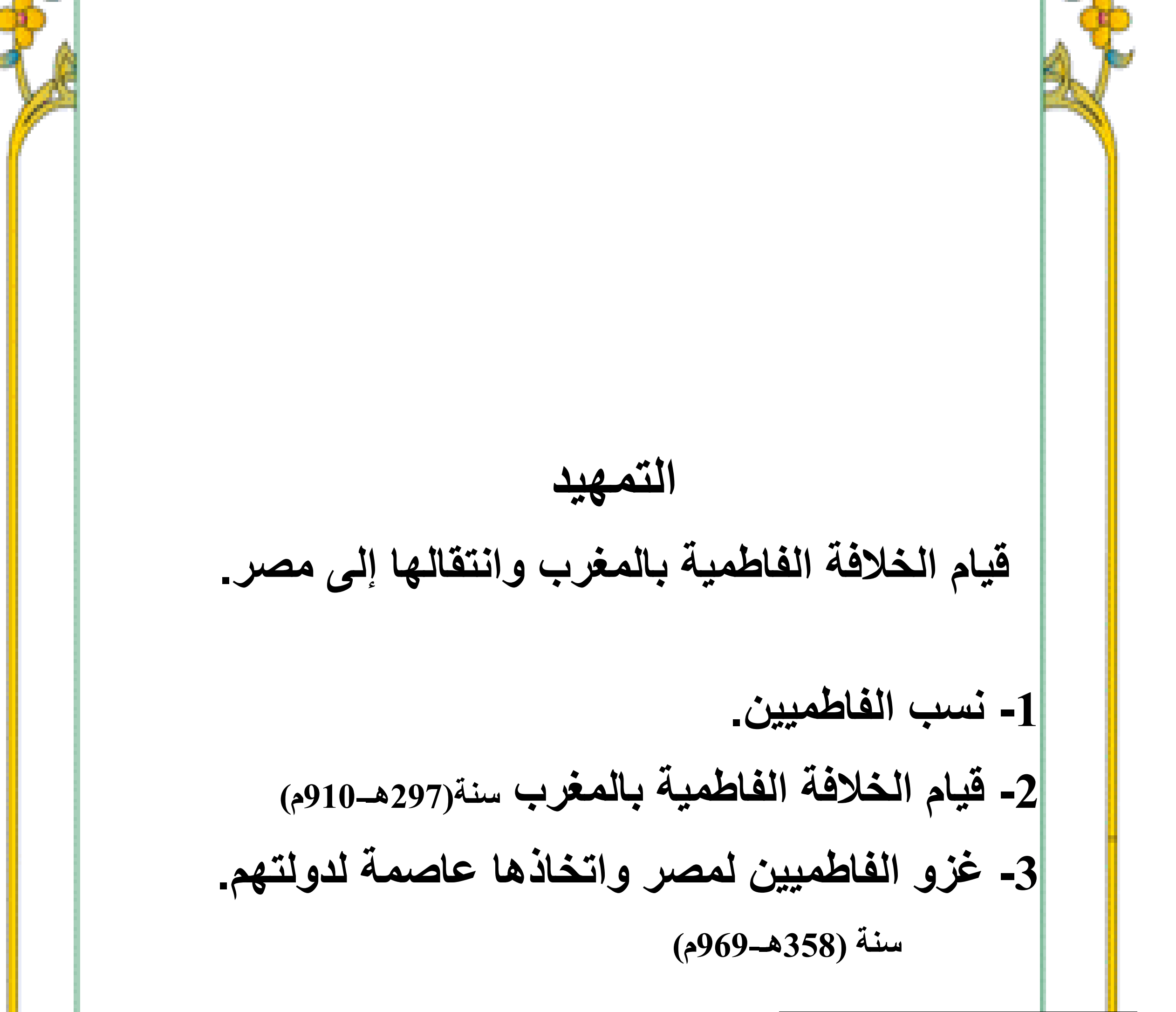
أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول[6]هذا الكتاب من تأليف: د. سلام شافعي محمود أستاذ التاريخ الإسلامي، كلية الآداب – جامعة بنها، وقد تحدث في هذا الكتاب عن أحوال أهل الذمة من اليهود والنصارى خلال العصر الفاطمي الأول؛ فكان الكتاب ليس بالطويل الممل ولا بالمحتصر المخل؛ وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الأول في الحديث عن سياسة الفاطميين مع أهل الذمة.

---

(1). حسن إبراهيم حسن: المطبعة الأميرية، ط1(1351هـ–1932م).
(2). السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز سالم: مؤسسة شباب الجامعة، ط (1423هـ–2002م).
(3). السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز سالم: مؤسسة شباب الجامعة، ط (1425هـ–2004م).
(4). أحمد مختار العبادي: دار النهضة العربية، بيروت، ط (1415هـ–1995م).
(5). د. محمد جمال الدين سرور: دار الفكر العربي.
(6). د. سلام شافعي محمود: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1416هـ–1995م).

محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية [1]هذا الكتاب من تأليف: د. حمدي عبد المنعم محمد حسين أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، وقد تحدث في هذا الكتاب عن الفتح الإسلامي لمصر حتى قيام الدولة الأيوبية، وقد استفدت من المبحث الذي تحدث فيه المؤلف عن العصر الفاطمي.

دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك[2] هذا الكتاب من تأليف: د. حمدي عبد المنعم محمد حسين أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، وقد تحدث في هذا الكتاب عن تاريخ الأيوبيين والمماليك، فقد ألم في الكتاب بمعظم الأحداث، وقد استفدت من هذا الكتاب في حديثه عن تاريخ مصر في العصر الأيوبي.



التمهيد

قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر.

1- نسب الفاطميين.

2- قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب سنة(297هـ-910م)

3- غزو الفاطميين لمصر واتخاذها عاصمة لدولتهم.

سنة (358هـ-969م)

---

[1]. د. حمدي عبد المنعم حسين: دار المعرفة الجامعية، ط (1426هـ-2005م).

[2]. د. حمدي عبد المنعم محمد حسين: دار المعرفة الجامعية، ط (1421هـ-2000م).

التمهيد

نشأة الخلافة الفاطمية بالمغرب وانتقالها إلى مصر

1- نسب الفاطميين: (297هـ-910م): (567هـ-1171م)

نَسَبَ الفاطميون أنفسهم إلى عبيد الله المهدي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1]؛ ولم يتفق المؤرخون على صحة هذا النسب، فمنهم من يدعم ذلك الرأي مستندين إلى ادعاء عبيد الله المهدي بأنه من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] وآخرون ينفون نسبهم لآل النبي صلى الله عليه وسلم، ويقولون بأنه زعم وافتراء، وأن عبيد الله المهدي اسمه سعيد، وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح [3]، وجَدُّ القداح هو ديصان أحد الثنوية[4] الذي يرجع أصله إلى المجوس، وبعضهم ينسبه إلى اليهود[5] وقد بذل عبيد الله المهدي الأموال لأشراف ونقباء العلوية لما كذبوا نسبه لإرضائهم وإسكاتهم؛ ويستدلون على نفي النسب بالحديث الذي جرى بين الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وبين ابن طباطبا[6] عندما سأله ابن طباطبا عن نسبه أمام أشراف مصر، فَسَلَّ المعزُّ سيفه وقال: هذا نسبي ونثر عليهم ذهبًا كثيرًا وقال: هذا حسبي[7].

---

(1). ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان أبو العباس البرمكي الإربلي، المتوفي سنة (681هـ-1282م). وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر بيروت، ج3 ص177؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19، ص241.

(2). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 ص357؛ ابن عذاري: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عذاري المراكشي المتوفي سنة (695هـ-1296م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، أ.ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط3(1403هـ-1983م)، ج1 ص318.

(3). ابن خلكان: المصدر السابق، ج3 ص118؛ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفي سنة (774هـ-1372م). البداية والنهاية، نشر: دار الفكر (1407هـ-1986م). عدد الأجزاء: 15 ج15، ص84.

(4). الثنوية: مذهب للمجوس يعتقدون فيه بوجود خالقين اثنين؛ أحدهما يخلق النور، والآخر يخلق الظلمة؛ المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص23.

(5). ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص358؛ المقريزي: المصدر السابق، ج1 ص37.

(6). ابن طباطبا: هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ابن خلكان: المصدر نفسه، ج3 ص81.

(7). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص82؛ ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهو، دار الباز، مكة المكرمة، ج1 ص187.

وقد كتب العزيز الفاطمي[1] إلى الخليفة الأموي الحكم المستنصر [2] في الأندلس كتابًا يسبه ويهجوه فيه فرد عليه صاحب الأندلس " أما بعد فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام " وذلك في إشارة منه إلى نفيّ نسبهم إلى علي بن أبي طالب [3] .

وفي بداية ولاية العزيز صعد المنبر يوم الجمعة فوجد ورقة مكتوب فيها شعرًا يشكك في نسبه[4] ويطلب منه أن يذكر نسبة مثل الخليفة الطائع [5].

ولما كثر ادعاؤهم لعلم الغيب؛ حدث أن صعد العزيز يومًا المنبر فرأى ورقة مكتوب فيها سبة لهم [6].

وفي سنة (402هـ-1011م) كتب محضر ببغداد في قدح النسب الذي يدَّعيه الخلفاء الفاطميين، كما أقر الحاضرون على فساد عقائدهم، وأنهم زنادقة، وأنهم منسوبون إلى ديصان ابن سعيد الخرَّمي إخوان الكافرين، وقد شهدوا أيضًا أن الناجم بمصر، وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار؛ قد وصل جدهم إلى المغرب، وتسمى بعبيد الله، وتلقّب بالمهدي، وهو مع من تقدَّمه من سلفه، أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد عليّ رضي الله عنه، ولا يعلمون أن أحدًا من الطالبيين، توقّف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء، وقد كان هذا الإنكار شائعًا بالحرمين، وأن هذا الناجم بمصر وسلفه، كفّار وفسّاق، لمذهب الثَّنويّة والمجوسية معتقدون، قد عطّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السَّلف، وادّعوا الربوبية، وقد كتب خلقٌ في المحضر، منهم: الشريف المرتضي[7]، وأخوه الشريف الرضيّ[8]، وجماعة من كبار العلوية، والقاضي أبو محمد بن الأكفاني[9]، والإمام أبو حامد

---

[1]. العزيز الفاطمي: هو أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بالله بن محمد بن عبيد الله، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5 ص371.

[2]. الخليفة الأموي: الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5 ص371.

[3]. ابن سعيد المغربي: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي المتوفي سنة(685هـ-1286م). المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، نشر: دار المعارف القاهرة، ج1ص190.

[4]. إنا سمعنا نسبًا منكرًا يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقًا فاذكر أبًا بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق مـا قلتـه فانسب لنا نفسك كالطائع
أو دع الأنساب مستـورةً وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هـاشـم يَقصُرُ عنهـا طمع الطامع
ابن خلكان: نفسه، ج5 ص373.

[5]. الطائع لله: هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع للهـ، نزل له أبوه عن الخلافة في سنة (363هـ-974م). وتوفي ليلة عيد الفطر سنة (393هـ-1003م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15ص118.

[6]. بالظلم والجـــور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيبٍ فقل لنا كاتب البطاقة، ابن خلكان: نفسه، ج5 ص273.

[7]. الشريف المرتضي: (355-436 هـ = 966-1044 م). نقيب العلوية، أبو طالب، علي بن حسين بن موسى، القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 13ص232؛ الزركلي: الأعلام، ج4ص278.

[8]. الشريف الرضي: (359-406 هـ = 970-1015 م). محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلويّ الحسيني الموسوي، أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم؛ مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وله ديوان شعر في مجلدين، وكتب منها الحَسَن من شعر الحسين، والمجازات النبويّة، ومجاز القرآن، ورسائل الصابي والشريف الرضي، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ الزركلي: المصدر السابق، ج6ص99.

[9]. القاضي أبو محمد بن الأكفاني: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن جعفر بن عامر أبو محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني (310-405 هـ = 922-1014 م). تولى قضاء مدينة المنصور، ثم تولي قضاء باب الطاق، وضم إليه سوق الثلاثاء ثم جمع له قضاء جميع بغداد في سنة (396هـ-1006م). قال أبو إسحاق الطبري: من قال إن أحدًا أنفق على أهل العلم مائة ألف دينار غير أبي محمد بن الأكفاني فقد كذب، الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي المتوفي سنة (463هـ-1070م). تاريخ بغداد، تحقيق: بشارعواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1(1422هـ-2002م).
عدد الأجزاء: 16، ج11ص370.

الإسفراييني[1]، والإمام أبو الحسين[2]، وابن الأزرق الموسوي، ومحمد بن محمد بن عمر بن أبي يعلى العلويون، والقاضي أبو القاسم الجزري، والفقيه أبو محمد الكشفلي، والفقيه أبو علي بن حمكان، وأبو القاسم بن المحسن التنوخي، والقاضي أبو عبد الله الصيمري[3].

وفي سنة (444هـ-1052م) كرر القدح في نسب بني عبيد، الخارجين بالمغرب ومصر، وأن أصلهم من اليهود، وأنهم كاذبون في انتسابهم إلى جعفر بن محمد الصادق رحمه الله، فكتب فيه خلق كثير، وعزوهم فيه إلى الديصانية منسوبون إلى: ديصان بن سعيد الخرمي من المجوس، والقداحية من اليهود، وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود، وعمل به عدة نسخ، وسُير في البلاد، وشُيع بين الحاضر والبادي. [4]

وعلى كل حال سواءً صحَّ انتساب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما أو كان ادعاءً، فإنه كان الأساس التي اعتمد عليه الفاطميون في إقامة دولتهم في المغرب، ثم في مصر، وبلاد الشام فيما بعد.

وقد ظل النسب الفاطمي غير معترف به، سواءً على المستوى الرسمي ممثلًا في الخلافتين الأموية في الأندلس، والعباسية في بغداد، وعلى المستوى الشعبي في عدم تقبل المصريين لمذهبهم منذ استيلائهم على مصر، وأيضًا نجد أن أعيان العلويين في بغداد قد طعنوا في هذا النسب.

وقد استمد الفاطميون لقبهم من اسم فاطمة الزهراء، وأُطلِق عليهم اسم العبيديين نسبةً إلى جدهم عُبيد الله المهدي[5]، كما أطلق عليهم العلويون نسبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[6]. والإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق [7]، كما عرفوا بالمصريين نسبة إلى مصر، باعتبارها مقر ملكهم الأخير قبل زوال دولتهم[8] .

---

[1] أبو حامد الإسفراييني: أحمد ابن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني(344-406هـ). شيخ الإسلام، أبو حامد، شيخ الشافعية ببغداد، قدم بغداد وله عشرون سنة، وقد عظم جاهه في بغداد عند العامة والخاصة، وكان يحضر درسه سبع مائة فقيه، الذهبي: المصدر السابق، ج13ص14؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7ص234.

[2] الإمام أبو الحسين: أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه البغداديّ المشهور بالقدرويّ، المتوفي سنة (428هـ-1036م)، انتهت إليه بالعراق رياسة أصحاب أبي حنيفة رحمه الله، وعظُمَ قدره، وكان حسن العبارة في النظر، جريء اللّسان، مُدِيمًا للتّلاوة، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9ص434.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7ص585؛ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفي سنة (748هـ-1347م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: 4، ج2ص200.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8ص109؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج2ص284.

[5] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص119.

[6] القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي المتوفي سنة(821هـ-1418م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، نشر: مطبعة حكومة الكويت، ط2(1405هـ-1985م). عدد الأجزاء:13، ج2 ص248.

[7] اليماني: أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني المتوفي سنة(470هـ-1078م). كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، نشر: مكتبة الساعي – الرياض، ج1ص34.

[8] القلقشندي: المصدر السابق، ج13ص248.

2- قيام الدولة الفاطمية في المغرب:

نشأت الدولة الفاطمية في المغرب حيث بويع لعبيد الله المهدي بمدينة رُقَّادة[1] سنة(297هـ-910م)؛ وقد عمل عبيد الله المهدي على توطيد دولته الشيعية بالتخلص من منافسيه، فبادر بقتل داعيته أبي عبد الله الشيعي[2]سنة (298هـ-911م) بعد أن مهد له المغرب من الناحيتين الدينية والسياسية؛ كما قام المهدي ببناء مدينة المهدية [3] لحماية ملكه من ثورات المغاربة التي لا تنتهى، وقد أدرك الفاطميون أن وضعهم لن يستقر في المغرب في ظل ثورات أهلها، وعدم تقبلهم للمذهب الشيعي[4]، كما أدركوا مدى الأهمية الاقتصادية والسياسية لمصر التي كانت في نظرهم ميدان المعركة الحاسمة مع العباسيين، وقاعدة الانطلاق إلى الشام واليمن وأرض الحرمين لإقامة دولتهم على أُسس قوية[5]؛ لذلك لا نعجب إذا رأينا الخلفاء الفاطميين منذ خلافة المهدي يدأبون على امتلاك تلك البلاد! فقد أرسلوا خمس حملات برية وبحرية؛ لتحقيق ذلك الهدف.

3- غزو الفاطميين لمصر واتخاذها عاصمة لهم:

الحملة الأولى على مصر سنة (301هـ-914م):

جهز عبيد الله المهدي جيشًا، وعهد بقيادته إلى ولى عهده أبى القاسم القائم، ودفعه باتجاه مصر للسيطرة عليها، ووصلت إلى الفسطاط واصطدمت بقوات الوالي العباسي أبي منصور تكين، كما أرسلت الخلافة جيشًا بقيادة مؤنس الخادم، فاضطرت هذه الحملة للتراجع تحت ضغط القتال، وبذلك كُتب لها الفشل.

---

(1). رُقَّادة: مدينة بإفريقية، بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة (251هـ-177م). وقد سكنها عبيد الله المهدي إلى أن انتقل إلى المهدية سنة (308هـ-920م). البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي المتوفي سنة (487هـ-1094م). المسالك والممالك، نشر: دار الغرب العربي، ج2ص679.

(2). أبو عبد الله الشيعي: هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، وهو من أهل صنعاء باليمن؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص192؛ المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص67، 68.

(3). المهدية: مدينة تقع بالقرب من القيروان، بناها عبيد الله المهدي، وكانت عبارة عن جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند، كثيرة التجارة حسنة السور والعمارة منيعة القصور نظيفة المنازل والدور حسنة الحمَّامات والخانات خصبة طيبة الفواكه والغلَّات؛ وبدأ بنائها في سنة (303هـ-916م). وانتقل إليها في شوال سنة (308هـ-921م). وجعلها دار مملكته، وحصنها بالأسوار والأبواب المحكمة، ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، المتوفي بعد سنة (367هـ-977م). صورة الأرض، نشر: دار صادر، بيروت(1356هـ-1938م). عدد الأجزاء: 2، ج1 ص71.

(4). ابن عذاري: البيان المغرب، ج1 ص277.

(5). العبادي: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي؛ دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص247.

(1)

الحملة الثانية على مصر سنة (307هـ-920م):

وفيها أرسل عبيد الله المهدي، ولى عهده القائم إلى مصر مرة ثانية للاستيلاء عليها، وأمده هذه المرة بقوة بحرية مساندة، فتوجه إلى الإسكندرية على رأس جيش كبير، ودخلها دون مقاومة سنة (307هـ - 919م)(2)، كما أرسل بعض قواته التي استولت على الفيوم والأشمونيين، لكن رد الخلافة كان سريعًا وقويًا؛ فقد أرسل الخليفة العباسي قوة بحرية بقيادة ثمال الخادم دمرت الأسطول الفاطمي في رشيد في شوال من نفس السنة، ودخلت قواته شمال الفسطاط، كما أرسل الخليفة العباسي قوة برية بقيادة مؤنس الخادم الذي قاتل الحامية الفاطمية في الإسكندرية، كما اصطدمت بقوات الفاطميين في الفيوم والأشمونيين (3)، مما أضعف الروح المعنوية للفاطميين، ومما زاد موقف الجيش الفاطمي حرجا أنه تفشى فيه مرض الطاعون مما عجل بهزيمتهم ورجوعهم؛ وبذلك فشلت حملة الفاطميين الثانية على مصر(4) .

الحملة الثالثة على مصر سنة (323هـ-935م):

وجه الخليفة القائم في أواخر عام (323هـ-935م) جيوشه المتمركزة في برقة والمعززة بعناصر قادمة من إفريقية إلى مصر فاحتلت الإسكندرية في سنة (324-936م) (5) لكن حاكم مصر: محمد ابن طغج الإخشيد أرسل جيشًا كبيرًا عليه أخاه الحسن وأحد قادته ويدعى صالح ابن نافع فاستعادا المدينة بعد قتالهم، وقُتل أحد القادة واسمه يعيش في المعركة ووقع الأخر واسمه يوتزنيت في الأسر، وانسحب الجيش الفاطمي إلى برقة (6) وبذلك فشلت الحملة الثالثة على مصر.

الحملة الرابعة على مصر سنة (358هـ-969م):

في الحقيقة لم يقرر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله القيام بحملته العسكرية، إلا عندما توفي كافور الإخشيدي(7)، فقد كان دُعاة المعز بمصر يقولون: إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود يعنون كافور الإخشيدي، فلما توفى كافور الإخشيد أقدم جماعة من الأمراء الإخشيديين الذين لم يرضوا عن حال البلاد، إلى مراسلة الخليفة الفاطمي يستدعونه ليتسلم مصر.

وكان قد سبقهم إلى المغرب الكاتب الشهير يعقوب بن كلس، (8) ووعدوه بالمساعدة والمساندة على أن يملك البلاد بِغير قتال، ولا يرغم أحدًا على التشيع! وفي الواقع إن الدعاة الفاطميين كانوا قد تمكنوا من اختراق الجبهة الداخلية في مصر، واستقطاب بعض المصريين وجذْبهم إلى الدعوة الفاطمية.

وكان المصريون على استعداد لتقبل أي حاكم جديد يريح البلاد مما تتخبط فيه من مشاكل سياسية واقتصادية، فحمل ذلك أُولي الرأي في البلاد على الكتابة إلى المعز لدين الله؛ وقد قال المعز لدين الله " إني

---

(1). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3 ص184؛ وللمزيد ينظر: الدشراوى: الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص208:217.

(2). ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص181.

(3). الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري بعد سنة (355هـ-966م).، الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1(1424هـ-2003م). عدد الأجزاء: 1، ص294.

(4). الكندي: المصدر السابق، ج1، ص294؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص193.

(5). الكندي: المصدر نفسه، ج1، ص205؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج3، ص252.

(6). الكندي: الولاة والقضاة، ج1 ص205.

(7). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص102.

(8). يعقوب بن كلس: من يهود العراق اشتغل بالتجارة ثم رحل إلى الشام ثم إلى مصر سنة (334هـ-945م). حيث اتصل بكافور، ونال إعجابه واعتنق الإسلام وعكف على دراسة الإسلام ثم هرب إلى المغرب،
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص27.

مشغول بكتب ترد علي من المغرب والمشرق أجيب عليها بخطى" وقوله أيضًا "والله لو خرج جوهر[1] وحده لفتح مصر"[2] يطلبون منه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التي دبت فيها منذ أن توفي كافور، ولذلك استجاب المعز لهذا الطلب.

وقد استفاد المعز من تجارب الماضي، فحرص على تجنب ارتكاب الأخطاء نفسها التي ارتكبها آباؤه عندما حاولوا الاستيلاء على مصر، فاتبع أسلوبًا مختلفًا، معتمدًا على دعاته فيها الذين هيئوا له الأرضية الداخلية، كما كثَّف اتصالاته مع بعض أصحاب النفوذ فيها الذين لم يُخْفوا مشاعر ولائهم للفاطميين؛ وبدأت منذ سنة (355هـ - 966م) استعدادات التجهيز، فأرسل قوة عسكرية استطلاعية إلى مصر في السنة التالية، وصلت إلى واحة سيوة المصرية، ووقف أفرادها على مدى صلاحية الطريق التي ستسلكها الفرق العسكرية إلى مصر[3].

ولما كانت مصر بعيدة نسبيًا عن إفريقية، أمر المعز عامل برقة: أَفلح الناشب بحفر الآبار على الطريق بينها وبين تونس، وتمهيدها لسير الحملات العسكرية[4]، كما بنى السفن اللازمة للمشاركة في الحملة، ومساندة القوات البرية، وشهد ميناء المهدية نشاطًا كثيفًا؛ فبنى حسين بن يعقوب متولي البحر عشرة صنادل من القارب الكبير، [5] وأجبر سكان بعض المدن الصقلية على تزويد دار الصناعة بِالأخشاب، واتخذ تدابير استثنائية لتأمين الأموال اللازمة للإنفاق على الحملة، وعين الخليفة الفاطمي القائد جوهر الصقلي قائدًا للحملة، ثم جند أعدادًا هائلة من أنصاره من القبائل البربرية بلغت مائة ألف فارس، كما أخذ معه من المال والسلاح والخيل وآلات الحرب الشيء الكثير [6].

انطلقت الحملة من إفريقية يوم السبت منتصف ربيع الآخر (358هـ -969م)، فتقدم جوهر ببطء باتجاه الاسكندرية، وسانده أُسطول بحري[7]، ولم يصل إلى حدود الدولة الإخشيدية إلا بعد ثلاثة أشهر، وعندما انتشر خبر هذا الزحف في الفسطاط، اضطرب الوضع، واستعد أنصار الفاطميين لاستقبال ذلك القائد بنشر المعلومات التي وزعها عليهم الدعاة؛ ليقيموا الدليل على خضوع المصريين الذين يقاسون من الفوضى منذ عهد بعيد؛ ولمَّا لم يصادف جوهر الصقلي مقاومة تُذكر، أمر جنده بعدم التعرض للسكَّان، واستطاع بحنكته أن يستقطب أهل الإسكندرية، ويؤلف قلوبهم بما أجزل لهم من المال؛ [8] وهنا أدرك المسئولون في مصر، وعلى رأسهم الوزير جعفر بن الفرات[9]، أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيش الفاطمي الجرار، فجمع هذا الوزير وجوه القوم للتداول في الأمر، وكانت رُسل جوهر الصقلي ترد إليه سرًا.

---

(1) جوهر الصقلي: هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي، وقد ولد جوهر الصقلي في جزيرة صقلية، وعمل في خدمة الخلفاء الفاطميين، ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص375؛ المقريزي: المصدر السابق، ج1 ص114.

(2) المقريزي: المصدر نفسه، ج1 ص95؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص249.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص96؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي افريقيا ومصر وبلاد الشام، ص188.

(4) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص96.

(5) أبى على منصور العزيزي الجوذرى: سيرة الأستاذ جوذر، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، ص98.

(6) المقريزي: المصدر نفسه، ج1، ص97، 113.

(7) المقريزي: نفسه، ج1، ص97: 113؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص249.

(8) الكندي: الولاة والقضاة، ج1ص215؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار المعارف بمصر، ط1(1380هـ-1961مـ). ص56؛ طقوش: المرجع السابق، ص189.

(9) جعفر بن الفرات: جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات أبو الفضل المعروف بابن حنزابة البغدادي الوزير(308هـ: 391هـ). سكن مصر ووزر بها لكافور الإخشيدي، وكان أبوه وزيرا للمقتدر، وسمع الحديث النبوى بدمشق، وكان عالمًا، صوامًا قوامًا، وقد أملى الحديث بمصر، وبسببه خرج أبو الحسن الدارقطني إلى هناك، وأقام عنده مدة يصنّف له المُسند، وكان كثير النفقات على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم، وقد اشترى بالمدينة دارا إلى جانب المسجد، وأوصى أن يدفن فيها، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج72 ص142؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1ص346.

واتفق الجميع على تجنب اتخاذ أي موقف عدائي، والميل إلى التفاوض في شروط التسليم، وطلب الأمان لأرواح المصريين وأموالهم وأملاكهم، فشكلوا وفدًا من أجْلِ هذه الغاية منهم أبي جعفر مسلم الحسيني، وأبي إسماعيل الرسي، ومعهما القاضي أبو طاهر، وجماعة من أهل مصر، وخرجوا من الفسطاط في (رجب358هـ -يوليو969م)، " وشايعهم كل قائد وكاتب وعالم وتاجر وشاهد "[1].

ما يدل على أن فكرة المقاومة من جانب المصريين كانت شبه معدومة، وكان معنى ذلك أن جوهر الصقلي كاد يستولي على مصر من دون إراقة دماء [2].

اجتمع أعضاء الوفد بجوهر الصقلي في تروجة[3] القريبة من الإسكندرية، وجرت بين الطرفين مباحثات اتفقا خلالها على كتاب الأمان الذي كتبه جوهر الصقلي وأعلنه للمصريين، وجاء فيه رسالة اطمئنان لأهالي مصر والشام المتمسكين بالمذهب السني أن أحدًا لن يرغمهم على التشيع[4].

وقام الفاطميون بإصلاح ديني شامل يتضمن إصلاح المساجد وبناءها، وتأمين اليهود والنصارى على دياناتهم وأموالهم ودور عباداتهم، وتعهد بتحقيق العدل ونشر السلام والطمأنينة بين الناس، وإعانة المظلومين مع الشفقة والإحسان، والتصدي لخطر القرامطة ودفعهم بعيدًا إلى الشام ومنعهم من التعدي على الحجاج المسلمين، [5] ومواجهة الروم الذين هاجموا شمالي الشام واستولوا على كثير من مدنها، وتخليص أهل المشرق من الرعب الذي لحق بهم جرَّاء هذين العدوين.

كما تعهد بأن يقوم بإصلاح شامل في إدارة البلاد بالضرب على أيدي العابثين من قطاع الطرق، وضبط النقود بعدم غشها أو تزييفها[6].

وفي مقابل منح الأمان للمصريين[7]، أن يدخل حاضرة البلاد مطمئنًا، فأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يذيعوا نصوص الاتفاق بين الخاص والعام، وأن يضمنوا عبور جيشه من الجيزة إلى الفسطاط وذلك بالخروج إليه، والسير في ركابه حتى يعبر الجسر وينزل الفسطاط.[8]

لكن بعض فئات الجيش الإخشيدي عزَّ عليهم أن يستولى الفاطميون على مصر وأن يزول نفوذهم وهيبتهم، فامتنعوا عن طاعة كل ما جاء في عهد جوهر الصقلي، فنزلوا جزيرة الروضة، وقطعوا جسور الجيزة، وانتظروا جوهرًا وجيشه، وهم على أهبة الاستعداد لمقاومة الجيش الفاطمي، ومنعه من الدخول إلى الفسطاط. [9]

أُحيط جوهر الصقلي علمًا بانتفاض الجند الإخشيديين، فاستحصل على فتوى من قاضي القضاة أبي طاهر محمد بن أحمد الذهلي تجيز قتال المتمردين، فاصطدم بهم يوم 11 شعبان (358هـ -969م)، وتغلب عليهم، فانسحبوا إلى الشام، ثم عبر جوهر الجسر المقام على النيل بين الجيزة والفسطاط وعسكر شمالي

---

(1). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ص106، 107.
(2). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4ص30؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص250.
(3). تَرُوجَةُ: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية، أكثر ما يزرع بها الكمون؛ الحموي: معجم البلدان، ج2ص28.
(4). المقريزي: المصدر السابق، ص110الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص383، 384.
(5). المقريزي: المصدر نفسه، ص110؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص192.
(6). المقريزي: نفسه، ج1، ص115؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص383.
(7). الملاحق: ملحق رقم1، ص160.
(8). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص106.
(9). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص32؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، ص107؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص193.

القطائع، ووضع أساس مدينة القاهرة[1]، ولما كان يوم الجمعة 20 شعبان (358هـ -969م) صلى جوهر الصقلي في جامع عمرو بن العاص صلاة الجمعة، وخطب بالمصلين هبة الله بن أحمد، وقطع الدعاء للعباسيين[2] وقرأ الدعاء للفاطميين، وهكذا زالت الدولة الإخشيدية بعد أن عمرت ثلاثة وثلاثين سنة ميلادية، وبدأ العهد الفاطمي في مصر. [3]

بناء مدينة القاهرة:

عسكر جوهر الصقلي بجيشه في الموضع الذي أنشأ فيه مدينة القاهرة، وفى مساء اليوم الذي وصل فيه حدد موضع القصر الذي سيقيم فيه سيده المعز[4]؛ ولم تكن القاهرة قديمًا لسكنى العامة من الناس، ولم يكن يسمح لأحد بالدخول من أبوابها بدون إذن أو تصريح، حتى إن سفراء الدول الأجنبية كانوا يترجلون عند وصولهم إلى أسوارها، وظلت هكذا حتى نهاية عصر الخليفة المستنصر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، عندما حلت بالبلاد الأزمات الاقتصادية، واحترقت مدينة الفسطاط، فدخلت العامة مدينة القاهرة وسكنتها. [5]

بناء الجامع الأزهر:

تم بناء الجامع الأزهر بعد بناء القاهرة بتسعة أشهر في جمادى الأول سنة (359هـ-970م) وافتُتح للصلاة يوم الجمعة السابع رمضان سنة (361هـ-972م)، وقد أُنشئَ هذا المسجد ليكون مسجدًا للدولة الفاطمية ورمزًا لدعوتها المذهبية، وفى عهد الخليفة العزيز بالله تحول الجامع الأزهر إلى جامعة، لنشر المذهب الشيعي، حيث قام الوزير يعقوب بن كلس بتعيين عدد كبير من الفقهاء، ليقوموا بإلقاء الدروس والمحاضرات المنظمة في فقه الشيعة [6]، وأمرَ الدعاة أن يُحفِظُوا الناس كتاب دعائم الإسلام، وكتاب الوزير: يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب آل البيت [7].

سياسة جوهر في مصر:

كان جوهر يعلم أن الأحوال المعيشية للناس قد ساءت، لذلك أول ما أتخذه القائد جوهر أن أنفذ القاضي على بن الوليد لمعسكره، وبين يديه أحمال من الأموال، ومنادى ينادى: من أراد الصدقة فليأتي إلى دار أبى جعفر، فاجتمع خلقٌ كثير من الفقراء، فصار بهم إلى جامع عمرو ابن العاص ففرق فيهم هذا المال[8]؛ كما أسرع جوهر إلى المهام التي كانت تنتظره، فأقر كبار رجال الدولة في مناصبهم، لكنه لم يدع عملًا إلا جعل فيه مغربيًا شريكًا لمن فيه[9]؛ كما أنه رفع الضرائب الزائدة، وأعاد الأملاك المأخوذة بصورة غير شرعية في العهد السابق إلى أصحابها، وأعاد فتح دار ضرب النقود الطولونية وضرب الدراهم المنقوشة المصنوعة من الذهب الأحمر الجيد العيار، كما أنه عاقب التجار الجشعين، بعد أن شهر بهم في الأسواق والطرقات، كما أنه جمع سماسرة الغلال وتجار القمح في مكان واحد وجعل له منفذًا واحدًا كي

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص157، 158؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص134.

(2) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص221.

(3) المقريزي: المصدر نفسه، ج1، ص114، حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص134.

(4) الملاحق: ملحق رقم3، ص166.

(5) الحموي: معجم البلدان، ج4، ص265؛ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص254.

(6) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص32؛ أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص256.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2، ص175.

(8) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص114؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص385.

(9) المقريزي: المصدر نفسه، ج1، ص119.

يحصر خروج الغلال من مكان واحد؛ وما لبث أن عاد الأمن إلى نصابه. [1]

نقض جوهر لمعاهدة الاستسلام:

الواقع أن جوهر الصقلي أراد أن يفرض باسم المعز لدين الفاطمي سلطته الدينية والدنيوية على كافة المصريين، على الرغم من تعارضها مع مبدأ التسامح الديني الذي تعهد باحترامه، فقد أفطر جوهر ورجاله يوم عيد الفطر، بغير رؤية حسب تعاليم المذهب الإسماعيلي[2] الذي يعتمد الحساب في الصوم والإفطار.

كما أقيمت صلاة العيد في مصلى القاهرة بإمامة قاضى العسكر، لكن أهل مصر لم يصلوا معهم، وصلوا من الغد في جامع عمرو بن العاص [3]، واستنكر جوهر هذا الموقف الذي اتخذه القاضي وهدد من أعاد فعله؛ وخاطب المصريين بأن الصوم والفطر على رؤية الهلال قد زالا، فانقطع بذلك طلب رؤية الهلال بمصر طوال عهد الفاطميين.

كذلك أحدث التغيير الثاني الذي عبر عن ترك المذهب السني في مصر عندما أمر المؤذنين بالأذان بحي على خير العمل، وهو من مميزات الأذان عند الفاطميين [4]، ثم قطع الخطبة للعباسيين من على منابر مصر، وحذف اسمهم عن السكة، وأحل اسم المعز، وأزال السواد شعار العباسيين [5].

غزو الفاطميين لبلاد الشام:

عوامل التمدد الفاطمي لبلاد الشام:

الدافع الديني: قرر جوهر الصقلي نشر الدعوة الفاطمية في بلاد الشام؛ وهي خطوة تمهيدية للقضاء على الخلافة العباسية، والسيطرة على العالم الإسلامي.

الدافع السياسي: خشية جوهر الصقلي من أن يُقدم العباسيون على الانتقام بسبب استيلائه على مصر؛

---

[1]. المقريزي: نفسه، ج1، ص116؛ أحمد مختار العبادي: المرجع نفسه، ص257.
[2]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص32.
[3]. المقريزي: نفسه، ج1، ص116؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص193.
[4]. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7ص280؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج4، ص33.
[5]. ابن تغري بردي: المصدر نفسه، ج4، ص32.

فأراد أن يجعل بلاد الشام حاجزًا بينه وبين الخلافة العباسية [1]، كما أن الحسن بن طغج والى الشام عقد معاهدة مع القرامطة، وعلى إثر ذلك جهز جوهر الصقلي جيشًا كبيرًا بقيادة جعفر بن فلاح[2] سنة (358هـ-969م) حيث سار إلى الرملة[3] وقابل القوات الإخشيدية والقرمطية، فهزمهم[4] وأسر عددًا منهم، كما وقع الحسن بن طغج الإخشيدي، وابن غزوان القرمطي في الأسر، فبعثهم جعفر بن فلاح إلى الفسطاط، وسيطرت قواته على الرملة عنوة ونهبت جنوده المدينة [5]، وقتل كثيرًا من أهلها حتى قصده النابلسي الزاهد فتوقف عن ذلك[6].

---

[1]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4 ص26؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص203.

[2]. جعفر بن فلاح: هو أبو علي جعفر بن فلاح الكُتَّامي، كان أحد قواد المعز لدين الله الفاطمي، وهو أول من ولي الشام للفاطميين؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص361.

[3]. الرملة: سميت بالرملة لغلبة الرمل بها، وهي تعد قصبة فلسطين، بناها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وبها سور عظيم من الحجر والجص؛ ناصر خسرو: ناصر خسرو الحكيم أبو معين الدين المروزي، المتوفي سنة(481هـ-1088م). سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، نشر: دار الكتاب الجديد – بيروت، ط3(1403هـ-1983م).
عدد الأجزاء: 1، ص65.

[4]. ابن أيبك: أبى بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية،
تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط (1380هـ-1961م). ص123: 125.

[5]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص123.

[6]. النابلسي: هو محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، أبو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي، أحد علماء الرملة وقد قدَّم قتال الفاطميين عن الروم بقوله: " لو كان معي عشرة أسهم، لرميت الروم سهمًا، ورميت بني عبيد بتسعة "؛ قُتل وسُلخ على يد يهودي بأمر من المعز الفاطمي سنة (363هـ-974م). الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2، ص33، 34.

الاستيلاء على دمشق:

بعد استيلاء جعفر بن فلاح على الرملة، استخلف ابنه عليها، ثم سار إلى طبرية سنة (359هـ-970م) [1]، وكانت طبرية تحت حكم الإخشيديين [2]، فسلم له أهلها المدينة، واستولى عليها دون مقاومة، وأقيمت الخطبة فيها للمعز الفاطمي [3]، كما عمل على ضرب قبائل المنطقة بعضها ببعض، وانتصر عليهم بعد أن قاتله أهلها قتالًا شديدًا [4].

وقد طلب أهل دمشق من جعفر بن فلاح الأمان والموادعة، لكن جنوده أساؤوا معاملتهم فصمموا على المقاومة والقتال بكل حزم[5]، وقد صمد السكان عدة أيام مع الإخشيديين، وحدث قتال أمام أبواب المدينة، لكنهم هُزموا يوم عيد الأضحى واضطروا إلى الاستسلام، لكن جنود جعفر بن فلاح عاملوا أهل دمشق معاملة سيئة، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، ونهبوا المدينة وأحرقوا أسواقها، كما فرض عليهم جعفر بن فلاح دفع دية من قُتل من جنوده[6].

وكان أهل دمشق قد طلبوا منه العفو والتخفيف، وتضرعوا إليه فلم يأبه لهم ثم خاطبهم قائلًا: "ما أعفوا عنكم حتى تخرجوا إلي ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرغن في التراب بين يدي لطلب العفو"[7] ففعلوا! وإنا لله وإنا إليه راجعون[8]؛ كما قتل جعفر بن فلاح بعض زعماء بلاد الشام وبخاصة دمشق، وعلق رؤوسهم على أبواب المدينة، وصلب بعضهم وشهر ببعض آخر، مما يدل على حقده على أهل السنة من جهة وقلة خبرته في الأمور السياسية [9].

صلَّى جعفر بن فلاح بجامع دمشق في المحرم سنة (360هـ-970م) فقطع الخطبة للعباسيين وأقامها للمعز الفاطمي، وأمر بالنداء في الأذان (بحي على خير العمل) فتألم الناس لذلك [10]؛ وبذلك تم الاستيلاء على جنوب بلاد الشام؛ لكن أعمال جعفر وجنوده الوحشية كان لها أثر سيء في نفور أهل دمشق منه وتآمرهم عليه.

وانتظروا خروجه إلى الرملة؛ وبعد أيام ثار الشريف ابن أبي يعلى الهاشمي[11] على جند الفاطميين بدمشق، ولبسوا السواد شعار العباسيين، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي، فأطاعه أهلها[12]، وأبطلوا الخطبة للمعز الفاطمي، وبذلك استمر الصراع بين الدمشقيين بزعامة الشريف أبي القاسم، والفاطميين بقيادة جعفر

---

(1) طبرية: هي بلدة مطلة على بحيرة طبرية من جهة الشرق، وتحيط بها الجبال من جهة الغرب، وكانت قديمًا قاعدة الأردن، فتحت على يد الصحابي شرحبيل بن حسنة صلحًا؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص17.

(2) ابن أيبك: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ص125.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص53؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ص137.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج15، ص318.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص124.

(6) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص125؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص205.

(7) الملاحق: ملحق رقم 4 ص167.

(8) ابن أيبك: المصدر السابق، ص128.

(9) المقريزي: المصدر السابق، ج1ص125؛ طقوش: المرجع السابق، ص205.

(10) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص61.

(11) ابن أبي يعلى: هو الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي، أحد أبرز أشراف دمشق في عصره، وكان جليل القدر، نافذ الحكم في أهلها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص53.

(12) ابن خلدون: ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي المتوفي سنة (808هـ-1405م). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، ط2(1408هـ-1988م). ج4، ص61.

بن فلاح حتى عقد صلح بينهما؛ يقضي ذلك الصلح بدخول جعفر وجنده دمشق مقابل تأمين أهلها [1]، وبذلك استقام حكم دمشق لجعفر بن فلاح، وأُعيدت الخطبة للمعز الفاطمي، وحذف اسم الخليفة العباسي، وانتشر المذهب الفاطمي رغم سخط أهل السنة[2].

توقف جعفر بن فلاح عن التقدم نحو الشمال ونهايته:

أمام هذا التهور من جعفر بن فلاح، وإساءته معاملة أهل دمشق، فرَّ كثير من زعمائها إلى حلب واستعانوا بالحمدانيين، وبعضهم استعان بالقرامطة[3] الذين كان الحسن بن طغج يحمل إليهم كل سنة ثلاثمائة ألف دينار[4]، فلما ملكها جعفر علموا أن هذا المال لن يحصلوا عليه، فعزموا على قصد الشام، وأميرهم الحسين ابن أحمد بن بهرام القرمطي[5]، فأرسل إلى عز الدولة بختيار[6] يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال؛ وقد رحب الحمدانيين بهذا التحالف، وأمدوا الحسن الأعصم[7] بالمال والرجال، كما سمحوا لجنودهم بالتطوع في جيشه، كما شجعوا الجنود الكافورية والإخشيدية لمساندته[8]، وهكذا تعاونت القوى في بلاد الشام على اختلاف توجهاتهم السياسية والمذهبية، وأصبح الحسن الأعصم ذو قوة مكنته من الاصطدام بالفاطميين. [9]

فلما بلغ خبرهم إلى جعفر بن فلاح استهان بهم، ولم يشعر بهم حتى هاجموه بظاهر دمشق وقتلوه (360هـ-971م)[10] ، وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه، وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها؛ وبعد أن استقر الحسن الأعصم بدمشق! أمر بلعن الخليفة الفاطمي المعز وأبيه على منابر المدينة، وأعلن بطلان نسبهم لآل النبي صلي الله عليه وسلم، وأقام الدعوة لبني العباس، وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة، وقد لقي عمله هذا ترحيبًا من أهالي المدينة؛ وبذلك نجح القرامطة في استعادة دمشق، وأحسنوا معاملة أهلها [11]، توجه حسن الأعصم بعد ذلك إلى الرملة، وكان بها رجل من الفاطميين يقال له سعادة بن حيان[12]، أرسله جوهر الصقلي لمهمة تحصين المدينة، والدفاع عنها من خطر القرامطة، فلما علم بمقدمهم فر بحاميته إلى

---

(1). ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص281.

(2). أمجد حافظ حسين طاعة: العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ص33.

(3). القرامطة: فرقة ضالة، ادعوا التشيع في بدايتهم إلى الإسماعيلية، ثم دعوا إلى أنفسهم وتفرقوا إلى فرق، وينسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن الأشعث الملقب بـ (قرمط) وهو يمني الأصل تلقى الباطنية من فارسي يدعى حسين الأهوازي؛ ابن الأثير: المصدر نفسه، ج6 ص468؛ أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي، (1417هـ-1996م). ج1ص209.

(4). ابن الأثير: نفسه، ج7 ص299؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص392.

(5). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4ص74.

(6). عز الدولة بختيار: هو أبو منصور بختيار الملقب عز الدولة بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص267؛ وبنو بويه: ينسبون إلى أبي شجاع بويه الذي يرجع أصله إلى ملوك الفرس، وتمكنوا من السيطرة على مقاليد الحكم في بغداد سنة (334هـ-946م)؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص174، 175؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16ص231.

(7). الحسن الأعصم: هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجَنَّابي، ويعرف بالأعصم، ولد بالأحساء، وتوفي بالرملة؛ كان كبير القرامطة في عصره، وتمكن من السيطرة على بلاد الشام؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص287.

(8). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص126.

(9). طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص207.

(10). المقريزي: المصدر السابق، ص188.

(11). ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج4، ص78.

(12). سعادة بن حيان: قائد مغربي أرسله المعز مددًا لجوهر الصقلي في جيش كبير سنة (360هـ-971م). ثم ولاه جوهر مدينة الرملة، ثم عاد إلى مصر بسبب حملات القرامطة، توفي في محرم سنة (362هـ-972م).
المقريزي: المصدر نفسه، ج1، ص128.

ميناء يافا[1] بفلسطين، ودخل القرامطة مدينة الرملة دون مقاومة [2].

وقد ترتب على ذلك فشل الفاطميين في التغلغل في بلاد الشام، وعودة دمشق إلى حظيرة القرامطة؛ ثم عملوا على استعادة كل الشام من أيدي الفاطميين، فتوجهوا إلى مدينة: يافا وفرضوا عليها الحصار، إلا أنهم اضطروا لرفع الحصار لقلة مؤنهم [3].

القرامطة يتوجهون إلى مصر:

بعد انتصار الحسن الأعصم في بلاد الشام؛ سار إلى مصر من أجل القضاء على الحكم الفاطمي[4]، وعندما علم جوهر الصقلي بذلك أقام خندقًا عظيمًا حول القاهرة[5]، وقام بتحصينها، وفرَّق السلاح على جنده الفاطميين[6]؛ وفي ذي الحجة سنة (360هـ-971م) هاجم القرامطة مدينة القُلْزُم[7]، وأخذوا واليها الفاطمي عبد العزيز بن يوسف وما كان له من خيل وإبل؛ وخرجت مدينة تنيس على واليها الفاطمي، واعترفت بسلطان القرامطة، وأعلن سكانها عصيان جوهر الصقلي[8].

مما يدل على رغبة سكان مصر في التخلص من الحكم الفاطمي لهم، وذلك يبين عدم اقتناع ورضا سكان مصر بمذهب وسياسة الفاطميين تجاههم، وعندما وصل القرامطة إلى مصر اجتمع معهم خلق كثير من الجند الإخشيدية والكافورية، واجتمعوا بعين شمس[9]، بعد أن قتلوا خمسمائة رجل من أهلها، وغنموا أموالهم وأسلحتهم ودوابهم[10] كما ألقوا منشورات في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط تحُض المصريين على الثورة على جوهر الصقلي.

عند ذلك سارع جوهر بجنوده وخرجوا إليهم يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة (361هـ-971م)، والتحم القتال بين الفاطميين والقرامطة، وجرى بين الطرفين قتال متكافئ طوال يوم السبت، ثم غدوا يوم الأحد للقتال، وسار الحسن الأعصم بجميع عساكره للقتال أمام الخندق واقتتلوا قتالًا شديدًا، وانتهت بهزيمة القرامطة[11].

وقد ترتب على ذلك النصر القضاء على الروابط التي تربط الأعصم بالإخشيدية والكافورية، كما عرض جوهر الأموال الكثيرة على من يأتي بالحسن الأعصم القرمطي أو برأسه [12] فانفضوا من حوله،

---

[1]. يافا: بلدة ساحلية مشهورة، كثيرة الرخاء، كانت حصنًا كبيرًا، وفيها أسواق عامرة بالتجار، وبها ميناء كبير فيه مرسى المراكب الواردة إلى فلسطين والمُقْلعة منها إلى كل بلد؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص239.

[2]. أمجد حافظ حسين طاعة: العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص39.

[3]. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4 ص63.

[4]. ابن كثير: البداية والنهاية، ج15 ص327.

[5]. ابن أيبك: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ص144.

[6]. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1 ص129.

[7]. القُلْزُم: مدينة مبنية على بحر القُلزم – البحر الأحمر-وإليه تنسب، وليس بها زرع ولا ماء ولا شجر، ويحمل إليها الماء من آبار بعيدة، ومنها تُحمل تجارة مصر والشام إلى الحجاز واليمن؛ الحموي: معجم البلدان، ج4 ص388.

[8]. المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص129.

[9]. ابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي.
المتوفي سنة (555 هـ-1160م). تاريخ دمشق، تحقيق: د سهيل زكار، نشر: دار حسان للطباعة والنشر-دمشق، ط1(1403 هـ-1983 م). ج1 ص3.

[10]. أمجد حافظ حسين طاعة: العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص40.

[11]. الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص146؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1 ص130.

[12]. المقريزي: المصدر السابق، ج1 ص129.

ودخل بعضهم في طاعة الفاطميين، فاضطر القرامطة إلى الرحيل، فعادوا إلى الشام، ونزلوا الرملة. [1]

ثم شددوا حصارهم على يافا حتى أكل أهلها الميتة وهلك أكثرهم جوعًا[2]؛ وقد حاول جوهر نجدتها فسير من مصر نجدة إلى أصحابه المحاصرين بيافا، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبًا، فأرسل القرامطة مراكبهم إليها، فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينج منها غير مركبين، فغنمها مراكب الروم[3]؛ ثم إن الحسن الأعصم سار إلى الأحساء[4]، وترك عليها قائديه ظالم بن موهوب العقيلي، وأبي الهيجا بن منجا[5]، إلا أنهما قاما برفع الحصار عن يافا بسبب وقوع خلاف بينهما؛ أعاد جوهر الصقلي بعد هذا الانتصار سلطته على الديار المصرية واستعاد الفاطميون الفرما وتنيس [6] لكن على الرغم من هذا الانتصار فقد فشلت مساعي الفاطميين إلى الوصول إلى قلب العالم الإسلامي .

قدوم المعز الفاطمي إلى مصر:

أمام كل هذه الاضطرابات في مصر كتب جوهر إلى مولاه المعز يدعوه إلى سرعة القدوم إلى مصر، لا لتسلم البلاد وإنما للدفاع عنها، وكان وصولة إلى القاهرة في رمضان سنة (362هـ-سبتمبر973م)[7]؛ ولمّا دخل المعزّ إلى القاهرة احتجب في القصر مدة، وبعث عيونه ينقلون إليه أخبار الناس؛ ثمّ ظهر للناس بعد مدّة، وقد لبس الحرير الأخضر، وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب، وادعى أنّه كان غائبًا في السماء وأنّ الله رفعه إليه؛ فامتلأت قلوب العامّة والجهال منه رعبًا وخوفًا[8].

بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، يتبين مما سبق أن الخلافة الفاطمية لم تعش في المغرب أكثر من 65سنة! بينما عاشت في مصر أكثر من مائتي سنة، أي أن الجزء الأكبر من حياتها عاشته في مصر لدرجة أن بعض المؤرخين أمثال المقريزي وأبى شامة أطلقوا على خلفائها اسم الخلفاء المصريين، كما سموها بدولة المصريين والدولة المصرية [9].

علاقة الفاطميين بالقرامطة:

نشطت الحركة القرمطية نشاطًا واسعًا في القرن الثالث الهجري في سواد العراق[10]، وقامت بأعمال

---

(1). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7 ص300.

(2). ابن كثير: البداية والنهاية، ج15 ص327.

(3). ابن الأثير: المصدر السابق، ج7 ص301.

(4). الأحساء: مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر: أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنّابي القرمطي، وهي إلى الآن مدينة مشهورة عامرة؛ الحموي: معجم البلدان، ج1 ص112.

(5). أبو الهيجا بن منجا: هو عبد الله بن علي ويكنى أيضًا بأبي المنجا، أحد أصحاب الحسن الأعصم بن أحمد القرمطي، وكان يرجع إليه لحُسن رأيه وسياسته، استخلفه الأعصم على دمشق بعد انهزامه من الفاطميين، أسره ظالم بن موهوب في رمضان سنة(363هـ-974م).، وأرسله إلى مصر هو وابنه في قفصين؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج26، ص12.

(6). ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص2.

(7). المقريزي: المصدر نفسه، ج1 ص134؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص260.

(8). سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المتوفي سنة (654هـ-1256م). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، نشر: دار الرسالة العالمية، دمشق-سوريا، ط1(1434هـ-2013 م). ج17ص432؛
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4ص74.

(9). أبو شامة: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة المتوفي سنة (665هـ-1267م) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1(1418 هـ-1997م). عدد الأجزاء:5، ج2 ص55؛
العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص260.

(10). سواد العراق: هي ضياع العراق التي افتتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب؛ وسمي بذلك لظهوره باللون الأسود من شدة اخضراره بالزروع والأشجار؛ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص272.

تخريبية، ثم انتقلت إلى البحرين سنة (286هـ-899م) على يد أبي سعيد الجنابي[1]، الذي تمكن من السيطرة على الأحساء، ثم مهاجمة البصرة[2]، وكانت المودة والصداقة تربط ما بين دولة القرامطة، وبين الدولة الفاطمية، فكلتا الدولتين على المنهج الشيعي تدعوان لإمامة آل البيت، وتعترف بأحقيتهم في الخلافة؛ وكان ذلك التحالف المعلن بين القرامطة في المشرق، والفاطميين في المغرب، يستهدف تقويض أركان ودعائم الدولة العباسية، والقضاء عليها.

فقد قام القرامطة بزعامة أبي طاهر القرمطي[3] بمهاجمة أملاك العباسيين في العراق والشام، ومهاجمة قوافل الحجاج والفتك بهم، لتأكيد إخلاصهم وولائهم للدعوة الفاطمية، وليس أَدَل على ذلك من قيام القرامطة بزعامة أبي طاهر القرمطي بمهاجمة مكة يوم التروية سنة (317هـ-929م)، حيث تعرضوا للحجيج، وقاموا بقتلهم[4]، كما قتلوا أمير مكة في هذا الوقت، وقلعوا الحجر الأسود من الكعبة المشرفة في نفس السنة وأرسلوه إلى هجر[5]، وكان هدفهم من ذلك استبدال مكة بالأحساء، وجعلها مركز المسلمين حيث إن الحجر الأسود يجذب المسلمين من أنحاء المعمورة[6].

ولم يَرُد القرامطة الحجر الأسود إلا سنة (339هـ-950م)، وكان ذلك بعد 22 سنة إلا أربعة أيام من احتجازه، وذلك بعد أن كتب المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي كتابًا مليئًا بالتهديد لأبي طاهر بعدما بلغه ما فعله بأهل مكة والحجاج وأخذه للحجر الأسود، وأنكر عليه ذلك[7]، فقام القرامطة برد الحجر الأسود قائلين: " رددناه بأمر من أخذناه بأمره "[8]، وكانوا قد رفضوا رده عندما دفع إليهم العباسيون خمسين ألف دينار، وقالوا: " أخذناه بأمرٍ وما نردّه إلا بأمر" [9].

وتظهر تلك الاستجابة مدى التوافق المذهبي والسياسي الذي كان سائدًا آنذاك بين الفاطميين في المغرب، والقرامطة في المشرق في العمل على تقويض أركان الدولة العباسية؛ وقد تمكن القرامطة بزعامة الحسن الأعصم من التغلب على بلاد الشام في ذي الحجة سنة (357هـ-968م)، وولَّى عليها أحد أتباعه[10]، كما أجبر الحسن الأعصم الإخشيديين على دفع إتاوة قدرها ثلاثمائة ألف دينار سنويًا[11].

ثم رجع إلى الأحساء سنة (358هـ-969م) وعندما سيطر الفاطميون بقيادة جعفر بن فلاح على بلاد الشام، قطعوا الإتاوة التي كان يدفعها الإخشيديون للقرامطة، ولما بلغ القرمطي ذلك عَظُم عليه، لأن المعزّ وهو بالمغرب كان يصافي ويهادي الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام القرمطي، فلمَّا

---

(1) الجنابي: هو الحسن بن بهرام الجنابي نسبة إلى جَنَّابة، كان كبير القرامطة، ظهر سنة (286هـ-899م). في البحرين، واجتمع إليه الأعراب والقرامطة، وقوي أمره بهم؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11 ص314؛ جَنَّابة: بلدة صغيرة من سواحل فارس؛ الحموي: المصدر السابق، ج2، ص165.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص304.

(3) أبو طاهر القرمطي: هو سليمان بن الحسن بن بهرام، تزعم القرامطة بعد وفاة أبيه سنة (301 هــ-913م).؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج15 ص224.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 ص476.

(5) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3 ص472؛ وهجر: هي قاعدة "قصبة" بلاد البحرين؛ الحموي: معجم البلدان، ج5 ص393.

(6) ناصر خسرو: سفر نامة، ص160.

(7) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج3 ص472.

(8) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفي سنة (748هـ-1374م). تاريخ الإسلام وَوفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط1(1424 هـ-2003م).، عدد الأجزاء: 15، ج7 ص640.

(9) الذهبي: المصدر السابق، ج7 ص640.

(10) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11 ص267.

(11) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6 ص68.

وصل المعز إلى مصر قطع ذلك عنه، وساءت العلاقات بينهما[1]؛ عند ذلك قرر القرمطي المسير إلى دمشق والاستيلاء عليها، وشجعه على ذلك زعيم الأحداث[2] محمد بن عصودا، وقائد جند العقيليين ظالم بن موهوب[3]، اللذان هربا إلى الأحساء وطلبا المساعدة من الأعصم لمواجهة الفاطميين، وكان ذلك إيذانًا بتبدل صلة المودة بين الفاطميين، وقرامطة البحرين[4].

فذهب الحسن بن أحمد القرمطي، إلى بغداد وسأل الخليفة المطيع بالله العباسي على لسان عز الدولة بختيار أن يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ليخُرج المعزَّ منها؛ فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك، وقال: " كلّهم قرامطة وعلى دين واحد فأما المصريون (يعنى بنى عبيد) فأماتوا السنن وقتلوا العلماء؛ وأمَّا هؤلاء (يعنى القرامطة) فقتلوا الحاج، وقلعوا الحجر الأسود، وفعلوا ما فعلوا[5] "؛ فقال عزّ الدولة بختيار للقرمطيّ: اذهب فافعل ما بدا لك؛ وقيل: إنَّ عزّ الدولة بختيار أعطاه مالًا وسلاحًا؛ فسار القرمطيّ إلى الشام ودخلها [6]، ولعن المعز وأباه على منبر دمشق وقال: " هؤلاء من ولد القدَّاح كذَّابون مخترقون أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم ومن عندنا خرج جدَّهم القدَّاح "؛ ثم أقام القرمطيّ الدعوة لبنى العباس، ثم زحفت جنوده إلى مصر سنة (363هـ-974م)؛ [7] وكان ممن حضر معهم، وانضم إليهم الأمير حسان بن الجراح الطائي[8] أمير العرب ببادية الشام ومعه جمع عظيم، [9] لينتزعوا مصر من الفاطميين[10] ولما اشتد الحال بجوهر كتب إلى المعز بالقيروان ينبئه خطورة الموقف؛ فغادر المعز المهدية، ووصل إلى القاهرة في رمضان سنة(362 هـ-973م)[11]، ولما رأى المعز عظم الحشد الذي جمعه الأعصم من القرامطة وعرب الشام، أخذ يفكر في أساليب غير عسكرية لمواجهته؛ فكتب المعز إلى الأعصم كتابًا سالكًا معه أسلوب الترغيب والترهيب [12]، ثم اتهمه بالخروج عن الإسلام، وندد بانضمامه إلى العباسيين [13]؛ فلما قرأ الحسن الأعصم كتاب المعز لم يتأثر به؛ ورد على الرسالة ردًا ساخرًا قال فيه: " وصل كتابك الذي قل تحصيله، وكَثُر تفصيله، ونحن سائرون إليك، والسلام "[14]؛ وقد قَدِمَ القرامطة مع حشود من قبائل الشام للمرة الثانية في ربيع الثاني سنة(363هـ-974م)، واجتمعت أمام الخندق الذي حفره جوهر وأعدوا المعدات لاجتيازه

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص78.

(2) الأحداث: هم الشباب أو الفتيان حديثي السن، ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفى سنة (711هـ-1312مـ). لسان العرب الناشر: دار صادر. بيروت، ط3، (1414هـ-1993م). عدد الأجزاء: 15؛ ج2ص133.

(3) ظالم بن موهوب: هو أمير العرب، وأصله من بني عقيل، قصد دمشق أكثر من مرة إلى أن تغلب على القرامطة بها بمساعدة الفاطميين، ثم استولى عليها سنة (363هـ-974م). وأقام بها الدعوة للمعز الفاطمي؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16ص271.

(4) ابن أيبك: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ص132؛ الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص392.

(5) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج4 ص74.

(6) بن تغري بردي: المصدر نفسه، ج4 ص78.

(7) طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، ص225.

(8) حسان بن الجراح: هو حسان بن مفرج بن دغفل بن جراح الطائي، وهو أحد زعماء أسرة بني جراح من قبيلة طي وكان على قدر كبير من القوة والدهاء، القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي المتوفي سنة(821هـ-1418م).، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء:15، ج4، ص203.

(9) ابن تغري بردي: نفسه، ج4 ص75.

(10) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفي سنة (911هـ-1506م). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط1(1387هـ-1967م). عدد الأجزاء: 2، ج1، ص601.

(11) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4، ص64.

(12) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الشرفاء، ج1، ص189.

(13) ابن أيبك: الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ص152.

(14) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص64.

[1]؛ فلما رأى ذلك المعز استعظم الأمر، فقام بمراسلة ابن الجراح ووعده بمائة ألف دينار- صنعها المعز من النحاس وطلاها بالذهب ووضعها في أكياس- إن تخلى عن القرمطي[2]على أن يخرج بعسكره فأجابهم إلى ذلك؛ [3] وقد قويت نفوس جند المعز بانسحاب ابن جراح، فخاف القرمطي على نفسه فانهزم[4] وأسروا من جنوده ألف وخمسمائة رجل، ونهبوا متاعه وضربوا أعناق من أسروه، وذلك في (رمضان363 هـ- سبتمبر974م) وعاد القرمطى إلى أذرعات الشام [5].

وفى سنة(365هـ-976م) استعان أفتكين التركي[6] بالقرامطة لمواجهة الفاطميين، ثم زحفوا برفقة أفتكين إلى الرملة، وجبى القرامطة المال من أهلها[7]؛ ثم فرض الحصار على عسقلان وبها جوهر وقواته حتى كاد يهلك هو ومن معه جوعًا [8]؛ لذلك اضطر جوهر لمفاوضة أفتكين، واتفقا على انسحاب جيش جوهر إلى مصر بعد أن بذل له الهدايا[9]، فلما وصل القرمطي وبَّخ أفتكين وطلب منه العودة عن هذا الاتفاق؛ إلا أن أفتكين رفض أن يرجع عن ذلك[10].

وفي سنة (368هـ-978م) أغرى جوهر الصقلي الخليفة العزيز بأن يخرج بنفسه لقتال أفتكين والقرمطي، فخرج العزيزُ مع الجيش وجوهر في مقدمته، وفي الرملة كانت المعركة التي انتهت المعركة بوقوع أفتكين في الأسر[11] ثم قام العزيز بمراسلة الحسن الأعصم، واتفقا على أن يدفع الفاطميون ثلاثين ألف دينار، له ولأصحابه ترسل إليهم كل سنة، ويكونوا على الطاعة والموادعة، واستحلفه العزيز على الوفاء، وانسحب القرامطة إلى الأحساء، وعاد العزيز إلى مصر ولم يزل المال المقرر يعطى للحسن الأعصم إلى أن مات؛[12] وقد أحسن العزيز لأفتكين وأكرمه إلى أن توفي بسمٍّ دسه له الوزير يعقوب بن كلس[13].

توسع الدولة الفاطمية في الشام والحجاز:

وهكذا تمكن الفاطميُّون من انتزاع بلاد الشام سنة (363هـ- 973م) من الحُسين بن أحمد القرمطي حاكم القرامطة، وضمُّوها حتى مدينة حلب شمالًا بعد القضاء على دولة الحمدانيّين، واستولوا على الحجاز بعد هزيمة أشرافها، فباتت رقعة الدولة الفاطميَّة ممتدّة من المغرب إلى مشارف العراق[14].

بعد موت العزيز تقلد الخلافة الخليفة الخامس أبو منصور نزار العزيز بالله سنة (365-386هـ- 975-996م)، وفى عهده بلغت الدولة الفاطميَّة ذُروة عزِّها وكمالها[15]، وإليه يُعزى تمكين السيطرة الفاطميَّة على مصر والشَّام واليمن والحجاز وبعض مدن الجزيرة، ولكن سلطانه على تلك الجهات لم يكن مستقرًا

---

[1]. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج8 ص181؛ على إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، مكتبة النهضة المصرية، ط2(1382هـ-1963م). ص52.

[2]. ابن أيبك: المصدر السابق، ص159؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص347.

[3]. ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص7.

[4]. ابن أيبك: المصدر نفسه، ص160؛ ابن خلدون: المصدر نفسه، ج4، ص64.

[5]. أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، وهي مدينة درعا الحالية؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص130.

[6]. أفتكين: هو مولى معز الدولة بن بويه، وقد تمكن من التغلب على دمشق، ثم خرج على العزيز الفاطمي، فهزم منه وهرب أفتكين ثم قُبض عليه، وحُمل إلى العزيز فأطلقه، وأحسن إليه إلى أن توفي سنة(372هـ-982م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص54.

[7]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الشرفاء، ج1، ص238.

[8]. ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1، ص16.

[9]. ابن القلانسي: المصدر السابق، ص17؛ على إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، ص108.

[10]. ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص18.

[11]. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، ص386.

[12]. ابن القلانسي: نفسه، ج1، ص20.

[13]. ابن خلدون: تاريخ الأمم، ج4، ص67.

[14]. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج8، ص181؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص226.

[15]. الملاحق: ملحق رقم: 5 ص168.

ويمكن القول بأن نفوذه الحقيقي كان قاصرًا على مصر. [1]

خلف العزيز ابنه الحاكم بأمر الله (386-411ه=996-1020م)[2]، وكان عمره لا يتجاوز الحادية عشرة، وكانت خلافته متقلبة بين شجاعة وإقدام، وجبن وإحجام، ومحبّة للعلم وانتقام من العلماء، [3] وميل إلى الصلاح وقتل أهل الصلاح، وكان الغالب عليه السخاء؛ وربَّما بخل بما لم يبخل به أحد قطّ، وأقام يلبس الصوف سبع سنين[4]، وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلًا ونهارًا، ثمّ بدا له أن يجلس في الظّلمة فجلس فيها مدّة؛ " وقتل من العلماء والكتّاب والأماثل ما لا يحصى "[5].

وفي سنة (395هـ-1005م) كتب على المساجد والجوامع سبّ أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزُّبير ومعاوية وعمرو بن العاص، وأزاله بعد عامين [6] مما أساء لسمعته وسمعة الإسماعيلية في مصر والعالم الإسلامي، وأثار سخط الناس عليه؛ وقُتل بعدها في ظروف غامضة[7].

الضعف يصيب الدولة الفاطمية:

أخذت قوة الفاطميين السياسية بالانحدار شيئًا فشيئًا، وكان معظم الخلفاء الذين تولوا بعد الحاكم بأمر الله صغارًا لم يبلغوا سنَّ الرُّشد بعد، لذا فقد افتقروا إلى السُّلطة والنفوذ، وأصبحت الدولة في أيدي الوزراء الفاطميّين العظام [8].

فقد تقلد الخلافة من بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله[9]، إلا أنَّه كان حدثًا لم يبلغ سنَّ الرشد، فأصبحت عمَّته " ست الملك "[10] الحاكم الفعلي للدولة، وتمكَّنت من إدارة شؤون الدولة بصورةٍ جيدة، إلا أنها توفيت في سنة (415هـ-1024م)[11].

وقد سار عهده بهدوءٍ في البداية، إلى أن بدأت الثورات ضدَّه، فخرج صالح بن مرداس[12] في الشام وانتزع منه حلب، ثمَّ جاء حاكم الرملة حسان بن المفرج الطائي فانتزع معظم أنحاء الشام[13]؛ وقد استمرت خلافة الظاهر خمسة عشرة سنة.

تولَّى بعدها ابنه المستنصر بالله (427-487ه=1036-1094م) [14] الخلافة وهو لا يزال في السَّابعة

---

[1]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4 ص112؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص280.

[2]. الحاكم بأمر الله: أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي صاحب مصر وكان جوادًا بالمال سفاكًا للدماء، قتل عددًا كثيرًا من أماثل الناس، وكانت سيرته من أعجب السير، يخترع كل وقت أحكامًا يحمل الناس على العمل بها؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5 ص393.

[3]. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج9 ص198.

[4]. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج4 ص177.

[5]. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5 ص393.

[6]. ابن تغري بردي: المصدر نفسه، ج4 ص177.

[7]. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5 ص397.

[8]. ابن تغري بردي: نفسه، ج4 ص248؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص294.

[9]. الظاهر: هو الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم منصور بن العزيز نزار بن المعز العبيدي، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة (411هـ-1020م)؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج2، ص256، 257.

[10]. سِتّ المُلْك: (359-415 هـ / 970-1024م). ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله وهي أخت الحاكم بأمر الله الفاطمي (صاحب مصر). كان الحاكم يستشيرها في معضلاته، ثم تغير عليها وهم بقتلها وساءت سيرته؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص77.

[11]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص260.

[12]. صالح بن مرداس: هو أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر من بني كلاب، أمير بادية الشام، وأول الأمراء المرداسيين بحلب، انتزع مدينة حلب من أيدي الفاطميين في ذي الحجة سنة (417هـ-1027م). ثم قُتل على أيديهم سنة (420هـ-1029م).؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص487.

[13]. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج2، ص257.

[14]. أبو تميم الملقب بأمير المؤمنين المستنصر بالله بن الظاهر باللَّه بن الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز العُبيدي، صاحب مصر والمغرب، بويع بعد موت أبيه الظّاهر، وبقي في الخلافة ستّين سنة وأربعة أشهر، الذهبي: المصدر السابق، ج33، ص228.

من العمر، وقد دام حكمه نحو 60 سنة، ليكون أطول الخلفاء الفاطميِّين عهدًا على الإطلاق [1]

في بداية عهده، كانت أمُّه وبعض وزرائه هم الحكام الفعليّين للدولة، وفى النصف الأول من خلافة المستنصر وصلت فيه الدولة الفاطمية ذروة قوَّتها واتّساعها، وامتدت حدودها من المغرب إلى العراق، وتمكن رجلٌ من حلفاء الفاطميّين يدعى أبا الحارث البساسيري [2] بعد أن أمده الخليفة المستنصر بخمسمائة ألف دينار وثياب وسلاح كثير، من الاستيلاء على بغداد والقبض على الخليفة القائم بأمر الله العباسي، فأقام الخطبة فيها للخليفة الفاطمي المستنصر سنة (450هـ-1058م) [3].

إلا أن الأمور بدأت في الاضطَّراب فيما بعد، فأصيبت مصر بمجاعةٍ هائلة استمرَّت سبع سنوات من سنة (457:464هـ) (1065:1072م) وهي تعرف باسم الشدة المستنصرية، وبدأت العديد من أقاليم الدولة بالتمرد على الفاطميين، فانقطعت الخطبة عن المستنصر في مكة والمدينة سنة (462هـ- 1070م) ليُخطب عوضًا عنه للخليفة العباسي مجددًا، وكذلك الحال نفسه في المغرب، فقطع أمير بني زيري المعز بن باديس[4] علاقته بالفاطميين وحوَّل الولاء إلى الخلافة العباسية؛ أما بغداد التي كانت قد انضمت للفاطميين حديثًا، فقد قُتل حاكمها البساسيريُّ على يد سُلطان السلاجقة طغرل بك[5] القادم من الشرق، لتنتهي سلطة الفاطميين عليها حتى نهايتهم[6].

ولم يتوقف السلاجقة عند هذا الحدّ، بل تابعوا التقدُّم غربًا ليصطدموا بالدولة الفاطمية مرة أخرى في بلاد الشام، ونجح سلطانهم جلال الدولة ملك شاه[7] في انتزاع معظم بلاد الشام من الفاطميين، بما فيها القدس وفلسطين في نفس السنة(463ه-1071م) وتسبب عجز المستنصر عن السيطرة على هذه الأحداث إلى انهيار هيبته تمامًا في الدولة[8].

فقرر المستنصر الاستعانة بحاكم عكا الأرمنيّ بدر الدين الجمالي [9]؛ استدعى المستنصر بدر الجمالي ليتسلَّم منصب وزارة الدولة الفاطمية وقيادة جيشها، فوافق هذا الأخير، وكان قد جلب معه مائة

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص183.

[2] البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري مقدم الأتراك ببغداد، كان مملوكًا للبويهيين، ثم عظم أمره، وخرج على الخليفة العباسي القائم بأمر الله ببغداد، ودعا للفاطميين، ثم قُبض عليه وقُتل وصُلب ببغداد على أيدي السلاجقة سنة (451 هـ-1060م). وسمي بالبساسيري نسبة إلى بلدة بسا أو فسا ببلاد فارس؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص192 الحموي: معجم البلدان، ج1، ص412.

[3] ابن خلكان: المصدر نفسه، ج1، ص192؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص354.

[4] المعز بن باديس: (398-454 هـ = 1008-1062م). المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب، وكانت خطبته للفاطميين، فقطعها سنة (440ه-1049م). وجعلها للعباسيين، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1 ص295. الزركلي: الأعلام، ج7، ص269.

[5] طغرل بك: (385-455 هـ = 995-1063م). محمد بن ميكائيل بن سلجوق، أبو طالب، الملقب ركن الدين طغرل بك: أول ملوك الدولة السلجوقية وهو الذي رد ملك بني العباس، لما استولى البساسيري على بغداد، فظل =يجاهد حتى قتل البساسيري وأعاد الخليفة (القائم بأمر الله). إلى بغداد، وأعاد الخطبة باسمه؛ الزركلي: المصدر السابق، ج7، ص120.

[6] الزركلي: المصدر نفسه، ج7، ص120؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص356.

[7] جلال الدولة ملك شاه: أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب جلال الدولة، ملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء المتقدمين، فكان في مملكته جميع بلاد ما وراء النهر، والروم =وديار بكر والجزيرة والشام، وخطب له على جميع منابر الإسلام، وكان من أحسن الملوك سيرة حتى كان يلقب بالسلطان العادل، وكان منصورًا في الحروب، ومغرمًا بالعمائر، فحفر كثيرًا من الأنهار، وعمر على كثير من البلدان الأسوار، وأنشأ في المفاوز رباطات وقناطر، توفى في شوال سنة (485هـ-1093م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5 ص288.

[8] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص20؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص339.

[9] بدر الجمالي: هو أمير الجيوش بدر، أصله أرمني، اشتراه جمال الدولة بن عمار، وتربى عنده، وتقدم بسببه، استنابه المستنصر الفاطمي على مدينة صور، وقيل عكا، ولما ضعف المستنصر بمصر استنجد به لضبط الأمور، فركب البحر، ودخل القاهرة، وضبط أمورها، ووزر للمستنصر إلى أن توفي في ربيع الأول سنة(487هـ-1094م).؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص448: 450.

سفينة محملة بالجنود الأرمن إلى مصر[1]، وكان وزيرًا قويًا ومهيبًا، فأعاد للدولة قوتها واستقرارها وثبَّت أركانها من جديد؛ ووصلت الدولة في عهده أوج قوتها وازدهارها؛ لكن من جهةٍ أخرى فشل بدر الجمالي في بعض النواحي العسكرية، إذ لم يستطع حماية بلاد الشام من تقدُّم السلاجقة الترك شرقًا، والصليبيين الأوروبيين شمالًا؛ ومنذ أن تولى بدر الجمالي الوزارة سنة (468هـ-1075م) تحولت الوزارة من وزارة تنفيذ إلى وزارة تفويض، فأصبح الوزير هو الرئيس الفعلي للبلاد وقد استمر الحال هكذا حتى وفاة المستنصر سنة (487هـ- 1094م) [2].

العلاقات بين الفاطميين والصليبين:

في الوقت الذي أسس فيه الصليبيون إمارة أنطاكية في جمادى الآخرة عام (491هـ-1098م) لم يفكر الفاطميون الشيعة في دعم السلاجقة السنة في حربهم ضد الصليبيين، بل على العكس عرضوا على الصليبيين التحالف[3]، وأرسلوا بالفعل سفارة اجتمعت بزعمائهم أمام أنطاكية في شهر صفر(491هـ-1098م) ووقعوا اتفاق التحالف مع الصليبيين [4] والذي يقضي بأن ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمال بلاد الشام، وأن تحتفظ مصر ببيت المقدس وجنوب بلاد الشام، كما يُسمح للصليبيين بزيارة بيت المقدس، والأماكن المقدسة وأداء الشعائر فيها، على إلا تتجاوز إقامتهم فيها على شهر، وأن يتعاون الفاطميون والصليبيون في القضاء على السلاجقة [5].

استغل الفاطميون انشغال السلاجقة في صد هجمات الصليبيين، وبدأوا بالزحف على بلاد الشام بقيادة وزيرهم الأفضل بن بدر الجمالي[6]، واستولى على مدينة صور سنة (490هـ-1097م) ثم زحف إلى القدس مصطحبًا معه سفراء الصليبيين[7] الذين قَدِموا إلى مصر مع السفارة الفاطمية، التي عادت إلى مصر بعد أن وقعوا اتفاق التحالف مع الصليبيين عند أسوار أنطاكية، وأعلن أنهم حلفاؤه، مستغلًا الحروب الدائرة بين السلاجقة والصليبيين، ثم حاصر بيت المقدس واستولى عليه سنة (491هـ-1098م)[8] .

---

[1] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، ص242.

[2] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5 ص101؛ العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص305.

[3] هانس أبرهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم، تقديم: نجاح القابس، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ص109.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص416؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص428

[5] الذهبي: تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام، ج10ص665؛ طقوش: المرجع السابق، ص428.

[6] الأفضل بن بدر الجمالي: ابن أمير الجيوش بدر، أصله أرمني، تولى الوزارة للمستنصر بعد وفاة أبيه سنة(487هـ-1094م).، وظل في الوزارة حتى دس له الخليفة الآمر جماعة فقتلوه (سنة 515ه-1121م). وتظاهر بالحزن عليه، الزركلي: الأعلام، ج7، ص297.

[7] هانس أبرهارد ماير: المرجع السابق، ص117؛ أمجد حافظ حسين طاعة: العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص103.

[8] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الشرفاء، ج3 ص22؛ أمجد حافظ حسين طاعة: المرجع السابق، ص104.

ثم بدأ الصليبيون بالتوغل جنوبًا في بلاد الشام ناقضين العهد مع الفاطميين، وبدأت المدن الفاطمية تسقط واحدة تلو الأخرى، حتى سقطت بيت المقدس عام (492هـ-1099م)[1]، وقتل الصليبيون بالمسجد الأقصى ما يزيد عن سبعين ألفًا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارقوا أوطانهم وجاوروا القدس الشريف [2]، وهاج العالم الإسلامي بسبب الوحشية الصليبية والمجازر التي ارتكبت بحق المسلمين، وقد بقيت ذكرى هذه المذبحة الجماعية حية في أرجائه مدة طويلة من الزمن [3]، وقد خرج الأفضل بن بدر الجمالي للدفاع عن القدس، إلا أن المدينة سقطت وهو بعسقلان فعسكر فيها ليرتب أموره وينتظر نجدات عربية قد وُعد بها، وهو الذي تحالف مع الصليبيين ضد إخوانه السلاجقة أهل السنة قبل ذلك[4]؛ "وقد تلقت الدولة الفاطمية تلك الأخبار في برود، وظلت تغط في سباتها العميق"[5]

نفوذ الوزراء العظام وضعف الدولة الفاطمية:

كان النظام المتبع في الدولة الفاطمية، أن أكبر أبناء الخليفة هو الذي يُعيَّن وليًا للعهد، وكان الابن الأكبر للمستنصر: نزار المصطفى لدين الله؛ ولكن الوزير الأفضل الجمالي قد رفض خلافة نزار بسبب خلافٍ وقع بينهما، وتم نقل ولاية العهد إلى ابنه الأصغر أحمد المستعلي بالله، وأدى هذا الخلاف إلى وقوع شقاقٍ في المذهب الإسماعيلي، حيث انقسم الإسماعيليون بين مؤيدي خلافة نزار بناءً على أحقيته (النزارية) ومؤيدي خلافة المستعلي بناءً على توصية والده (المستعلية). [6]

لم تدم خلافة المستعلي طويلًا، فقد توفي سنة(495هـ-1101م)، فخلفه ابنه الآمر بأحكام الله ذي الخمس سنوات، بناءً على رغبة وزير الدولة الأفضل؛ وما أن بلغ الخليفة الآمر سن الرشد حتى دبر لاغتيال الملك الأفضل، وعيَّن مكانه المأمون البطائحي[7]، إلا أنه رغم ذلك لم يحسن السِّيرة، فساءت أوضاع الدولة في عهده[8]، وقد قُتل الخليفة الآمر سنة (524هـ -1130م) على يد عدد من النزاريين وهو في طريقه إلى جزيرة الروضة[9].

وقد عَهد الآمر بالخلافة من بعده لابنه الطيب أبو القاسم والذي لم يكن قد وُلد، بل كان لا يزال في رحم أمِّه، ولم يكن للآمر ابنٌ آخر يتولَّى الخلافة، فعُيِّن ابن عمه الحافظ لدين الله نائبًا للخليفة ليتولَّى شؤون الحكم حتى بلوغ الطيّب سنَّ الرشد؛ وقد أخطأ الحافظ في تعيين أحمد بن الملك الأفضل وزيرًا له [10]، فما إن تولَّى هذا الوزارة حتى قبض على الحافظ وزج به في السجن.

واستبد الوزير بالدولة ولم يعد للخليفة المسجون كلمة فيها؛ ولم يطُل الأمر، فسُرعَان ما اغتال الإسماعيليُّون أحمد بن الأفضل، وحرروا الحافظ لدين الله من سجنه، فعاد لتولّي شؤون الخلافة سنة

---

(1). ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1 ص222.

(2). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص189.

(3). هانس أبرهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ص120.

(4). ابن القلانسي: المصدر السابق، ج1، ص222؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص427.

(5). سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، (1391هـ-1971م)، ج1ص245.

(6). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الشرفاء، ج3، ص11؛ طقوش: المرجع السابق، ص389.

(7). المأمون البطائحي: أبو عبد الله المأمون بن البطائحي وزير الديار المصرية، والدولة العبيدية، تولى الوزارة بعد الأفضل الجمالي وقتله الخليفة الأمر سنة (519هـ-1125م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص383؛ ابن القلانسي: المصدر نفسه، ص303.

(8). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5 ص171.

(9). وكان لايزال للنزارية أعوان في مصر، يرون أن الأمر وأباه المستعلي وليا الخلافة دون حق، ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1 ص362؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، ص108.

(10). أحمد بن الملك الأفضل: (467-526 هـ = 1074-1131 م). تولى الوزارة للخليفة الحافظ سنة (524هـ-1130م). تغلب على المُلك بدهائه وحجر على الخليفة الحافظ، ورد على المصريين أموالهم المصادرة فأحبوه، وكتب اسمه على النقود، وأظهر مذهب الإمامية الاثني عشرية، واستمر إلى أن اغتاله أحد مماليك الحافظ، الزركلي: الأعلام، ج1ص90.

(526هـ-1132م)[1]، لكنَّ الحافظ ظلَّ بعد ذلك يعاني من نفوذ الوزراء الشديد في دولته، فكان وزراؤه هم الذين يحكمون الدَّولة طوال عصره؛ إلا أنه ظلَّ خليفةً حتى وفاته سنة (544هـ -1149م) [2] وبعد وفاة الخليفة الحافظ، تولى الخلافة الخلفاء الصغار السن وهم الظافر[3] والفائز[4] وكلاهما ليس له في الخلافة إلا مجرّد الاسم فقط[5]، والعاضد [6]! فكان من الطبيعي أن يكثر التنافس بين كبار رجالات الدولة على منصب الوزارة[7].

الفصل الأول

التغييرات التي أحدثها الفاطميون في مصر

1- موقف الفاطميين من أهل السنة

2- سياسة الفاطميين مع أهل الذمة

3- مظاهر الحياة الاجتماعية والاحتفالات التي أحدثوها

4- التغييرات الثقافية في المجتمع المصري

5- حمل المصريين على اعتناق المذهب الشيعي

---

(1). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3ص143؛ العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص311.

(2). ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5، ص284.

(3). الظافر: هو أبو المنصور إسماعيل الملقب الظافر بن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز الفاطمي، ولد بالقاهرة سنة (527هـ-1133م). وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه، وقُتل الظافر على يد ابن وزيره نصر بن عباس سنة (549هـ-1154م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص237.

(4). الفائز: أبو القاسم عيسى الملقب الفائز بن الظافر بن الحافظ، ولد في القاهرة سنة (544هـ-1149م). وتولى الخلافة في تاريخ وفاة والده، ولم تطل مدة الفائز في ولايته، وكانت وفاته سنة (545هـ-1150م)، ابن خلكان: المصدر السابق، ج3 ص494.

(5). ابن تغري بردي: المصدر نفسه، ج5، ص318.

(6). العاضد: هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم، وُلد سنة(546هـ-1151م). وتوفي سنة (567هـ-1171م)، ابن خلكان: المصدر نفسه، ج3 ص110.

(7). العبادي: المرجع السابق، ص312.

الفصل الأول

التغييرات التي أحدثها الفاطميون في مصر

1- موقف الفاطميين من أهل السنة:

لقد كان كتاب الأمان الذي أمضاه جوهر ينص على أن يظل المصريون على مذهبهم، ولا يُلزمون بالتحول إلى المذهب الشيعي، وأن يجري الأذان والصلاة، وصيام شهر رمضان وفطره، والزكاة والحج والجهاد، والميراث على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[1]**!** لكن لم يكن كتاب جوهر لأهل مصر إلا مجرد مهادنة.

فبعد أن انتهى جوهر من وضع أساس مدينة القاهرة أمر بإلغاء الخطبة والدعاء للخليفة العباسي وإقامتها للمعز الفاطمي؛ وكذلك أن تضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي[2] وامتنع يعقوب بن كلس، وعسلوج بن الحسين، أن يقبل في التعامل إلا دينارا معزيًا، فقل التداول بالدينار الراضي[3] وعانى ركودًا، ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار، فخسر الناس من أموالهم، وكان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهما ونصف[4]، وذلك ليعوض المعز ما أنفقه من أموال .

كما منع لبس السواد شعار العباسيين واستبدلها بالبيضاء؛ الواقع أن جوهر الصقلي أراد أن يفرض باسم المعز الفاطمي سلطته الدينية والدنيوية على كافة المسلمين، على الرغم من تعارضها مع مبدأ التسامح الديني الذي تعهد باحترامه، ولم يدع عملًا من أعمال الدولة إلا جعل فيه أحد المغاربة شريكًا لمن فيه[5].

إلغاء طلب رؤية الهلال وترك صلاة التراويح:

إعتاد المسلمون الصوم والفطر على رؤية الهلال كما أمرهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم " لَا

---

[1]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص105.

[2]. علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، ص58.

3)). نسبة إلى الخليفة أبو إسحاق محمد، ابن المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد بالله أحمد ابن الموفق بن المتوكل الهاشمي، العباسي، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 11ص401.

[4]. المقريزي: المصدر السابق، ج1 ص146.

[5]. المقريزي: المصدر نفسه، ج1، ص119.

تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْه فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَه "[1] وقد فوجئ أهل مصر بفطر جوهر ورجاله يوم عيد الفطر بغير رؤية، حسب تعاليم المذهب الإسماعيلي[2] الذي يعتمد الحساب في الصوم والإفطار.

كما أقيمت صلاة العيد في مصلى القاهرة بإمامة قاضي العسكر على بن وليد الإشبيلي، لكن أهل مصر لم يروا الهلال، وقد التمسه القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد الذهلي على عادته من فوق جامع عمرو بن العاص فصلوا من الغد في جامع عمرو بن العاص [3]! واستنكر جوهر هذا الموقف الذي اتخذه القاضي وتهدد من يفعل ذلك؛ وخاطب المصريين بأن الصوم والفطر على رؤية الهلال قد زالا، فانقطع بذلك طلب رؤية الهلال بمصر طوال عهد الفاطميين[4].

وفي أوائل شهر رمضان سنة (363هـ -974م) أصدر الخليفة المعز أمره بإبطال صلاة التراويح وعندما عارض أبو القاسم الواسطي[5] برفع صوته احتجاجًا على هذا القرار، قُبض عليه وأودعوه السجن، وعندما وصل خبره إلى المعز في القاهرة صدر الأمر بقطع لسان أبي القاسم وضربه خمسمائة سوط وصلبه بعد ذلك[6]؛ كذلك أحدث التغيير الثاني الذي عبر عن ترك المذهب السني في مصر عندما أمر المؤذنين بالأذان بحي على خير العمل وهو من مميزات الأذان عند الفاطميين [7].

إسناد المناصب العليا إلى الشيعة:

لقد الزم جوهر الصقلي جميع الموظفين المصريين أن يعتنقوا المذهب الشيعي، كما حتم على القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق قوانين هذا المذهب؛ وقد كان السبيل للحصول على الوظيفة الرفيعة أو مناصب الدولة هو التحول الي المذهب الشيعي ، كما دفعت تلك الرغبة أيضًا بعض أهل الذمة إلى اعتناق الإسلام، واتخاذ التشيع مذهبا لهم [8]، ولم يبق من أهل السنة في مناصب الدولة إلا القليل مما ليس له أهمية ولأخطر؛ وكان ذلك مما دفع الكثيرين من الموظفين السنيين إلى اعتناق المذهب الفاطمي.

الوزارة:

عندما استولى جوهر على مصر، كان وزيرها أبو الفضل جعفر بن الفرات، وقد كان في هذا المنصب في عهد العباسيين والإخشيديين، وكان من علماء أهل السنة [9] ، لكن رفض جوهر أن يخاطبه بالوزير معللًا بقوله "ما كان وزير خليفة"[10]، لكنه تركه في منصب الوزارة حتى لايثير المصريين عليه،

---

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المتوفي سنة (256هـ-870م)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، نشر: دار طوق النجاة، ط1(1422هـ-2001م). عدد الأجزاء: 9، ج3 ص27، رقم:1906.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص116.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج1 ص116؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص193.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4 ص94؛ أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1428هـ-2007م). ص144.

(5) أبو القاسم الواسطي: أحد الصلحاء جاور ببيت المقدس في المسجد، فلما كان أول ليلة من رمضان أمر السلطان بقطع صلاة التراويح؛ قال: فنفرت أنا وعبد الله الخادم، وصحنا والإسلاماه وامحمداه، فأخذني أعوان السلطان ولم يأخذوا عبد الله الخادم، وطرحني في الحبس، وكتب فيَّ إلى مصر؛ فورد الكتاب بأن أُضرب بالسوط ويُقطع لساني، ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المتوفي سنة (571هـ-1176م).، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط (1415هـ-1995م).، عدد الأجزاء: 80، ج67 ص137.

(6) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8 ص184؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص219.

(7) المقريزي: المصدر نفسه، ج1، ص116.

(8) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص 119؛ علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، ص65.

(9) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج72ص142؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1ص346.

(10) المقريزي: المصدر السابق، ج1ص107.

تماشيًا مع سياسة الدولة ! لكن عين جوهر له خادمًا يبيت معه، ويكون معه في حركاته وسكناته، ويراقبه في كل أموره، وقد ضعف نفوذه إلى حدٍ كبير حتى لم يبق له من الوزارة إلا الاسم فقط؛ وما أن وصل المعز إلى مصر حتى خرج وجوه الناس لاستقباله إلا الوزير، فإنه لم يخرج، فلما اجتمع إليه مشايخ البلد وعاتبوه في فعله، وقيل له: إنك تغري بدماء أهل السنة، ويجعلون تأخرك عنهم سببًا للانتقام منهم، فخرج الوزير لأجل ذلك، فلما دخل على المعز أكرمه المعز وأثنى عليه وأجلسه، وفي قلبه منه شيء ولعله وصل إليه أن الوزير قد أبى استقباله.

وكان يجلس بجوار المعز ابنه وولي عهده، لكن الوزير لم يسلم عليه، فأراد المعز أن يمتحنه بسبب يكون سبيلًا إلى الوقيعة به، فقال له: أحجّ الشيخ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وزرت الشيخين؟ يقصد أبي بكر وعمر رضيَّ الله عنهما، فقال: شُغلت بالنبي صلى الله عليه وسلَّم عنهما، كما شُغلت بأمير المؤمنين عن ولي عهده، ثم سلم على ابن المعز وولي عهده، فأعجب به المعز، وعرض عليه الوزارة فاعتذر.

لكن المعز طلب منه أن يقيم في مصر، ليكون من أهل الشورى الذين يستفاد منهم [1]؛ وعين بدلًا منه يعقوب بن كلس، وعسلوج بن الحسين، لإدارة شئون الدولة الحربية والمدنية مثل: الخراج والحسبة والسواحل والأعشار! وكلها مناصب كان يقوم بها رجال من أهل السنة قبل قدوم الفاطميين[2]؛ ولم تنتهي الأمور بهذا الوزير بذلك فقد تقلد الخراج سنة (382هـ-992م) في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله، ثم تقلد الوزارة ثانية سنة (383هـ-993م)، وتوفى سنة (391هـ-1000م)، وقد تقلد الوزارة في عهد العباسيين والإخشيديين والفاطميين[3] .

أما الوزير يعقوب بن كلس، فقد ظل في الوزارة حتى أشرف على الموت، وقد عاده العزيز وحزن عليه! ثم قال له العزيز: " وددت أنك تباع فأشتريك بملكي أو تفتدى فأفديك بولدي، فهل من حاجة توصى بها؟ فبكى ابن كلّس وقبّل يده وجعلها على عينيه، ثم أوصى العزيز بوصايا ومات "؛ فصلّى عليه العزيز وألحده في قبره بيده في دار العزيز التي كان العزيز قد بناها لنفسه، وأغلق الدواوين بعده أيّامًا[4] .

القضاء:

منذ الفتح الإسلامي والقضاء في يد علماء أهل السنة، وعند دخول الفاطميين إلى مصر كان القضاء والإمامة والخطابة في يد رجال من أهل السنة، وقد تقلدوا هذه المناصب في عهد الإخشيدين، وكان قاضي القضاة أبوالطاهر الذهلي وهو من علماء السنة، وقد تركه جوهر الصقلي في منصبه لكنه أشرك معه قاضيا آخر شيعي المذهب، وقد عمل جوهر على إضعاف نفوذه، كما ألزم القضاة أن يحكموا بين الناس على المذهب الشيعي[5] .

وعندما وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، هب الناس لاستقباله وقبلوا الأرض بين يديه! لكن أبا الطاهر الذهلي ظل راكبًا حتى اقترب من المعز، فنزل عن دابته وسلم عليه ولم يقبل الأرض، فسأله المعز قائلًا: يا قاضي كم رأيت خليفة؟ قال: واحدًا، قال: من هو؟ قال: أنت والباقون ملوك، فأعجب به المعز ثم سأله أحججت؟ قال: نعم قال: وسلمت على الشيخين؟ قال شغلني عنهما النبي صلى الله عليه وسلم، كما شغلني أمير المؤمنين عن ولي عهده، فأزداد به المعز إعجابًا وخلع عليه [6] ! لكن المعز ألزمه أن يحكم وفق

---

(1). الحموي: معجم الأدباء، ج2ص787؛ علي ابراهيم حسن: المرجع السابق، ج68.
(2). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص277؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص183.
(3). المقريزي: المصدر السابق، ج1ص277.
(4). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4 ص158.
(5). المقريزي: المصدر نفسه، ج1 ص119؛ علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، ص70.
(6). الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2ص34.

تعاليم المذهب الشيعي، كما أشرك معه في القضاء القاضي: الشيعي النعمان بن محمد بن حيون[1]، والقاضي أبا سعيد بن أبي ثوبان المغربي[2]؛ وبعد وفاة النعمان أشرك ابنه علي بن النعمان، وفي عهد العزيز زاد من اختصاص القاضي علي بن النعمان مع بقاء القاضي أبي طاهر [3].

ثم اقتسم القضاء علي محمد بن النعمان، والقاضي أبو الطاهر، وكان لكل منهم معاونين يستعين بهم في أحكامه، وكان يجلس أبو الطاهر في جامع عمرو بن العاص، ويجلس بن النعمان في الجامع الأزهر[4]، وعندما اعتذر القاضي أبو الطاهر لمرضه! قبل اعتذاره على الفور؛ ثم تقلد علي بن النعمان القضاء عامة، ولقب بقاضي القضاة، وكان أول من لقب بذلك؛ وكان قاضي القضاة يقوم بتعيين القضاة في الأقاليم، وكان يغلب عليهم المذهب الإسماعيلي، وإذا تولى أحد على غير المذهب الإسماعيلي! كان يشترط عليه أن يقضي بالمذهب الإسماعيلي [5].

ومن الملاحظ أن منصب قاضي القضاة كان في غالب الدولة الفاطمية مقتصر على من هم على مذهب الدولة الفاطمية، وما يدل على ذلك أن الدولة الفاطمية كثيرًا ما كانت تسند منصب قاضي القضاة إلى داعي الدعاة الإسماعيلية[6]، في إشارة واضحة من الدولة الفاطمية بأن المذهب الإسماعيلي هو أساس التشريع لكل المواطنين على اختلاف مذاهبهم، بما فيهم أهل السنة، وما قام به جوهر الصقلي من الاشتراط على القاضي أبي الطاهر بأن يحكم على أساس المذهب الإسماعيلي قام به الحاكم بأمر الله عندما عين القاضي: أبا العباس أحمد بن أبي العوام[7]، الذي كان على المذهب الحنفي! عندما اشترط عليه ألا يحكم إلا بحضور أربعة فقهاء من المذهب الإسماعيلي، في إشارة واضحة على تخويف قاضي القضاة من الحكم بغير المذهب الإسماعيلي[8].

أحكام المواريث عند الفاطميين:

كانت أحكام القضاء عند الفاطميين تقضي بأن لا يرث مع البنت أخ، ولا أخت، ولا عمّ ولا جدّ، ولا ابن أخ ولا ابن عمّ، ولا يرث مع الولد، ذكرا كان أو أنثى، إلّا الزوج والزوجة، والأبوان والجدّة، ولا يرث مع الأمّ إلّا من يرث مع الولد[9] ! وقد أبدى أبو الطاهر القاضي اعتراضه مخاطبًا لجوهر الصقلي في بنت وأخ، وأنّه كان يحكم في أمرهم للبنت بالنصف وللأخ بالباقي، فأجابه جوهر قائلًا " يا قاضي، هذه عداوة لفاطمة عليها السلام "[10]، فأمسك أبو طاهر ولم يراجعه بعد ذلك.

الحسبة:

---

[1]) النعمان بن محمد بن منصور أبو حنيفة كان مالكيًا، ثم تحول إلى الإمامية وولي القضاء للمعز لدين الله، فصنف له التصانيف على مذهبه، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12ص222.

[2] هو أبو سعيد عبد الله بن محمد أبي ثوبان، قدم صحبة المعز لدين الله من المغرب، ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفي سنة (852هـ-1448م). رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1(1418هـ-1998م، ص199).

[3] حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص190.

[4] علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، ص72.

[5] محمد ابراهيم البيلي: صفحات من تاريخ الدولة الفاطمية، جامعة القاهرة، ط (1428هـ-2007م). ص172.

[6] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص50، 106، 212، 236، 332.

[7] هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث أبو العباس عُرف بابن أبي العوام السعدي يأتي أبوه وعبد الله جده من بيت العلماء الفضلاء، وكان على المذهب الحنفي، القرشي: طبقات الحنفية، ج 1 ص 116؛ المقريزي: المصدر السابق، ج1 ص106.

[8] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1 ص107.

[9] المقريزي: تقي الدين المقريزي المتوفي سنة (845 هـ-1440 م). المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، نشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط2(1427 هـ-2006 م). عدد الأجزاء: 8، ج3ص60.

[10] المقريزي: المصدر السابق، ج3ص59.

بعد دخول جوهر الصقلي لمصر قام بعزل متولي الحسبة السني، وقام بتعيين أخر من الشيعة يدعى أبو جعفر الخراساني[1]، واستمر في وظيفته حتى ساءت الأحوال، فعين بدلًا منه سليمان بن عزة[2]؛ كما جعل ديوان المحتسب على صلة بديوان القاضي، وكان يجلس المحتسب في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وأحيانًا في الجامع الأزهر بالقاهرة، وتولى الخلفاء الفاطميون الحسبة بأنفسهم كالحاكم بأمر الله، كما تولاها الوزراء مثل يعقوب بن كلس سنة (363هـ-974م)، كما أسندت الحسبة إلى القضاة أغلب العصر الفاطمي! وفي عهد العزيز بالله أسند الحسبة إلى رجل نصراني[3] .

الخراج:

عند دخول جوهر الصقلي لمصر كان عامل الخراج علي بن يحيى بن العرمرم، فأقره جوهر شهرًا، ثم أشرك معه رجاء ابن صولان[4] .

الخطابة:

دخل الفاطميون مصر والقائمون على الخطابة في جامع عمرو بن العاص: بنو عبد السميع قرابة ستة عقود؛ فما أن تمكن جوهر من الأمور حتى نحاهم عنها، وأسند الخطابة في جامع عمرو بن العاص إلى جعفر بن الحسن الحسيني، وإلى أخيه في الجامع الأزهر[5].

إظهار الشعائر المخالفة لأهل السنة:

بعد دخول جوهر مصر بأيام قليلة، خطب للمعز في جامع عمرو بن العاص في التاسع عشر من شهر شعبان سنة(358هـ-969م)، وقد ذكر اسم المعز الفاطمي بدلًا من الخليفة العباسي المطيع لله[6] ولقد تحدث الخطيب في الخطبة عن فضائل العلويين الذين سُلب حقهم على أيدي العباسيين ومن قبلهم الأمويين! لقد كان حدثًا خطيرًا في تاريخ الإسلام، وظهر النزاع الديني بين السنة والشيعة بصورة أشد مما كانت عليه في الماضي [7].

وفي ذي القعدة سنة(358هـ-969م) دعا الخطيب لآل البيت وزاد" اللهم صل على المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرًا، اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين"[8] .

وفي شهر جمادي الأولى سنة(359هـ-970م) صلى جوهر الصقلي في جامع أحمد بن طولون وخطب الجمعة عبد السميع بن عمر العباسي! وأذن المؤذنون بحي على خير العمل وهو أيضًا شعار الفاطميين ثم عُمم هذا الآذان في أرجاء مصر.

وفي شهر رمضان سنة(359هـ-970م) صدر أمر بأن تطلى جدران جامع عمرو بن العاص باللون

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص117.
(2) محمد ابراهيم البيلي: صفحات من تاريخ الدولة الفاطمية، ص173.
(3) أمية الشيخ رضا فرحات: الفاطميون تاريخهم وأثارهم في مصر. كُتاب ناشرون، بيروت لبنان، ص411.
(4) المقريزي: المصدر السابق، ج1ص119.

(5) المقريزي: المقفى الكبير، ج3ص59؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص193.
(6) المطيع لله: أمير المؤمنين أبو القاسم بن المقتدر بن المعتضد ولي بعد الخليفة المستكفي وقد بويع بالخلافة سنة (334هـ-946م). وكانت وفاته سنة(364هـ-975م). وقد نزل عن الخلافة بسبب مرضه لولده أبي بكر عبد الكريم ولقبوه الطائع لله، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص23.
(7) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص32؛ علي ابراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، ص60.
(8) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص117. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص32.

الأخضر شعار العلويين [1].

[1]. المقريزي: المصدر السابق، ج1ص120؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص120.

وبعد قدوم المعز إلى مصر أمر أن يُكتب على جدران مصر القديمة عبارة "خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" [1] .

سب الصحابة رضوان الله عليهم:

لقد عمل الفاطميون على لعن الخلفاء الثلاثة الأُول: (أبيبكر وعمر وعثمان) وغيرهم من الصحابة، إذ عدُّوهم أعداء لعلي، وقد ظهر سب الصحابة جهارًا في زمن العزيز بالله الفاطمي[2].

وفي شهر صفر سنة (385هـ-995م) قاموا بنقش سب الصحابة على الجدران داخل جامع عمرو بن العاص وخارجه، وعلى جدران المساجد، وعلى أبواب الحوانيت والمقابر؛ وأحيانًا كانت تلون تلك النقوش بالذهب[3] .

وفي جماد الأولى من سنة (391هـ-1001م) ألقي القبض على رجل من الشام لاتهامه بعدم الاعتراف بإمامة علي بن أبي طالب، فحبسه قاضي القضاة وبعث أربعة من الفقهاء للتحقيق معه، فبذلوا قصار جهدهم في حمله على الاعتراف بإمامة علي، ولكن هذا الرجل ظل على إبائه بالرغم من تدخل قائد القواد الحسين بن جوهر في الأمر وعمل على إقناعه، ولما لم يفلح رفع أمره الى الحاكم فأمر به فقتل وصلب[4] .

وقد عمد الخليفة الحاكم إلى إصدار كثير من الأوامر والقوانين المبنية على التعصب الشديد للمذهب الفاطمي! فأمر في سنة (395هـ -1005م) بنقش سب الصحابة على جدران المساجد، وفي الأسواق والشوارع والدروب، كما أن الخطباء كانوا يلعنون الصحابة على كافة منابر مصر؛ وقد كتب الرسائل إلى سائر العمال في البلاد المصرية بمراعاة ذلك[5]؛ وعند عودة الحجاج طُلب منهم أن يسبوا الصحابة! لكنهم لم يستجيبوا فنالهم من العامة سب وبطش؛ وكانت تنزل العقوبة الصارمة بمن يتمدح بذكر الخلفاء السنيين[6] ! فقد قبض نائب دمشق - تموصلت الأسود البربري- على رجل مغربي وضربه لارتكابه ذنبا لم يذكره المؤرخون، وقد طِيف به في شوارع المدينة، ونُوديَّ عليه: "هذا جزاءُ من يُحب أبا بكرٍ وعُمر" ثم أُمر به فضربت عنقه، رحمه الله تعالى[7]؛ ولاشك أن هذه الأوامر قد أساءت إلى أهل السنة الذين كانوا السواد الأعظم من أهل مصر؛ وقد كان للفتنة التي أثارها أبوركوة[8] سنة (396ه-1006م) دورًا مهما في تغيير سياسة الحاكم إزاء رعاياه السنيين ففي سنة (397ه-1007م) أبطل بعض ما قام به من لعن الخلفاء الأُول وغيرهم من الصحابة [9]، ثم أمر بمحو ما نقش في لعن هؤلاء الخلفاء، وعوقب كل من أقدم علي لعنهم، وعُنف في الشوارع علي مرأى من الناس[10].

---

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2ص190.
(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15ص170؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص220.
(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص178؛ حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص220.
(4) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص39.
(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5ص293؛ حسن ابراهيم حسن: المرجع نفسه، ص220.
(6) المقريزي: المصدر السابق، ج2ص54.
(7) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص207.
(8) أبوركوة: ثائر أموي من نسل هشام بن عبد الملك بن مروان نزل ببني قرة (من قبائل برقة)، ثم خلع طاعة الفاطميين، وبعث السرايا إلى مصر وأرض الصعيد، وعظم أمره، ولقب بالثائر بأمر الله، وخوطب بأمير المؤمنين، وضربت النقود باسمه، وكاد يقضي على دولة الفاطميين بمصر، وانتهى الأمر بهزيمتة، وقطع رأسه وصلبه، المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص60؛ الزركلي: الأعلام، ج8 ص119.
(9) ابن كثير: البداية والنهاية، ج11ص387؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص222.
(10) ابن حماد: أخبار بني عبيد، ج1ص97؛ عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص96.

وقد شاع في زمن المستنصر بالله سب الصحابة ! بل فاق زمن الحاكم بأمر الله، وفي زمن الوزير بدر الجمالي سنة(478 ه-1085م) الذي كان مغاليًا في التشيع، فأظهر العداء والكراهة لأهل السنة، كما أعاد نقش عبارات سب الصابة رضوان الله عليهم[1]، وكذلك ظهر سب الصحابة في عهد العاضد وخاصة في وزارة طلائع بن زرَّيك[2] الذي كان شديد التشيع أرمينيًا رافضيًا في مذهب الإمامية محاربًا لأهل السنة كارهًا لهم[3].

ويبدوا واضحًا من خلال الروايات السابقة أن سب الصحابة ومحاربة أهل السنة كان واقعًا موجودًا طوال حكم الدولة الفاطمية، ويمثل سياسة متبعة من قبل الخلفاء الفاطميين، إلا أن هذا السُباب كان يزيد وينقص تبعًا لاعتدال أو تشدد بعض الحكام والوزراء، فكان التشدد على أهل السنة في عهدالخليفة العزيز بالله (365-386 هـ /975-996م)، والخليفة الحاكم (386 - 411 هـ / 996 - 1021 م)، والخليفة المستنصر بالله (427 - 487 هـ / 1036 - 1094 م)! مع العلم أن هؤلاء الثلاثة مكثوا في الحكم أكثر من نصف عمر الدولة الفاطمية .

تجريم أكل بعض الأطعمة:

وفى سنة (395ه-1005م) صدر قانون يحرم بيع الملوخية لأنه وصل إلى الحاكم بأمر الله أن معاوية بن أبي سفيان كان يحبها، ونهى عن أكل الجرجير لأن عائشة كانت تحب أكله، وعن المتوكلية لأن هذا النبات ينسب إلى المتوكل الخليفة العباسي[4]، وقد نهى الحاكم أيضًا عن أكل القرع، وأخذ على الفلاحين وثائق كتابيه بعدم زرع الملوخية والقرع، وذلك لأنه وصل إليه أن أبا بكر وعائشة كانا يحبان أكلها، ومن العجيب أنه قُبض على جماعه كانوا يأكلون الملوخية فضُربوا بالسياط وطيف بهم في الشوارع ثم ضربت اعناقهم .[5]

الاعتداءات على أهل السنة:

على الرغم من الأمان الذي أعطاه جوهر الصقلي عند دخوله مصر لم يسلم أهل السنة من الاعتداءات والمضايقات، من قبل أتباع مذهب الدولة الفاطمية في أعيادهم ومناسباتهم، ففي سنة(363ه-974م) يوم عاشوراء خرج جماعة من المغاربة - جنود الفاطميين- ومن تبعهم من الشيعة، في مدينة الفسطاط السنية، وقاموا بتكسير أواني السقاية، وأفسدوا في الأسواق، واعتدوا على كل من لم يشاركهم في مظاهر الأسى والحزن بالأذى والسباب، فأصابوا أهلها بالضرر والأذى، وقد ثار جماعة من أهل السنة اعتراضا على اعتدائهم، وكادت تحدث فتنة ومجزرة، فقام أهل السنة بإغلاق دكاكينهم وأسواقهم، خوفًا على أنفسهم وأموالهم من الجنود المغاربة[6].

وكان ذلك في بداية عصر الدولة الفاطمية ومن خلال فرسانها المغاربة، دون تدخل من الدولة الفاطمية، ودون تدخل من الخليفة المعز بالله، ودون تدخل من جوهر الصقلي الذي أعطى المصريين المواثيق والأمان التي كفلت حرية العبادة والمعتقد، في إشارة عن رضى الدولة عن هذه الأفعال.

---

[1] ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5ص120؛ جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص79.
[2] هو أبو الغارات طلائع بن زريك الملقب بالملك الصالح، كان واليًا في الصعيد، استنجد به قصر الخليفة بعد مقتل الخليفة الظافر فجاء إلى القاهرة وتولى الوزارة للخليفة العاضد وزوجه ابنته، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2ص526.
[3] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15 ص156.
[4] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص54.
[5] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5ص293؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص76؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص221.
[6] المقريزي: المصدر السابق، ج1ص145، 146.

كما أن استعمال المغاربة في وظائف الدولة، وقوة نفوذهم جعلتهم يستعملون نفوذهم في إلحاق الأذى بالمسلمين السنة، فنهبوا أملاكهم واحتلوا دورهم وطردوا السكان منها، مما دفع الناس للشكاية إلى المعز فأمر المغاربة بإخلاء هذه الدور [1].

[1]. طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي افريقيا ومصر وبلاد الشام، ص220.

وفي مشهد آخر سنة(490ه-1097م) تجمع عدد كبير من أتباع الدولة الفاطمية في يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة، وأظهروا سب الصحابة، واعتدوا على أهل السنة، وهدموا بعض قبورهم، إلا أن هذه المرة تدخلت الدولة على استحياء من خلال الوزير الأفضل، فأرسل من يمنع هؤلاء من الاعتداء على أهل السنة وضرب بعضهم[1].

يتبين مما سبق أن مشهد الاعتداء على أهل السنة بسبب اعتقادهم في الأعياد الفاطمية تكرر في الدولة الفاطمية، وقد عانى أهل السنة من ذلك، ولم تنته هذه المعاناة إلا في زمن بعض الوزراء، الذين كان لهم ميول نحو العدل، مثل: الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستعلي ووزير الآمر بأحكام الله، وقد كان هذا الوزير حسن الاعتقاد في مذهب السنَّة [2].

وكان المعز لدين الله يدعي إنصاف المظلوم من الظالم، وقد أحضر بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقي أبوبكر النابلسي[3]، فقال له المعز: بلغني عنك أنك قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين - أي الفاطميين - بسهم؟ فقال النابلسي: ما قلت هذا، فظن أنه رجع عن قوله، فقال له: كيف قلت؟ قال قلت: ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر، قال: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم ما ليس لكم[4].

فأمر المعز بإشهاره في أول يوم، وفي اليوم الثاني جلده بالسياط، وفي اليوم الثالث أمر بسلخه - وهو حي- فأوكل به يهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله، فكان يقال له الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من نابلس إلى اليوم [5]، وهذه صورة من تعاملهم مع أهل السنة.

2- سياسة الفاطميين مع أهل الذمة:

لقد كانت سياسة الفاطميين في مصر موجهة إلى هدف واحد وهو حمل الناس على اعتناق المذهب الشيعي، وجعله سائدًا في كل البلاد التي يحكمونها، ولكن ذلك لم يلق قبولًا عند المصريين السنة، فعمل الفاطميون على تقريب أهل الذمة من اليهود والنصارى، واستعمالهم في إدارة شئون الدولة، ولقد حرصت الدولة الفاطمية على إعطاء أهل الذمة الحقوق الكبيرة فاقت أمثالهم من المواطنين من أهل السنة، فكانت كل الوظائف متاحة لهم بما فيها الوزارة، فكان منهم العديد من الوزراء، حيث كان أولهم يعقوب بن كلس اليهودي الذي وليَّ الوزارة للمعز لدين الله وابنه العزيز بالله [6] وبدوره كان يتحيز لإخوانه في الدين [7].

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص20، 21.

[2] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 28ص280.

[3] أبوبكر النابلسي: محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، أبو بكر، الرملي، المعروف بابن النابلسي، كان يعيش في مصر أيام كافور الإخشيدي، فلما قدم جوهر خرج منها إلى الرملة؛ المقريزي: المقفى الكبير، ج5 ص99.

[4] ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة (597هـ-1200م)، المنتظم في تاريخ الأمم، ج14ص245.

[5] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7ص320.

[6] ابن أبي أصيبعة :أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي أبو العباس ابن أبي أصيبعة، المتوفي سنة (668ه-1269مـ). تحقيق: نزار رضا، نشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، عدد الأجزاء: 1، ص547؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 28 ص153.

[7] عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص117.

ففي زمن العزيز بالله تقلد الوزارة عيسى بن نسطروس النصراني، كما عين منشا بن ابراهيم اليهودي واليًا على الشام، فقويت شوكة النصارى واليهود بهما، فكان لهم العزة في الدولة الفاطمية، وكثر أذى المسلمين على يد اليهود والنصارى، حتى وصلت شكاية المسلمين إلى العزيز بالله، ولقد بلغ من حال الساخطين! أن كتب أحدهم شكاية وأعطاها امرأة لتقف في طريق العزيز وتسلمها له، وفي الرسالة " أسألك بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، وأعز اليهود بمنشا بن ابراهيم، وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري"[1].

ولما اطلع العزيز بالله على الرسالة أمر بالبحث عن المرأة، فلم يعثروا لها على خبر؛ فاستطلع العزيز بالله ما كان منهما بحق المسلمين فعزلهما، وصادر منهما أموالًا عظيمة[2]، لكن الأميرة ست الملك ابنة الخليفة شفعت له فأعاد العزيز بالله عيسى بن نسطورس إلى الوزارة ثانية، لكنة أمره باستخدام المسلمين في الدواوين[3].

لقد كان سبب قوة النصارى في زمن العزيز بالله يرجع لزواجه بمسيحية، والتي كان لها التأثير البالغ عليه، مما جعله يتبع سياسة تمييز النصارى عن باقي مواطني الدولة، ففتح لهم أبواب الوظائف العليا[4]، كما أن العزيز بالله عين أخويَّ زوجته بطريرقين أحدهما في الإسكندرية، والآخر في بيت المقدس سنة(375ه-985م) ! مما يدل على أن زوجته ذات تأثير عليه، كما واصلت ابنته ست الملك دور أمها في التأثير على أبيها تجاه النصارى[5]كما سمح أيضًا للبطريرق القبطي: إفراهام بإعادة بناء كنيسة أبي سيفين المخربة بظاهر الفسطاط[6] .

وفي زمن الخليفة: الحاكم بأمر الله، قلد فهد بن ابراهيم النصراني الكتابة، ولما قتل برجوان[7] ولاه الوزارة، وأولاه ثقته وقَدَّمه على غيره[8]، لكنه أظهر ميله للنصارى على حساب المسلمين، كما أسند كثيرا من مناصب الدولة إليهم، مما أدى إلى سيطرتهم على دواوين الحكومة، وظُلمهم للمسلمين، علاوة على سيرته السيئة، واختلاسه أموال الدولة، فلما أخبر منافسوه الحاكم بحقيقة أمره انقلب عليه، وأمر بقتله سنة(393ه-1003م)[9]؛ كما أمر بسجن الكُتاب النصارى الذين معه، لكن طبيبه سهل بن مقشر النصراني شفع لهم، فأخرجهم من السجن، وأعادهم إلى وظائفهم [10].

---

[1]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص115؛ حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص200.

[2]. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11ص432؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج4ص115.

[3]. ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1ص57؛ حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص200.

[4]. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11ص432؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4ص115.

[5]. يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ج1ص196؛ جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص81.

[6]. حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص200. نقلًا عن: أبي شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم.

[7]. برجوان: الأستاذ أبو الفتوح وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة، تولى الوزارة في عهد العزيز بالله، ثم الحاكم بأمر الله، وكان نافذ الأمر مطاعًا، ثم سخط عليه الحاكم بأمر الله فأمر بقتله سنة (390ه-1000م).
ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص270.

[8]. ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ج1ص82.

[9]. ابن القلانسي: المصدر السابق، ج1ص92؛ سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1415ه-1995مـ). ص63.

[10]. يحيى بن سعيد: تاريخ الأنطاكي، ج1ص252.

وفي سنة(400ه-1010م) تولى الوزارة: أبو نصر بن عبدون الكاتب النصراني، وكان قبل ذلك يتولى ديوان الخراج من غير شريك معه، ولقبه الحاكم بالقاضي بدلًا عن أبو الفضل صالح بن علي الروزباري، الذي قتل في نفس السنة[1] .

وفي سنة (409ه-1018م) تولى الوزارة: صاعد بن عيسى بن نسطروس، ولقب بالظهير وذلك بعد مقتل الوزير علي بن جعفر بن فلاح[2].

وفي زمن الحافظ لدين الله استوزر برهم النصراني الأرمني سنة(525ه-1035م)، ولقب بسيف الإسلام تاج الملوك، فاعترض أكابر الدولة على ذلك، فهددهم الحافظ لدين الله[3] فشق على الناس وزارته، وتطاول النصارى في أيامه على المسلمين، وعلاوة على ذلك فقد أذن الحافظ لوزيره برهم، باستقدام أهله وغيرهم من الأرمن، حتى كان عددهم ثلاثين ألف إنسان، فاستطالوا على المسلمين، وجار الوزير برهم على الناس جورًا عظيمًا واستباح أموالهم[4]، وبنيت في أيامه كنائس وأديرة كثيرة، حتى إن كل رئيس من أهله كان له كنيسة، وخاف الناس منهم أن يغيروا الملة الإسلامية، ويغلبوا على البلاد.

وقد ولى أخاه الباساك أعمال قوص [5]، فجار كثيرًا على أهلها، فلما جاوز ظلمه كل الحدود شعر بالخوف ممن ظلمهم من كبار الدولة، فهرب سنة(531ه-1137م)[6]، فعزله الحافظ لدين الله من الوزارة، لكنه ما لبث أن أعاده وجعله مستشاره في تدبير شئون الدولة[7]، كما أسكنه القصور، ولما مات حزن عليه حزنًا شديدًا، وأمر بإغلاق الدواوين ثلاثة أيام، وأقام له جنازة عظيمة حضرها الكثير من الأعيان، وبقي عند قبره وبكاه بكاءً شديدا[8] .

لقد كان لأهل الذمة مكانة كبيرة في الدولة الفاطمية، فلقد تولوا الوزارة في وقت مبكر من عمر الدولة، في حين أن أهل السنة لم يحظوا بوزارة إلا في نهاية عمر الدولة، عندما ولى رضوان بن ولخشي الوزارة[9] .

ولقد تولى الكثير من النصارى واليهود مناصب عليا في الدولة الفاطمية، فقام الحاكم بأمر الله بتولية أبي الخير زرعة بن عيسى بن نسطروس منصب الوزارة، ولقبه بالشافعيّ (10)، محاكاة لقدر الشافعي عند أهل السنة، وقد ظل في هذا المنصب حتى وفاته؛ فكانت مدة توليه منصبه سنتين وشهرا؛ وقد ندم الحاكم على وفاته من غير قتل، وقال " ما أسفت على شيء قط أسفي على خلاص ابن نسطورس من سيفي، وكنت

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص76، 82، 83.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص114.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج3 ص155؛ عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص117.

(4) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 28ص302.

(5) المقريزي: نفسه، ج3ص158.

(6) النويري: المصدر السابق، ج28 ص302.

(7) المقريزي: المصدر نفسه، ج 3ص163.

(8) النويري: نفسه ج28ص306.

(9) النويري: نفسه، ج28ص302.

(10) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص93؛ سلام شافعي محمود: أهل الذمة في العصر الفاطمي الأول، ص67.

أود ضرب عنقه، لأنه أفسد دولتي، وخانني ونافق علي "[1] .

وفي زمن الخليفة الظاهر لدين الله، زادت مكانة أبي سعيد سهيل بن هارون الدستري اليهودي لدى الخليفة الظاهر، وكان يستخدمه في إدارة أمواله وتجارته، وحدث أن اشترى للظاهر جارية سوداء اسمها رصد، وقد أعجب بها الخليفة، وولدت له ابنه المستنصر بالله، وقد قامت تلك الجارية برد الجميل وذلك بتقديم أبي سعيد اليهودي لابنها المستنصر بالله زمن خلافته، فعظُم شأنه، حتى أصبحت له كلمة في كل شئون الدولة[2]، ولقد كثر أذى سهيل بن هارون الدستري على المسلمين، حتى إن المسلمين كانوا يحلفون "وحق النعمة على بني اسرائيل"[3].

وفي زمن المستعلي كان هناك يهودي اسمه ابن منجا كان يشرف على المنطقة الشرقية، فطلب منه أهلها أن يحفر لهم ترعة، فرفع الأمر إلى الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلي بالله الفاطميّ فوافق، وأرسل النفقات، وعندما دخل بها الماء شكلت بحرًا سُمي ببحر أبي المنجا؛ فقال الأفضل غرمنا عليه هذا المال العظيم، والاسم لأبي المنجا[4].

وفي عهد الآمر بأحكام الله، أنشأ الأفضل ديوانًا وسماه: ديوان التحقيق، وتولاه أبو البركات يوحنّا بن أبى اللّيث النّصراني؛ وبقي فيه إلى أن قُتل في سنة (528ه-1038م) [5].

وفي زمن الحافظ لدين الله كان هناك نصراني تولي ديوان النظر، يعرف بالأخرم، كان مسرف، فكان يبذل في كل يوم ألف دينار سوى المؤن والغرامات، فآذى المسلمين وشق عليهم، فصرفه رضوان بن ولخشي واستخدم غيره[6].

وفي زمن الخليفة الآمر بأحكام الله، اتصل راهب نصراني اسمه أبو نجاح بن كنا، بالآمر بأحكام الله وشاركه مصادرة أموال النصارى، فأصبحت له مكانة كبيرة لدى الآمر بأحكام الله حتى إنه كانت تصنع له ملابس مخصوصة[7]، ولقبه الخليفة الآمر بالأب القديس الروماني النفيس أب الآباء وسيد الرؤساء مقدم دين النصرانية وسيد البتركية صفي الرب ومختاره وثالث عشر الحواريين[8] .

وفي سنة(523ه-1129م) تحكم في الناس وأخذ الأموال دون حق، فلم يسلم من شره أحد من قضاة وكتاب وتجار، فلم يبق أحد إلا وناله منه مكروه وضرب[9]، فكان يجلس في جامع عمرو بن العاص، ويستدعي الناس ويصادر أموالهم وكان من أقوال هذا الراهب " نحن ملاك هذه الديار حرثًا وخراجًا وملكها المسلمون منا وتغلبوا عليها واغتصبوها واستملكوها من أيدينا"[10] .

فبلغ أذى النصارى للمسلمين في زمنه الشيء الكثير[11]، فدخل جماعة من الناس على الآمر وخوّفوه من شره، وعرّفوه ما حلّ بالمسلمين منه فاستدعاه، وكان في المجلس رجل من الأشراف، فأنشد الآمر أبياتا منها: " إن الّذى شُرّفت من أجله ... يزعم هذا أنّه كاذب ".

---

(1). المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص93.
(2). المقريزي: المصدر نفسه، ج2 ص191.
(3). النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28ص 275.
(4). القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3 ص336.
(5). النويري: المصدر السابق، ج3 ص191.
(6). المقريزي: نفسه ، ج3 ص165.
(7). النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28 ص293.
(8). القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج13ص369.
(9). القلقشندي: المصدر السابق، ج13ص369.
(10). عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص201.
(11). النويري: المصدر السابق، ج28ص293.

فقال له الآمر: ما تقول يا راهب؟ فسكت. فأمر الآمر بقتله، وأعاد للمسلمين أموالهم[1].

كما أتاحت الدولة الفاطمية كل الوظائف لأهل الذمة، بل كان لهم أفضلها وأقربها من القصر؛ فكان طبيب العزيز بالله ابن النصير النصراني، ولما مرض العزيز بالله عمل له ابن النصير دواء، فشربه في حوض الحمام، ومات من ساعته، ولم يكن معه من أهله أحد إلا ابن النصير النصراني الطبيب، وغلامه ابن جوان الخادم، فأخرج من الحمام ميتًا وحمل إلى القاهرة فدفن بها [2]

وفي عهد الحاكم بأمر الله عين يعقوب بن نسطاس النصراني طبيبًا للقصر وذلك سنة(394ه-1004م) كما منحه دارا بالقاهرة، وقد مات هذا الطبيب مخمورًا في بركة ماء، ولما علم الحاكم أمر به فحمل إلى الكنيسة في تابوت، وقد سار أهل الدولة في جنازته، ومعهم شموع كثيرة أشعلوها، ومداخن فيها بخور، ثم أعيد إلى داره فدفن بها[3]؛ ولما مات عين طبيب آخر للقصر يهودي يدعى صقر، وقد خلع عليه الحاكم وحمله على بغلة، وأنزله في دار كما ينزل الأمراء، وأُعْطِيَ فيها جميع ما يحتاج إليه، وقيل له هذه دارك؛ مع ما منحه من الأموال [4].

أما الخليفة الحافظ لدين الله، فقد استخدم طبيبا يهوديا في أثناء فتنة ابنه الوزير حسن بن الحافظ، ولما وجد منه ما يسره جعله طبيبًا خاصًا للقصر [5]، وفي ذلك دلالة على مدى ثقة الخلفاء الفاطميين بأهل الذمة فاستأمنوهم على حياتهم الخاصة.

كما كان من أهل الذمة جنودا للدولة الفاطمية، فعندما غضب المعز لدين الله على الفقيه والعالم أبي بكر النابلسي أمر بقتله وصلبه، فكان الذي تولى ذلك الأمر جندي يهودي قام بسلخه و قتله [6].

لعل إلحاق الدولة الفاطمية لأهل الذمة في الكثير من الوظائف يرجع إلى تفضيلهم على غيرهم من المصريين، فالدولة الفاطمية عندما حكمت مصر، لم يكن لها الكثير من الأتباع القادرين على تسيير أمور الدولة غير القليل من المغاربة قليلي الخبرة في الإدارة، فكان خيار الدولة الفاطمية الاعتماد عليهم بدلًا من أهل السنة؛ بل إن وجود أهل الذمة الواسع في الوظائف العليا دليل على أن كثيرًا منهم كانوا في الوظائف المتوسطة والعادية التي تدرجوا بها للوصول للوظائف العليا.

كما أعطت الدولة الفاطمية للنصارى الحرية في أعيادهم، وقد شاركوهم فيها في بعض الأحيان ففي سنة (388ه-998م) كان عيد الغطاس[7]، فضربت الخيام والأشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل، كما نُصبت الأسِرةَ للوزير فهد بن إبراهيم، وأوقدت الشموع والمشاعل، وحضر المغنون، وبقي النصارى

---

[1]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3ص126.

[2]. ابن حماد: محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أبو عبد الله المتوفي سنة (628هـ-1230م). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، نشر: دار الصحوة – القاهرة، عدد الأجزاء:1، ج1ص94.

[3]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص70.

[4]. المقريزي: المصدر السابق، ج2ص73؛ عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص203.

[5]. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9ص60.

[6]. ابن الجوزي: المنتظم في التاريخ، ج14ص246.

[7]. عيد الغطاس: يحتفل به نصارى مصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبه، والنصارى يعتقدون أن نبي الله يحيى بن زكرياء المعروف عندهم بيوحنا المعمدانيّ، قد عمّد المسيح في بحيرة الأردن، وعندما خرج من الماء، اتصل به روح القدس، لذلك النصارى يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم، ويسمونه يوم الغطاس ومن مظاهر الاحتفال به الاجتماع، ونزول الماء، وإظهار الملاهي، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج2 ص260؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2 ص29.

حتى وقت الغطس فغطسوا وانصرفوا [1].

وفي عيد الفصح أهدى الحاكم بأمر الله إلى الوزير فهد بن إبراهيم هدية حُملت إلى داره، ومعها بغلتان بمركبيهما وألف دينار.[2]

إلا أن هذه الحرية اعتدي عليها في زمن الحاكم بأمر الله سنة(401ه-1011م) حيث أمر بمنع النصارى من الغطس، فلم يُر أحد منهم على شاطئ النيل كما جرت عادتهم.[3]

وعلى الرغم مما تمتع به أهل الذمة في الدولة الفاطمية، إلا أنهم تعرضوا لبعض التمييز الشكلي وخاصةً عامتهم، كما منع جوهر الصقلي اليهود سنة (362ه-973م) من الخروج إلى الشوارع دون غطاء للرأس[4].

وقد تعرض أهل الذمة زمن الحاكم بأمر الله لفترة استثنائية من تاريخ الدولة الفاطمية؛ حيث تعرضوا إلى التضييق وسلب بعض الحقوق، فلقد أمر الحاكم بأمر الله سنة(392ه-1002م) بالقبض على جماعة من كبار الموظفين النصارى، واستولى على أموالهم[5]، إلا أنه عاد وأمر بإطلاق سراحهم في نفس السنة [6].

وفي سنة (399ه-1009م) أُمر النصارى أن يلبسوا العمائم السود، وأن يضعوا في أعناقهم صلبانًا طولها ذراع، ووزنها خمسة أرطال، وألا يركبوا شيئًا من المراكب المزخرفة، وألا يستخدموا أحد من المسلمين، وأن لا يركبوا حمارًا، ولا سفينة مسلم، وأن يدخلوا الحمامات بالصليب؛ كما أفرد لهم حمامات خاصة، وجعل عليها صورا للصلبان [7]؛ كما هدم كنائس القنطرة، وكنائس حارة الروم [8].

كما أُمر اليهود بلبس العمائم والطيالس السود على رؤوسهم؛ وأُمروا أن يحملوا في أعناقهم القرائن الخشب وزنها خمسة أرطال، وألا يركبوا المراكب المزينة، وألا يستخدموا أحد من المسلمين، وأن لا يركبوا حمارًا، أو سفينة يملكها مسلم؛ وأن يدخلوا الحمامات وفي أعناقهم الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين، ثم أفرد لهم حمامات خاصة عليها صور تماثيل [9].

ثم أمر النصارى بلبس الأزرق، واليهود بلبس الأصفر، وألا يركبوا خيولًا أو بغالًا، وجعل على كل كنيسة لهم مسجدًا يؤذن فيه على رؤوسهم[10] .

وفي سنة (402ه-1012م) كانت أشد قراراته حيث أمر بهدم جميع كنائس النصارى [11]؛

---

[1] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، ج2ص30.
[2] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص18.
[3] المقريزي: المصدر السابق، ج2ص86.
[4] المقريزي: المصدر نفسه، ج1ص132.
[5] المقريزي: نفسه، ج2ص44؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5ص294.
[6] المقريزي: نفسه، ج2ص45.
[7] ابن حماد: أخبار بني عبيد، ج1ص99؛ المقريزي: نفسه، ج2ص76.
[8] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص79.
[9] ابن حماد: أخبار بني عبيد، ج1ص99؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5 ص294.
[10] ابن تغري بردي: أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري المتوفي سنة (874هـ-1469م). مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، عدد الأجزاء: 2، ج1ص274.
[11] ابن خلكان: المصدر السابق، ج5 ص294؛ اليافعي: عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي المتوفي سنة (768هـ-1367م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1(1417هـ-1997م).، ج3ص20.

كما أمر بهدم جميع البيع في جميع أنحاء الدولة، وأمر بمصادرة كل ما في الكنائس والبيع من أموال[1].

وأمر اليهود والنصارى بأن يُسلموا أو يُرَحلوا إلى بلاد الروم، فأسلم الكثير منهم [2]، كما منع أهل الذمة من امتلاك العبيد والجواري، ثم عاد الحاكم بأمر الله كعادته عن قراراته، وأمر بإعادة بناء الكنائس والبيع، وإعادة ما أخذ منها من الأموال، وسمح لمن أسلم من النصارى بالعودة إلى دينهم، فعاد كثير منهم إلى دينهم [3]، وكل ذلك من أثر تقلبات الحاكم بأمر الله؛ وبذلك عاد أهل الذمة إلى وضعهم السابق في الدولة الفاطمية.

---

(1). ابن خلكان: المصدر نفسه، ج5ص294، اليافعي: المصدر السابق، ج3ص20.

(2). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7ص559.

(3). ابن الأثير: المصدر السابق، ج7ص559.

لقد كانت إجراءات الحاكم بأمر الله ضد أهل الذمة استثناءً في عصر الدولة الفاطمية ولم تكن إجراءات دائمة، فالحاكم بأمر الله عرف بالتقلب في قراراته مع كل الرعية من المسلمين، وأهل الذمة. وعرف عنه الشدة مع كل طبقات المجتمع، حتى مع المقربين، فالمضايقات مورست مع الجميع، فلم يكن لأهل الذمة استثناء من ذلك [1].

تعرض النصارى لفترة أخرى من المضايقات سنة(440هـ-1048م) في عهد المستنصر بالله تتمثل في إغلاق أبواب الكنائس في مصر والشام، وزيادة الجزية عليهم؛ كما طالب الرهبان بدفع جزية لأربع سنين؛ وكانت هذه المضايقات نكاية في الروم لتقربهم من السلاجقة[2].

بعد ذلك عاد أهل الذمة إلى مكانهم في الدولة، واستمروا على نفوذهم، وتقلدوا المناصب العالية في الدولة حتى سنة(532هـ-1138م) عندما تولى الوزارة رضوان بن ولخش الذي هاله نفوذ أهل الذمة! فأصدر العديد من القرارات التي حدت من نفوذهم، فمنع اليهود من إرخاء الذوائب[3]، وركوب البغال، وأمرهم بلبس الطيالسة التي تميزهم عن غيرهم[4]، وأمر النصارى بشد الزنانير المخالفة لألوان ثيابهم، وأمرهم بألا يمروا على مساجد المسلمين وهم ركبانًا، وأمر أن تؤخذ الجزية منهم من مكان مرتفع وهم وقوف أسفله! وكان النصارى يتكنون بأبي الحسن، وأبي الحسين، وأبي الظاهر؛ فمنعهم من ذلك، وأمرهم أن يبيضوا قبورهم[5] .

يتبين مماسبق أن الفاطميين في أغلب أحوالهم، وأيامهم كانوا يعاملون أهل الذمة معاملة حسنة، وكانوا يقلدونهم أعلى مناصب الدولة، كما كانوا مُقدَّمين عن أهل السنة من المصريين.

3- مظاهر الحياة الاجتماعية والاحتفالات التي أحدثوها:

لقد عانى الفاطميون في المغرب من كثرة الثورات، فلما قدموا مصر أرادوا أن يجعلوا من أيام المصريين سلسلة متصلة من الاحتفالات والأعياد، وذلك لينشغل الناس وإليهم ترجع ظاهرة الاحتفال بالمناسبات الدينية.

الأعياد الاسلامية:

الاحتفال بشهر رمضان:

قال تعالى ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾[6] لقد عرفت مصر الإسلامية مظاهر الاحتفال بشهر رمضان قبل مجيء الفاطميين، وخاصة في العصرين

---

(1). ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج4 ص76.
(2). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2ص230.
(3). الذؤابة: ما يدلي من شعر الرأس؛ العيني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني، المتوفي سنة (855هـ-1451م). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ج22 ص56.
(4). المقريزي: المصدر السابق، ج3ص165.
(5). المقريزي: المصدر نفسه، ج3ص165.
(6). البقرة: أية 185.

الطولوني والإخشيدي[1]؛ فقد كانوا يحتفلون برؤية هلال رمضان، فلما جاء الفاطميون مصر أبطلوا رؤية الهلال، وعملوا بالحساب حيث كان احتفالهم هو الإعلان عن بداية شهر رمضان، وكان ذلك يتم بخروج الخليفة في موكب رسمي كبير، كما كان الخلفاء يرسلون الكتب والبشارات إلي ولاة الأقاليم وحكام البلاد الخاضعة للدولة الفاطمية [2]؛ كما أن الاحتفال بشهر رمضان كان عند الفاطميين له طابع ولون معين، فهو مناسبة لإظهار كثرة إنفاق الدولة وثرائها، من خلال ما تقدمه من أسمطة متنوعة من المآكل والمشرب، ومن مظاهر الاحتفال أيضًا بشهر رمضان انتشار الفوانيس المضاءة بالشموع، والمعلقة بالشوارع والحارات[3]، ولم تكن الفوانيس للإنارة و الزينة فقط، بل كانت توضع فوانيس كبيرة مضاءة على مآذن المساجد، والجوامع من المغرب حتى موعد الإمساك عن الطعام[4]؛ كما تغلق محلات بيع الخمور في رمضان[5].

المولد النبوي الشريف:

اهتم الخلفاء الفاطميين بالاحتفال بالمولد النبوي صلى الله عليه وسلم [6]، ومنذ مطلع القرن الرابع الهجري وهم يحتفلون به، حيث يتم الاستعداد للمولد النبوي الشريف بتوزيع كميات كبيرة من الحلوى بأشكال مختلفة[7]، وكذلك توزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين، مع الأطعمة والحلوى والخبز، كما كانوا يقرأون السيرة النبوية في المساجد [8].

رأس السنة الهجرية:

كان الخلفاء الفاطميون يعتنون بليلة أول محرم من كل عام، لأنها أول ليالي السنة الهجرية، وكان هذا الاحتفال مثال الروعة والبهاء، وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يُعد بمطبخ القصر طعام كثير، ويفرق على جميع الحاضرين من أصحاب الرتب، والدواوين، وأرباب السيوف والأقلام، وكان يصل هذا الطعام إلى بعض العامة من ساكني القاهرة والفسطاط؛ كما يأمر الخليفة بتوزيع الدنانير والدراهم التي أمر بضربها بدار الضرب في العشر الآخر من ذي الحجة بتاريخ السنة الجديدة على الحاضرين؛ كما كان الخليفة يخرج للناس في موكب عظيم[9] .

الاحتفالات بليالي الوقود:

وهذه الليالي هي أول شهر رجب، ونصفه، وأول شهر شعبان ونصفه [10]، والفاطميون هم أول من احتفلوا بهذه الليالي، وكان من مظاهر هذه الاحتفالات إضاءة الجوامع من الداخل والخارج، وإضاءة المآذن

---

[1]. عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص133.

[2]. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2ص438.

[3]. ابن شاكر: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين المتوفي سنة (764هـ-1363م).، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر – بيروت، ط1، عدد الأجزاء: 4، ج3 ص28.

[4]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2 ص438؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان: المرجع السابق، ص133.

[5]. المقريزي: المصدر السابق، ج3 ص82.

[6]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2 ص436.

[7]. عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص126.

[8]. محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص147.

[9]. المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص436.

[10]. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3 ص574.

والشوارع، ويحضر الناس على مختلف طبقاتهم لهذه الناسبة[1]، وكذلك كان يوزع أصناف الطعام والحلوى، وكان الناس يجتمعون في الجامع الأزهر، ومعهم الفقهاء والقراء والمنشدين وكبار رجال الدولة. وكان بجوار الجامع الأزهر منظرة تشرف عليه؛ يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالي الوقود[2]؛ ويكثر فيها الخلفاء من الصدقات، وإطعام الفقراء والمتعبدين في هذه الأماكن، وظل هذا الامر معمولًا به في الدولة الفاطمية، لكن في عهد الحاكم أبطل مظاهر الاحتفال ثم أعيد بعد ذلك، وكانت الموائد تمد في هذه الليالي في الجوامع والمساجد تحوي أصناف الطعام، ويترك للعامة والفقراء يأخذون منه ما يحتاجون، [3] ويستمر الأطفال باللعب، كما كانت تباع الحلوى مصنوعة على شكل حيوانات وعرائس، وأما في داخل قصر الخليفة، فكان قراء القصر يقرأون القران بحضرة الخليفة، ثم يتقدم الخطباء والشعراء فيتكلمون ويمدحونه، ومن ذلك مدح الشاعر عمارة اليمني للخليفة العاضد بقصيده مطلعها:

فرض على الشعر أن يبدأ بما يجب   من الهناء الذي وافى له رجب [4].

وظلت هذه الاحتفالات طوال الدولة الفاطمية، ولعلنا نجد أثرًا في أيامنا من هذه الاحتفالات التي تقيمها الدولة في أول رجب، وفي أول شعبان، ونصف شعبان.

الأعياد الخاصة بالمذهب الشيعي:

اهتم الخلفاء الفاطميون في مصر بالاحتفال بأعياد خاصة بالمذهب الشيعي، مع أنهم لم يحتفلوا بهذه الأعياد الشيعية أثناء وجودهم بالمغرب[5]، وربما يرجع ذلك لاعتبارهم أن مصر العاصمة الحقيقية لدولتهم، فعمدوا إلى إحياء ذكرى لأحداث مهمة في تاريخ الحركة الشيعية، وتطورها ذات الطابع المذهبي، وكانت الدولة خلال هذه الأعياد تظهر من بذخها وثرائها ممثلًا في الأعطيات والموائد والصدقات ومن هذه الأعياد:

الاحتفال بذكري استشهاد الحسين بن علي في كربلاء:

بدأ اول احتفال بتلك الذكري في مصر في العصر الفاطمي في العاشر من محرم سنة (363هـ-973 م) وفي ذلك الموعد كانت تخرج جماعات كبيرة من الشيعة إلى الشوارع في حراسة جنود الفاطميين، وكانوا يصيحون بالنياحة والبكاء علي الحسين، وكانوا يأمرون المصريين بغلق متاجرهم، ومن يخالف يتعرض للاعتداء[6]؛ وكانوا يقومون بمهاجمة الأسواق وإتلاف أواني السقائين، وتمزيق قرب الماء، مما أدي إلى وقوع شجار بينهم وبين المصريين، وتدخل القائد المغربي أبو محمد الحسن بن عمار، وباعد بين الفريقين وحسم الأمر قبل وقوع الفتنة، كما كانوا يهاجمون بني أمية ويتهمونهم بالفسق، ويلعنونهم لأنهم السبب في مقتل الحسين.

وكان الخلفاء الفاطميون في هذه المناسبة يحتجبون؛ فلا يظهرون تعبيرًا عن حزنهم وجزعهم[7]؛ ويُقِرون تعطُّل الأسواق، وكان الشيعة يخرجون جماعات، ومعهم المنشدون في الطرقات يتصايحون بالبكاء وإنشاء المراثي، ثم ينطلقون في وقت الضحى إلي الجامع الازهر، حيث يُجرى الاحتفال الرسمي للدولة

---

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2ص392.
(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص392.
(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج 4 ص332.
(4) عمارة بن علي بن زيدان الحكمي اليمني، أبو محمد، نجم الدين المتوفي سنة (569هـ-1174م).
النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى تصحيحه: هرتويغ درنُبرغ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس، ط (1314هـ-1897م)، ص171.
(5) عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص151.
(6) المقريزي: المصدر السابق، ج2ص436.
(7) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2 ص330.

الذي يترأسه قاضي القضاة، وبصحبته الوزير، وكبار رجال الدولة، والعلماء، ومعهم داعي الدعاة، ويبدأ الاحتفال بقراءة القران، كما كان يتنافس الشعراء والمنشدون في ذكر المراثي في الحسين وأهل البيت، فيضج الحاضرون بالبكاء والنحيب [1].

وكانوا أحيانًا يذبحون عند قبر الحسين عددا من الإبل والبقر والغنم، ويتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين[2]؛ وفي هذه المناسبة يفعل الشيعة الكثير من مظاهر الغلو والفوضى؛ وكثيرًا ما يحدث اعتداءات على أموال الناس وحرماتهم؛ كما أن المنشدين كانوا يتخذون من النوح علي الحسين في هذا اليوم مصدرًا للتربح، والحصول على الصدقات، ويطلبون من التجار وأصحاب الحوانيت في الأسواق الهبات المالية؛ كما كانوا يتطاولون على الصحابة رضوان الله عليهم.[3]

وفي مشهد آخر سنة(490ه-1097م) تجمع عدد كبير من أتباع الدولة الفاطمية في يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة، وأظهروا سب الصحابة، واعتدوا على أهل السنة، وهدموا بعض قبورهم ! إلا أن هذه المرة تدخلت الدولة على استحياء من خلال الوزير الأفضل، فأرسل من يمنع هؤلاء من الاعتداء على أهل السنة، وعاقب بعضهم[4].

وكانوا في يوم عاشوراء يضعون سماط الحزن وعلى الطعام المالح والمخللات[5].

يوم الغدير:

بدأ الفاطميون بالاحتفال بهذا العيد في مصر، منذ دخول المعز لدين الله مصر في سنة (362هـ - 972م)، وهذا العيد يحمل ذكري مهمة من دعائم دعوتهم؛ التي تؤكد أحقية علي بن ابي طالب في الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي أحقية الخلفاء الفاطميين بسبب انتسابهم الي عليً وزوجته فاطمة، ويكون الاحتفال بهذا العيد في الثامن عشر من ذي الحجة[6]، وقد تجمع عدد كبير من أهل مصر والمغاربة من الشيعة للدعاء وللاحتفال بهذا اليوم فسر المعز بذلك، وقد اهتمت الدولة بهذه المناسبة؛ فأصبح له رسوم محددة، فيخرج موكب الخليفة فيه بدون مظلة، ويجتمع الناس في الجامع الأزهر في أعدادٍ غفيرة، ومعهم الفقهاء والقراء والمنشدون، فيقومون بقراءة القرآن والوعظ والإنشاد[7].

وكان بعض المصريين يشتركون في هذا الاحتفال، لما تغدقه الدولة من المنح والهبات وعتق الرقاب

---

[1]. المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص331؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص155.
[2]. المقريزي: المصدر نفسه، ج2 ص436.
[3]. المقريزي: نفسه، ج2 ص436.
[4]. المقريزي: نفسه، ج3 ص20، 21؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان: المرجع السابق، ص156.
[5]. المقريزي: نفسه، ج2، ص331؛ رشا خليل أحمد علي: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، ص102.
[6]. في مثل هذا اليوم من سنة (10هـ-632م). نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمكان بين مكة والمدينة، يعرف بغدير خم، به عين ماء وحوله شجر كثير، وبعد أن صلي الظهر أخذ بيد علي بن ابي طالب وقال: ألستم تعلمون أني أولي بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلي، فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حديث دار؛ أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفي سنة (241هـ-855 م). فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1(1403هـ-1983م). ج2ص586؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2ص445.
[7]. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2، ص255.

والصدقات، وتزويج الأيامي وأعمال الخير[1]؛ وكان يُذبح في هذا العيد من الذبائح أكثر مما يُذبح في عيد الأضحى! وكان الخليفة يتوجه في الصباح الباكر من هذا اليوم الي المنحر، ويذبح بيده أكثر مما يذبح في عيد الأضحى! فهذا العيد يعدونه عندهم أعظم من العيد الأضحى[2]! وكان الجزارون يذبحون أعدادًا كبيرة من الذبائح، وتهدى لحومها إلى خواص المتشيعين، وأنصار المذهب الفاطمي، وكان المؤذنون في هذا اليوم يكبرون تكبير العيد[3].

الاحتفال بمولد علي بن ابي طالب وزوجته فاطمة والحسن والحسين والخليفة الفاطمي الحاضر:

وهذه من الأعياد الشيعية ذات الطابع الخاص، وكانوا يطلقون عليها مولد الأجداد والخليفة الحاضر، وقد اندثرت بعد زوال الدولة الفاطمية، وكانت هذه الأعياد ذات تواريخ محددة يعرفها الشيعة، ويحتفلون بها، ويبدو أنها كانت على غرار الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[4]؛ وهذا الاحتفال يشمل توزيع الأطعمة والحلوى، التي صنعت في دار الفطرة، فكانت توزع على المتصدرين للتدريس، والقراء بالجوامع، وكذلك طلبة العلم بالإضافة الي الفقراء والمحتاجين.

وفي تلك الليالي يقام احتفال في القصر يحضره القاضي، وداعي الدعاة، والفقهاء والشهود، وقراء الحضرة، ويجلس الخليفة في المنظرة التي في أعلى القصر[5]، ويتقبل التهاني من كبار رجال الدولة والحاضرين، الذين يقبلون الأرض بين يديه، ويبدأ هذا الحفل بقراءة القرآن ثم تلقى الخطبة، ويمدحُ فيها الخطيبُ الخليفة[6]، ثم ينشد الشعراء والمنشدون الأبيات المناسبة لهذا المقام، وفي أخر الحفل توزع الهبات على رجال الدولة، والصدقات علي الفقراء والمحتاجين، كما كان يُعطى للقائمين علي خدمة المشاهد الشريفة كميات كبيرة من السكر والدقيق والعسل واللوز والزيت، لتوزع علي المساكين بالجامع العتيق بالفسطاط، والجامع الازهر بالقاهرة. [7]

عيد النصر:

كان الفاطميون يعدون هذا العيد بمثابة انتصار للمذهب الشيعي، وهو يحيي ذكرى خلاص الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ=1130-1149م) من السجن الذي اعتقله فيه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل (ذو القعدة 524هـ- المحرم 526هـ= 1130-1131م)[8]، وكان أحمد بن الأفضل من غلاة الإمامية، وعمل خلال فترة وزارته علي القضاء علي المذهب الاسماعيلي، حيث حجر على الخليفة، وحجبه عن الناس، واستبد هو بالأمر، حتي تمكن حرس الخليفة من القضاء علي الوزير، وأطلقوا سراح الخليفة في السادس عشر من المحرم سنة (526هـ- 1131م)[9]، وقد استمر الاحتفال بهذا العيد حتي نهاية عصر الدولة الفاطمية، وكان يقام في هذا العيد من مظاهر الاحتفال مثل ما يفعل في الأعياد من الخطبة، والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة[10]، وكان الحافظ يحتفل بهذا العيد احتفالًا خاصًا في مجلسه، فيحييه بالغناء والطرب، وكانت الجواري تقبل عليه مهنئات، وغنته يومًا جارية وهي تضرب بعود في يدها قول الشاعر أبي العتاهية:

---

(1). القلقشندي: المصدر السابق، ج2، ص445.

(2). المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص255.

(3). القلقشندي: المصدر نفسه، ج2، ص445.

(4). عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص160.

(5). القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص576.

(6). عبد المنعم عبد الحميد سلطان: المرجع السابق، ص161.

(7). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2، ص332.

(8). المقريزي: المصدر السابق، ج3ص143؛ العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص311.

(9). عبد المنعم عبد الحميد سلطان: المرجع السابق، ص161.

(10). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2 ص437.

أتته الخلافة منقادة اليه تجرجر أذيالهـــا
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لهـــا
ولو نالها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

فقام الحافظ إليها وقال لها افتحي فاك، ففتحته، فحشاه جوهرًا ووعدها مثله في كل عام[1] .

الاحتفال بتنصيب ولي العهد:

من الشروط المهمة عند الفاطميين لصحة الإمامة، أن ينص الخليفة أو يوصي بولاية العهد لأحد أبنائه، ليخلفه بعد موته، وإذا صدر عن الخليفة أكثر من نص بولاية العهد، فتصير الخلافة لآخر من نص عليه الخليفة قبل وفاته، [2] ويعد ذلك بمثابة أمر بالتعيين من الخليفة لمن يخلفة من أولاده، ولأهمية هذا الأمر في الدولة الفاطمية؛ فإن الخليفة إذا أراد أن ينص على أحد بولاية العهد، فإنه يجمع أفراد أسرته وإخوته، وسائر أبناء عمومته، في مجلس يحضره كبار رجال الدولة، ليعلن أمامهم فيه اسم ولي العهد الذي يكون خليفة من بعده، ويطالب الجميع بمعاونته والسمع له والطاعة[3]، ثم يحتفلون بهذه المناسبة، ثم يخرج ولي العهد من القصر في موكب ليراه الناس، ويسير الموكب في طرقات القاهرة والفسطاط، وكان الناس إذا أقبل عليهم قبلوا له الارض، وفي هذه المناسبة توزع الهبات على رجال الدولة، فقد بايع الناس بولاية العهد للمستنصر بن الخليفة الظاهر، وقد كان عمره ثمانية أشهر[4]، ووضعت الموائد التي أطعمت أهل القاهرة، والقادمين من البلاد الأخرى، كما نثر المال على جميع من حضر من الناس، ثم يجتمع الناس تحت منظرة القصر، ليشرف عليهم الخليفة من القصر، فإذا رأوه قبلوا الأرض وانصرفوا[5].

4- التغييرات الثقافية في المجتمع المصري:

لقد حرص الفاطميون على تغيير ثقافة المجتمع المصري، لتصبح مصر مركزًا لنشر الدعوة الفاطمية، فكانت سياسة جوهر الصقلي عدم إظهار ذلك في أول أمره، لكن سرعان ما ظهر الأمر جليًا بعد استقراره بالقاهرة، وظهر الوجه الحقيقي للفاطميين، عندما أمر جوهر بإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي في كافه أنحاء مصر بدلًا من الخليفة العباسي[6]، كما أمر أن تضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي منقوشًا عليها " دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد " وتحته كتب " المعز لدين الله أمير المؤمنين " وتحته كتب " بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة "، وعلى الوجه الأخر للدينار" لا إله الا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على خير الوصيين وزير خير المرسلين "[7]؛ بعد أن كانت تضرب النقود باسم الخليفة العباسي.

ومما أوجع الناس أيضًا أن جوهر وجيشه أفطروا نهاية شهر رمضان على عدد بغير رؤية، وصلى

---

(1). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص336.
(2). جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1(1422هـ-2002م). ص61.
(3). عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص164.
(4). المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص179.
(5). المقريزي: المصـدر نفسه، ج2 ص179.
(6). حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص240.
(7). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج 1 ص116.

صلاة العيد بالقاهرة هو وجنوده، وقد أمهم في الصلاة وخطب بهم، على بن وليد الإشبيلي، ولم يشاركهم المصريين ، لأن أبو طاهر القاضي قد التمس الهلال على عادته في سطح الجامع فلم يره، فأكمل المصريون عدة رمضان، وصلُّوا من الغد في الجامع العتيق، وخطب لهم رجل هاشمي؛ وعندما وصل الخبر إلى جوهر أنكره عليه وتهدده؛ وبذلك ترك الناس رؤية الهلال ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

وكذلك أمر جوهر الصقلي بإبطال السواد شعار العباسيين[2]، وقد كان شعار الوزراء والموظفين وكبار رجال الدولة، من بداية الدولة العباسية حتى قدوم الفاطميين، وكذالك أمر الخطباء بارتداء البياض شعار الفاطميين، وجلس جوهر في ديوان المظالم بعدما أقال رئيسه الذي كان يصدر أحكامه وفق منهج أهل السنة، وأصدر الأحكام وفق المذهب الإسماعيلي في محاولة صريحة لنشر الدعوة الإسماعيلية بين المصريين[3].

نشر الدعوة الإسماعيلية من مساجد مصر:

لقد حرص الفاطميون على نشر الدعوة الإسماعيلية من مساجد مصر تمامًا مثلما حدث في بلاد المغرب، ولذلك اتخذ جوهر الصقلي من مساجد مصر أماكن لنشر وتعليم مبادئ المذهب الإسماعيلي، واتخذ الفاطميون المساجد مراكز لنشر مذهبهم.

الدعوة الفاطمية في مسجد عمرو بن العاص:

ما كاد يستقر جوهر الصقلي في مصر، حتى أخذ يعمل على تهيئه عقول الناس وأذهانهم لتقبل عقائد المذهب الاسماعيلي، وقد أقيمت صلاه الجمعة في المسجد العتيق، ودعا فيها للمعز الفاطمي، وذلك في التاسع عشر من شعبان سنة(358 ه- 969م)[4]، وذلك بعد دخول جوهر إلى الفسطاط بمدة يسيرة.

وقد خطب الجمعة هذا اليوم هبه الله بن أحمد خليفة، الذي استحدث في خطبته عبارات " اللهم صل على عبدك ووليك ثمره النبيين، وسليل العزة الهادية المهدية عبد الله الإمام معد أبي تميم أمير المؤمنين كما صليت على أبائه الطاهرين، وأسلافه الائمة الراشدين[5] اللهم ارفع درجته، وأعلى كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته، واجعل الرشاد في موافقته، وورثه مشارق الأرض ومغاربها، وأحمده مبادئ الأمور وعواقبها، فإنك تقول وقولك الحق " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[6] فقد امتعض لدينك، ولما انتهك من حرمتك، ودرس من الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك، وزيارة قبر رسولك صلى الله عليه وسلم، فأعد للجهاد عدته، وخذ لكل خطب أهبته، فسير الجيوش لنصرتك، وأنفق الأموال في طاعتك، وبذل المجهود في رضاك؛ فارتدع الجاهل وقصر المتطاول، وظهر الحق وزهق الباطل، فانصر اللهم جيوشه التي سيرها، وسراياه التي ندبها لقتال المشركين، وجهاد الملحدين، والذب عن المسلمين، وعمارة الثغور والحرم، وإزالة الظلم وبسط العدل في الأمم، اللهم اجعل راياته عالية مشهورة، وعساكره غالبة منصورة، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك

---

(1). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص116

(2). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 4 ص 32.

(3). المقريزي: المصدر السابق، ج1ص117؛ حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المرجع السابق، ص241.

(4). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص116؛
حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص241.

(5). المقريزي: المصدر السابق، ج 1ص114؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص120.

(6). سورة الأنبياء: أية 105.

واقية عليه "[1].

ولقد كانت هذه الخطبة إيذانًا بنهاية نفوذ العباسيين في مصر؛ وبداية للصراع بين المذهبين السني والشيعي استمر لأكثر من قرنين من الزمان! ولكي يجذب جوهر الصقلي العديد من محبي أهل البيت زاد في خطبة الجمعة " اللهم صل على محمد المصطفى وعلى عليَّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطيَّ الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم صل على الأئمة الراشدين أباء أمير المؤمنين الهادين المهديين " وذلك في شهر ذي القعدة من نفس السنة[2].

وفي جمادى الأولى سنة(359هـ-970م) أمر جوهر أن يزاد في الأذان في جامع عمرو بن العاص عبارة " حي على خير العمل " ليؤصل بذلك الأذان الشيعي؛ وأيضًا كان أهل السنة يُسرون بالبسملة قبل قراءة الفاتحة في الصلاة، فأمر بالجهر بها خلافًا لأهل السنة، بما يدل على الإمعان في نشر المذهب الشيعي، وغزو العقائد السنية تدريجيًا؛ وفي شهر رمضان من نفس السنة أمر جوهر بطلاء جدران الجامع العتيق وأعمدته باللون الأخضر، وهو اللون المحبب لدى الشيعة[3]! أضف إلى ذلك أن خطيب الجمعة يُسمع المصلين تعاليم المذهب الشيعي، وإظهار محاسنهم وأنهم حماة الدين.

الدعوة الفاطمية في جامع احمد بن طولون:

في يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الثاني(359هـ-970م) أمر جوهر الصقلي المؤذنين في جامع أحمد بن طولون، بالأذان بحي على خير العمل، التي تميز أذان الفاطميين عن أذان أهل السنة، وبعد وقت يسير استعملت هذه العبارة في مسجد العسكر، وفي جامع عمرو بن العاص؛ وقد أظهر جوهر سرورًا بذلك، وأرسل إلى المعز لدين الله يبشره بهذه الأنباء، ولقد حضر جوهر بنفسه صلاة الجمعة في جامع أحمد بن طولون[4]، كما حضر عدد كبير من الناس.

وقد أدى الخطبة عبد السميع بن عمر العباسي إمام خطيب عمرو بن العاص، وقد أشاد في خطبته بذكر أهل البيت، وعَدَدَ مناقبهم، كما دعا للقائد جوهر الصقلي، لكن جوهر اعترض على ذلك وأخبره أن الخليفة المعز لم يأمر بشيء من ذلك[5]؛ كما أمر جوهر الإمام أن يجهر بالبسملة في الخطبة والصلاة، والقنوت في صلاة الجمعة بعد الركعة الثانية! ولم يكن أهل السنة يقنتون في صلاة الجمعة وقد قنت الإمام في الركعة الثانية، ونزل إلى السجود، قبل أن يركع، فصاح به على بن الوليد قاضي عسكر جوهر قائلًا بطلت الصلاة، أعد ظهرًا أربعًا[6].

وقد أسند جوهر الصقلي رئاسة الخطباء بمصر إلى عبد السميع الذي بدأ في نشر المذهب الشيعي من فوق المنابر، فأذاع خطبهم، ومدح أئمتهم، وكان ذلك لأول مرة في جامع أحمد بن طولون[7].

يتبين مما سبق أن جامع عمرو بن العاص هو أول مسجد بدأت الخطبة للفاطميين فيه، ثم المساجد الأخرى، وأن الأذان على المذهب الشيعي بدأ من جامع أحمد بن طولون، ثم المساجد الأخرى.

---

(1) المقريزي: المصدر نفسه، ج1 ص115.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص117.

(3) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص244.

(4) المقريزي: المصدر السابق ص120؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص123.

(5) المقريزي: المصدر نفسه، ج1ص121.

(6) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص122؛ حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص245.

(7) حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المرجع السابق، ص244.

الدعوة الفاطمية في الأزهر الشريف:

لقد اتخذ الفاطميون من الأزهر الشريف مركزًا لنشر مبادئ المذهب الإسماعيلي، وكانت أول جمعة تقام فيه في السابع من رمضان سنة(361هـ-972م)، وفي الجامع الأزهر أصبح جوهر أكثر حرية في نشر عقائد مذهبه داخل أسوار القاهرة، دون أن يلقى معارضة من أهل السنة، وعندما وصل المعز إلى القاهرة، تطور الأمر من حيث تنظيم الدعوة الفاطمية على يد الخلفاء أنفسهم[1].

فلقد اتخذ المعز وابنه العزيز من بعده الجامع الأزهر لإقامة خطبة الجمعة حتى سنة(380هـ-990م)، فلما فُتح مسجد الحاكم أصبحت الخطبة تقام في مساجد: عمرو بن العاص، وأحمد بن طولون، والحاكم، والأزهر على التوالي؛ ومن أهم التغييرات التي أمر بها المعز عند وصوله إلى مصر، أن يُنقش على جدران الفسطاط عبارة " خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " [2]، كما صلى المعز لدين الله صلاة العيد سنة(363هـ-974م) في مصلى القاهرة، التي بناها جوهر في خارج باب النصر سنة (358هـ-969م) على الطريقة الإسماعيلية! حيث قرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الغاشية، ثم كبر وأطال الركوع والسجود فسبح نيف وسبعين تسبيحة في كل ركعة وسجدة، وكان القاضي محمد بن النعمان يبلغ عنه التكبير؛ ثم قرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة الضحى ثم كبر، وفعل ما فعله في الركعة الأولى، وعندما فرغ الخليفة المعز من الصلاة صعد المنبر، وسلم على الناس يمينًا وشمالًا، وكان معه على المنبر جوهر الصقلي، وابن عمار، وشفيع صاحب المظلة! ولم يكن من عادة أهل السنة أن يكون أحد على المنبر مع الخليفة، [3] ثم عاد بعد الصلاة إلى قصره في موكب حافل يحفه أبناؤه وحاشيته، وكان بالقصر مائدة عظيمة قد دعا الناس إليها، وتوعد من بلغه أنه صام العيد بالعقوبة! وذلك لأنهم لا يعتبرون برؤية الهلال.[4]

وما لبث الأزهر الشريف حتى أصبح جامعة، يفد إليه طلاب العلم من كل مكان، يتلقون فيه العلوم المختلفة، وكان أول من فكر في تحويله إلى جامعة يعقوب ابن كلس، الذي كان يدين باليهودية ثم دخل في الإسلام، كما أنه من أشار على المعز الفاطمي بغزو مصر، وعندما تقلد الوزارة عمل على تشجيع العلوم والآدب [5].

وقد بدأت تلك الفكرة حين قام أبو الحسن علي بن النعمان المغربي قاضي القضاة بشرح كتاب الاقتصار الذي ألفه والده، وهو كتاب جمع المسائل الفقهية المستمدة من أئمة أهل البيت؛ كما دَرَسَ الوزير يعقوب ابن كلس رسالة ألفها في الفقه على المذهب الإسماعيلي، كان قد سمعها من الخليفة المعز وابنه العزيز، سماها الرسالة الوزيرية؛ وهو الذي أشار على الخليفة العزيز بتحويله إلى جامعة، وقد كان قاصرًا على إقامة الدعوة الفاطمية[6]؛ وقد حرص الخلفاء الفاطميون على جعل الأزهر موردًا للعلم، حيث يأتي اليه طلاب العلم من كل أرجاء البلاد الإسلامية، كما كانوا يوفرون للطلاب أسباب المعيشة من مسكن، ومأكل، وكل أسباب الراحة، لكي لا ينشغل الطلاب بغير تحصيل العلوم[7]؛ وكان على رأس هذه العلوم تعلُّم المذهب الشيعي.

كما اهتم الخلفاء الفاطميون بعمارة الأزهر، والعمل على توسعته حتى تحول من مسجد صغير، إلى مركز عظيم في العلم والمعرفة؛ حتى بلغ عدد أعمدته ثلاث مائة وخمسة وسبعين، ومساحته اثنا عشر ألف

---

[1]. حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص124.
[2]. المقريزي: المصدر السابق، ج1ص135.
[3]. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج1 ص138.
[4]. حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: المعز لدين الله، ص248.
[5]. المقريزي: المصدر السابق، ج 4 ص52؛ جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص154.
[6]. المقريزي: المصدر نفسه، ج4ص52؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص127.
[7]. المقريزي: نفسه، ج4ص52؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص127.

متر مربع، كما أوقفوا عليه الأوقاف والهبات، وفي عهد العزيز أيضًا تم بناء دار الفقهاء يجتمعون فيها بعد صلاه الجمعة، إلى صلاة العصر لقراءة القران الكريم، كما أغدق عليهم الأموال، وزاد لهم الوزير يعقوب بن كلس من الصلات.[1]

وفي عهد الخليفة الحاكم أمر بنقل الكتب التي كانت في دار الحكمة إلى مكتبات: الأزهر، والحاكم، والمقس؛ فنقل إلى الجامع الأزهر وحده النصف تقريبًا، كما قام بتوسعة للجامع الأزهر، وزاد له من الأوقاف والهبات، وفي عهد الخليفة الآمر أمر ببناء مقصورة بالجامع الأزهر عليها كتابات منقوشة[2].

الدعوة الفاطمية في جامع الحاكم:

أوّل من أسسه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله، وقد بنيَّ هذا الجامع خارج باب الفتوح[3]، أحد أبواب القاهرة، وكان الذي بدأ في بنائه الوزير يعقوب بن كلس سنة (379هـ -989)[4]، وقد قُدِّرت نفقة إنشائه بأربعين ألف دينار، وخطب فيه العزيز بالله، وكان في مسيره إلى الجامع! بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف من الجنود، وكبار رجال دولته، وعليه طيلسان وبيده القضيب، وفي رجله الحذاء، وقد مات العزيز ولم يكتمل هذا المسجد [5]، ثم أكمل بناءه ابنه الحاكم بأمر الله سنة (403هـ -1012 م)، وقد زيد في منارة جامع باب الفتوح، وعمل لها أركان؛ طول كل ركن مائة ذراع، وقد أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه الجامع من الحصر والقناديل والسلاسل، فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار؛ وعلّق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلَّق فيه أربع تنانير فضة، وقناديل كثيرة من الفضة، وتم فرشه كاملًا بالحصر التي صنعت له، ونصب فيه المنبر، وأذن للناس الذين في الجامع الأزهر أن يأتوا إليه، وقد جلس فيه الفقهاء لتدريس المذهب الشيعي[6].

الدعوة الفاطمية في جامع راشدة:

عُرف هذا الجامع بجامع راشدة، لأنه في خطة راشدة، وابتدئ بناء جامع راشدة في السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة (393هـ -1003م) وكان مكانه كنيسة حولها بعض مقابر لليهود والنصارى، فبني بالطوب أولًا، ثم هُدم وأعيد بناءه بالحجر، وزيد في مساحته واكتمل البناء، وتم فرشه وعُلقت به القناديل، وما يحتاج إليه ليكون مهيأ للصلاة فيه في رمضان سنة (395هـ -1005م)[7]، وقد صلى فيه الخليفة الحاكم الجمعة في رمضان سنة (398هـ -1008م)، وألقى فيه خطبة الجمعة.

وفي سنة (401هـ -1011م) تم هدمه وإعادة بنائه، وتم البناء والفرش وتهيئته للصلاة في رمضان سنة(403هـ -1013م)[8] وقد صلى فيه الخليفة الحاكم في رمضان من نفس السنة صلاة الجمعة، وعليه عمامة خالية من الجوهر، ومعه سيف مزين بفضة بيضاء، والناس يمشون حوله من غير أن يمنع أحد منه، وكان يأخذ شكاياتهم ويقف وقوفًا طويلًا لكلّ منهم.

وكان هذا المسجد أيضًا منبرًا لنشر المذهب الشيعي؛[9] ومن طريف ما ذكر أنه في سنة (403هـ -

---

(1) المقريزي: نفسه، ج4ص52؛ جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص155.
(2) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص127.
(3) الملاحق: ملحق رقم6 ص169.
(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص58.
(5) المقريزي: المصدر السابق، ج4 ص58.
(6) المقريزي: المصدر نفسه، ج4 ص58.
(7) المقريزي: نفسه، ج4ص66.
(8) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص130.
(9) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4ص66.

1013 م) في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله! حدث أن خطب في هذا المسجد خطيبان معًا على المنبر! وذلك أنّ أبا طالب عليَّ بن عبد السميع العباسي عُين في الخطابة، بأمر قاضي القضاة: أبي العباس أحمد بن محمد بن العوّام، بعد سفر خطيب المسجد العفيف البخاريّ إلى الشام، وفي نفس الوقت خرج أمر من أمير المؤمنين: الظاهر لإعزاز دين الله إلى ابن عصفورة أن يخطب الجمعة، فصعدا جميعًا المنبر ووقف أحدهما دون الآخر وخطبا معًا، ثم بعد ذلك استقرّ أبو طالب خطيبًا، وأن يكون ابن عصفورة خليفة له[1].

الدعوة الفاطمية في جامع المقس:

هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس[2]، والمقس كان ميناء على نهر النيل فتسمى باسمه، وقد أوقف الخليفة الحاكم عليه بساتين كثيرة من النخيل، علاوة على الأوقاف التي أوقفها على المساجد: الأزهر الشريف، والحاكم، و جامع راشدة، وجامع المقس[3].

وعندما احتفل لأول مرة بعيد غدير خم سنة (362هـ -973م) سار موكب الخليفة المعز الفاطمي إلى منظرة المقس، وتم عرض الأسطول عليه، ثم دعا الله أن يحفظه من الهلاك، وكان الخلفاء يركبون إليه عند عرض الأسطول بعد ذلك، [4] فكان هذا المسجد أيضًا من المساجد التي تعد منبرًا لنشر المذهب الشيعي في مصر والتي بنيت لذلك الأمر.

المجالس العلمية:

اهتم الخلفاء الفاطميون بنشر المذهب الشيعي، وشجعوا المشتغلين به فمن ذلك: الأزهر الشريف الذي كان منبرًا لنشر المذهب الشيعي، برعاية الوزير يعقوب بن كلس، الذي كان يلقي الدروس والمحاضرات في أصول المذهب الشيعي وفقهه[5].

لكن في عصر الخليفة الحاكم ظهر الاهتمام بالمجالس الأدبية والعلمية، التي كانوا يعقدونها في القصر لتشجيع الآداب والعلوم من جهة، والأهم من ذلك: نشر العلوم الشيعية، ولقد خصص الخليفة الحاكم يومين في الأسبوع لتعليم الناس الدعوة، ثم جعلها ثلاثة أيام؛ فكان لكبار رجال الدولة يوم الثلاثاء، ويوم الأحد لعامة الرجال، ويوم الأربعاء للنساء؛ ثم ما لبثت أن أصبحت الدعوة كل يوم، حيث كان لكل يوم فئة من الناس، وكان يحضر تلك المجالس كثير من الناس، وحدث أنه في أحد الأيام كان قاضي القضاة: محمد بن النعمان، يجلس على كرسي في القصر لتدريس علوم آل البيت، وقد ازداد ازدحام الناس عليه ! مما أدى إلى وفاة أحد عشر رجلًا من شدة الزحام[6]؛ مما يدل على أن العامة من الناس، كان مسموح لها حضور هذه المجالس العلمية، التي تنشر المذهب الشيعي.

لقد اهتم الفاطميون بنشر مذهبهم في ربوع مصر اهتمامًا كبيرًا، مما أدى إلى ظهور مئات الكتب

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج4ص66؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص130.
(2) الملاحق: ملحق رقم7 ص170.
(3) المقريزي: المصدر نفسه، ج4ص68.
(4) المقريزي: نفسه، ج4ص68؛ حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه، ص131.
(5) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4ص200؛ عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص84.
(6) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص258

الشيعية! حتى إن الخليفة الظاهر أمر بنفي من وُجِد يدرس الفقه المالكي وغيره من المذاهب إلا المذهب الشيعي [1]؛ كما كان يأمر بجائزة مالية، لمن يحفظ كتاب: دعائم الإسلام، وكتاب: يعقوب بن كلس في الفقه على مذهب آل البيت[2]؛ كما ظهر الاهتمام بإنشاء المدارس والزوايا للتعليم، حيث كان في القاهرة وحدها سبع عشرة مدرسة، وثماني زوايا للتعليم؛ [3] ومن الملاحظ أن الهدف الأول من وراء بناء المساجد، التي يلقى فيها الدروس، ومن وراء إنشاء المكتبات، والمدارس، والمجالس العلمية، والمناظرات هو: نشر الدعوة الفاطمية والمذهب الإسماعيلي، وكان هذا ظاهرًا من خلال الجوائز التي تمنح لمن يحفظ كُتب المذهب الشيعي دون غيرها.

5- حمل المصريين على اعتناق المذهب الشيعي:

كان كتاب الأمان الذي أمضاه جوهر ينص على أن يظل المصريون على مذهبهم، ولا يُلزمون بالتحول إلى المذهب الشيعي، وأن يجري الأذان، والصلاة، وصيام شهر رمضان وفطره، والزكاة والحج والجهاد والميراث، على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[4].

لكن لم يكن كتاب جوهر لأهل مصر إلا مجرد مهادنة! فقد كان الفاطميون ينظرون إلى أهل السنة نظرة الخارج عن الإسلام[5]، فبعد أن انتهى جوهر من وضع أساس مدينة القاهرة! أمر بإلغاء الخطبة والدعاء للخليفة العباسي، وإقامتها للمعز الفاطمي، وكذلك أن تضرب النقود باسم الخليفة الفاطمي[6]؛ كما منع لبس السواد شعار العباسيين واستبدلها بالبيضاء.

الواقع أن جوهر الصقلي أراد أن يفرض باسم المعز الفاطمي سلطته الدينية والدنيوية على كافة المسلمين، على الرغم من تعارضها مع مبدأ التسامح الديني الذي تعهد باحترامه، ولم يدع عملًا من أعمال الدولة إلا جعل فيه أحد المغاربة شريكًا لمن فيه[7].

وفى شهر ربيع الثاني سنة (393هـ-1003م) حدث أن نائب دمشق من قبل الخليفة الحاكم، أمر برجل يُدعى: الأسود الحكمي، طافوا به في شوارع المدينة، ونادوا عليه " هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر " ثم أُمر به فضربت عنقه[8].

وفي سنة(372هـ-982م) أمر الخليفة العزيز بإبطال صلاة التراويح من جميع مساجد الديار المصرية[9].

وفى سنة (394هـ -1003 م) في مدينه القاهرة ألقي القبض على ثلاثة عشر رجلًا، بتهمة أنهم صلوا صلاة الضحى، وقد شُهر بهؤلاء المذنبين في الشوارع، كما ضربوا وحبسوا ثلاثة ايام[10].

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص175.
(2) المقريزي: المصدر نفسه، ج2 ص175.
(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2 ص170.
(4) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص105.
(5) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص179.
(6) علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي ص58.
(7) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص119.
(8) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص207.
(9) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص219.
(10) المقريزي : المصدر نفسه، ج2، ص49.

وفي شهر رمضان سنة(399هـ -1008 م) عوقب رجاء بن أبي الحسين بالقتل من أجل أنه صلى صلاة التراويح[1].

وفي سنة (401هـ -1010 م) أصدر الحاكم أمرًا يأذن فيه للناس بصلاة الضحى، والتراويح؛ وخرج ذلك الأمر في سجل قُرأ في مسجد عمرو بن العاص! ولم يلبث أن صدر أمر آخر بالمنع مرةً أخرى، ولم يكن بين الأمرين سوى خمسة أشهر[2].

منع تدريس المذاهب السنية:

بعد دخول الفاطميين واستقرارهم في مصر، وصارت مقر دولتهم؛ ضاعفوا جهودهم لصبغ مصر بالصبغة الشيعية، خاصة مع تمسك المصريين بالمذهب السني، وقد استخدموا الدعاية السرية والعلنية، في دعوة أهل مصر للتمذهب بالمذهب الشيعي الإسماعيلي، وقد نظمت أساليب الدعوة الإسماعيلية تنظيمًا دقيقًا، فاستحدثوا منصب: داعي الدعاة، وكان يتولاه أحد كبار دعاة الإسماعيلية[3]، وكان يشغله في بعض الأحيان قاضي القضاة، وأحيانًا شخص آخر مستقل يلي قاضي القضاة في درجته.

ويعاون داعي الدعاة اثنا عشر نقيبًا في نشر الدعوة، ولداعي الدعاة نواب كثر في سائر البلاد لنشر المذهب الشيعي، ويتقاضون في سبيل ذلك رواتب كبيرة، ولقد قام الخلفاء الفاطميون بدور كبير في ذلك من خلال الدعوة إلى مدارسة علوم آل البيت والتفقه فيها، حيث كانت تُدرس علوم آل البيت، وعلوم الشيعة في قصر الخليفة، وأحيانًا في الجامع الأزهر[4].

وقد تولى تدريس وقراءة علوم الشيعة: آل نعمان، وتوارثوا هذه الوظائف مدة من الزمن[5]؛ وكان يشترك في تدريسها أيضًا بعض عظماء الدولة مثل: الوزير بن كلس، فقد كان يقوم بتدريس علوم آل البيت وشرحها بنفسه، وله رسائل مشهورة في فقه الشيعة، باستثناء عهد الوزير الأفضل؛ فقد أمر بترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم ونهى عن مجادلتهم.

كما سمح الوزير الأفضل لأهل السنة بالمناظرة لإظهار معتقداتهم[6]، وهذا مما يدل على أن أهل السنة قبل وزارة الأفضل كانوا قد ضُيق عليهم في عقيدتهم، وكانوا ممنوعين من إظهارها، وأن هذه الحرية كانت غير معهودة من الدولة الفاطمية[7].

لقد كانت سياسة الدولة الفاطمية واضحة في إحلال المذهب الشيعي، ليكون بديلًا عن المذهب السني، لذلك حاربت تدريس المذاهب السنية، واتخذت الدولة الفاطمية جوامع أهل السنة للدعاية لمذهبها، وشمل ذلك الأمر المساجد الكبيرة كجامع عمرو بن العاص، وجامع أحمد بن طولون دون مراعاة لحقوق أهل السنة؛ بل ومُنع تدريس مذاهب أهل السنة، وعوقب من قام بذلك.

فمن ذلك أنه في عهد الخليفة العزيز قُبض على رجل من أهل مصر وجدوا عنده كتاب "الموطأ" لمالك بن أنس! فعاقبوه بالضرب ثم طافوا به في شوارع المدينة ليرهبوا الناس، ويتوقفوا عن مدارسة فقة

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2 ص80.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص86.

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2 ص259؛ عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص99.

(4) المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص260.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12ص222.

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12ص222؛ عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص99.

(7) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص669.

الإمام مالك[1].

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أراد استمالة أمير المغرب ابن باديس[2] فقد أمر بتعيين فقيهين على المذهب المالكي لتدريس المذهب! لكنه ما لبث حتى أمر بقتلهما في دلالة واضحة في محاربة المذاهب السنية.

ومن مظاهر اضطهاد الدولة الفاطمية لأهل السنة في جوامعهم أمر الحاكم بأمر الله سنة(395هـ - 1005م) بكتابة سباب الصحابة على جميع حوائط جامع عمرو بن العاص من الداخل والخارج، وزينت تلك الكتابة بالألوان، وأحيانًا كانت تطلى بماء الذهب! إمعانًا في الإهانة لرموز أهل السنة[3].

وفي سنة(397هـ - 1007م) أمر الحاكم بإزالة ما كتب على الحوائط من سب الصحابة[4]. وفي زمن الخليفة المستنصر، أمر الوزير بدر الجمالي بكتابة سب الصحابة مرة أخرى على جدران المساجد، في انتهاك واضح لحق أهل السنة[5].

إجبار أهل السنة بالالتزام بأحكام المذهب الشيعي:

كان القضاء الشرعي في مصر منذ الفتح الإسلامي على المذهب السني، كما كانت الدولة الإخشيدية، تدين بالولاء للخلافة العباسية السنية، كما أن مسلمي مصر يدينون بالمذهب السني، وعند دخول الفاطميين الديار المصرية، كان قاضي أهل مصر: أبو الطاهر الذهلي، وقد أقره جوهر الصقلي في منصبه، ولم يستبدله بقاض آخر على المذهب الشيعي، لخوفه من غضب المصريين وسخطهم[6]؛ لكنه ألزمه أن يحكم في هلال الشهور، وفي المواريث، وفي الطلاق، وفق المذهب الإسماعيلي.

ولما وصل المعز لدين الله مصر، خلع على القاضي أبي الطاهر وأقره في مكانه، إلا أنه أشرك معه قاضيا مغربيا، وهو عبد الله بن أبي ثوبان، ولقبه بقاضي مصر والإسكندرية؛ فلما مات عبد الله ابن ثوبان، كلف المعز علي بن النعمان بالنظر في الأحكام الشرعية مع أبي الطاهر.

وعندما اعتزل أبو الطاهر القضاء لشدة مرضه، قلد العزيز بالله علي بن النعمان قاضي القضاة في الديار المصرية[7]، وقد ظل القضاء من خلال آل النعمان، ومن بعدهم من قضاة المذهب الإسماعيلي؛ ومن الملاحظ أنه في غالب الدولة الفاطمية، كان منصب قاضي القضاة مقتصرًا على أتباع المذهب الشيعي[8].

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص273؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص219.

(2) ابن باديس: المعز بن باديس بن منصور شرف الدولة ابن أمير المغرب الصنهاجي، المتوفي سنة(454هـ-1062 م) نفذ إليه الحاكم من مصر التقليد والخلع، لكنه خلع طاعة العبيديين، وخطب للقائم بأمر الله العباسي، وقد حمل أهل بلاده على مذهب مالك؛ الذهبي: المصدر السابق، ج13 ص351.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2 ص54.

(4) ابن حماد: أخبار بني عبيد، ص97.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 5 ص120.

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 16 ص204.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5 ص414.

(8) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2 ص50.

وعدما أراد الخليفة الحاكم استمالة المعز ابن باديس أمير المغرب، الذي كان على المذهب السني [1]، قام بتعيين القاضي أبا العباس أحمد بن أبي العوام [2]، الذي كان على المذهب الحنفي، لكنه اشترط عليه ألا يحكم إلا بحضور أربعة فقهاء من المذهب الإسماعيلي! في إشارة واضحة إلى تخويف قاضي القضاة من الحكم بغير المذهب الإسماعيلي[3]؛ وكثيرًا ما كان يسند منصب قاضي القضاة إلى داعي الدعاة الإسماعيلي، مما يدل على أن المذهب الإسماعيلي هو أساس التشريع لكل المواطنين على اختلاف مذاهبهم بمافيهم أهل السنة [4].

يتبين مما سبق أن الفاطميين قد أسسوا مجمعًا علميًا لنشر عقائد مذهبهم الشيعي، وقاموا بتشجيع البحوث في العقائد الشيعية الإسماعيلية، وأصبح قصر الخلافة بالقاهرة مركزًا للدعوة الفاطمية، كما كان يقوم به مجموعة كبيرة من الدعاة، لهذا المذهب مع داعي الدعاة، وكان ذلك تحت إشراف الخليفة مباشرة، وكان بين الحين والأخر تثور ثائرة أهل السنة، إذا ما أراد الفاطميون الشيعة أن يلزموهم باعتناق المذهب الشيعي، ولم يعتنق أحد من المصريين هذا المذهب الشيعي، إلا لمصلحة خاصة، أو خوفًا من نقمة الفاطميين وسطوتهم، ولم تكد تسقط تلك الدولة حتى عادوا لمذهبهم السني.

---

(1). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13ص351.

(2). ابن أبي العوام: أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث أبو العباس أبي العوام السعدي، أبوه وجده من بيت العلماء الفضلاء، وكان على المذهب الحنفي، القرشي: محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، المتوفي سنة (775هـ-1373م). الجواهر المضية في طبقات الحنفية، نشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي، ج1ص106.

(3). عماد صالح العيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص112.

(4). حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم، ص314.

الفصل الثاني

الصراع الزنكي الصليبي على مصر وأثره في سقوط الدولة الفاطمية

1- ضعف الخلفاء الفاطميين والصراع على الوزارة:

2- موقف الفاطميين من احتلال الصليبيين لمدن بلاد الشام

3- حملة أسد الدين شيركوه الأولى على مصر سنة(599 هـ -1164م)

4- حملة أسد الدين شيركوه الثانية على مصر سنة(562 هـ -1167م)

5- حملة أسد الدين شيركوه الثالثة على مصر سنة(564 هـ -1169م)

6- وزارة صلاح الدين للخليفة الفاطمي.

7- الصعوبات التي واجهت صلاح الدين.

8- إقامة الخطبة للعباسيين، ونهاية الدولة الفاطمية.

الفصل الثاني

الصراع الزنكي الصليبي على مصر وأثره في سقوط الدولة الفاطمية

ضعف الخلفاء الفاطميين والصراع على الوزارة:

كان النظام المتبع في الدولة الفاطمية أن أكبر أبناء الخليفة هو الذي يُعيَّن وليًا للعهد، وكان الابن الأكبر للمستنصر هو: نزار المصطفى لدين الله؛ ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي قد رفض خلافة نزار بسبب خلافٍ وقع بينهما، وكانت هذه واحدةً من ملامح نفوذ الوزراء الشديد بالدولة الفاطمية وسيطرتهم عليها التي استمرت منذ وفاة المستنصر وحتى نهاية الدولة الفاطمية، وتم نقل ولاية العهد إلى ابنه الأصغر: أحمد المستعلي بالله، وأدى هذا الخلاف إلى وقوع شقاقٍ في المذهب الإسماعيلي، حيث انقسم الإسماعيليون بين مؤيدي خلافة نزار بناءً على أحقيته (النزارية)، ومؤيدي خلافة المستعلي بناءً على توصية والده (المستعلية) [1].

موقف الفاطميين من احتلال الصليبيين لمدن بلاد الشام:

حدث في عهد الخليفة المستعلي سنة:(491 هـ-1098م) أن جاء الصليبيون في حملتهم الأولى إلى المشرق، وغزا الصليبيُّون سواحل بلاد الشام وأسسوا فيها إمارتي: الرُها، وأنطاكية؛ عندما وصل الصليبيون إلى الشام كان يحكمها السلاجقة، إلا أن السلاجقة أنفسهم كانوا قد انتزعوها من الفاطميين قبل نحو ثلاثين سنة، وعندما رأى الأفضل أن السلاجقة هُزموا أمام الزَّحف الصليبي، طمعَ بأن يعيد هذه الأراضي إلى سلطان الدولة الفاطمية مجددًا، فحشد جيشًا وحاصر القدس وأخذها من السلاجقة، وبسط سيطرته على كامل فلسطين حتى منطقة قريبة من بيروت[2]، إلا أنَّ الجيوش الصليبية سرعان ما وصلت، بأعداد كبيرة، فضربت الحصار على القدس لمدة شهر، ثم تمكنت من دخول المدينة، ووقعت مذبحة عظيمة راح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين المحاربين، وغير المحاربين من: النساء والشيوخ والأطفال، وسقطت القدس بذلك سنة (492هـ- 1099م)، وخرج الأفضل من مصر لقتال الصليبيين ولكنه وصل إلى عسقلان، وقد فات الأوان، كما هاجم الصليبيون الأسطول الفاطمي، ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى حلت بهم الهزيمة، وولوا هاربين؛ أما الأفضل فقد ركب سفينة أعادته إلى مصر سنة (493هـ- 1099م)، وقد فقد الفاطميون إثر هذه المعركة معظم أملاكهم في بلاد الشام[3].

وفي سنة (495هـ-1101م)، تولى الخليفة الآمر بأحكام الله، بعد وفاة والده الخليفة المستعلي، لكنه كان صغير السن فازداد استبداد الملك الأفضل، فلما شب الخليفة الآمر دبر لاغتيال الملك الأفضل، وتولى الوزارة بعده المأمون البطائحي[4]، الذي استبد هو الآخر، فساءت أوضاع الدولة في عهده[5]؛ وفي سنة (524هـ -1130م) اغتال بعض أتباع النزاريين الخليفة الآمر أثناء سيره إلى جزيرة الروضة[6].

تولى الحافظ لدين الله ابن عم الخليفة الآمر نائبًا للخليفة: أبو القاسم الطيب بن الآمر، حتى بلوغه سن الرشد؛ وقد عهد الخليفة الحافظ بالوزارة إلى أحمد ابن الملك الأفضل الذي قبض على الخليفة الحافظ،

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3، ص11؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص389.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص22؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص306.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص428؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص439.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14 ص383؛ ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص303.

(5) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص303.

(6) وكان لايزال للنزارية أعوان في مصر، يرون أن الخليفة الآمر وأباه المستعلي وليا الخلافة دون حق، ابن القلانسي: المصدر نفسه، ج1، ص362؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص108.

وأودعه السجن.

وصار للوزير أحمد بن الملك الأفضل اليد الطولي في الدولة حتى اغتاله بعض أتباع المذهب الإسماعيلي، وأطلقوا سراح الحافظ لدين الله، الذي أعيد إلى الخلافة سنة (526هـ-1132م)[1]، لكنَّ الخليفة الحافظ ظلَّ يعاني من استبداد الوزراء في دولته، حتى وفاته سنة (544هـ -1149م)[2]؛ وقد ظل هذا الاستبداد من الوزراء، والتنافس بين كبار رجال الدولة على منصب الوزارة في عهد الخلفاء الثلاثة: الظافر، الفائز، والعاضد، حتى سقوط الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين.

---

(1). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3ص143؛ العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص311.

(2). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص284.

حملات أسد الدين شيركوه على مصر:

حملة أسد الدين شيركوه الأولى سنة (559 هـ- 1164م):

في سنة (558 هـ-1162م) أصبح شاور [1] وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد، ولقب نفسه بأمير الجيوش، إلا أنه لم يكد يمضي على توليته الوزارة تسعة أشهر حتى نافسه عليها القائد: أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار المنذري؛ اضطر شاور إلى الفرار منها قاصدًا بلاد الشام في رمضان سنة (558هـ-1163م)، مستنجدًا بالملك: نور الدين محمود حاكم دمشق، وقد تعهد شاور لنور الدين إن ساعده في إعادته إلى منصبه، والقضاء على منافسه ضرغام؛ أن يدفع له ثلث خراج مصر[2]، ويكون نائبه مقيمًا بعساكره في مصر، وطلب منه عونًا عسكريًا لبسط سيطرته على مصر، فأرسل نور الدين بعد تردد حملةً بقيادة: أسد الدين شيركوه[3]؛ مكَّنت شاور من السيطرة على الدولة الفاطمية

سنة (559 هـ -1164م).

إلا أن الهدف الحقيقي لنور الدين محمود هو" مراقبة بلاد مصر والتطلع على أحوالها "[4] ومُلك الديار المصرية وإضافتها إلى المملكة النورية، وبالتالي يتم إعادة مصر إلى المذهب السني؛ إلا أنَّ شاور نقض اتفاقه مع نور الدين، ولم يدفع له شيئًا من خراج مصر[5]! بل واستنجد بعموريَّ الأول[6] الذي كان يتأهب للزحف على مصر، وعرض علية أموال ضخمة، مقابل مساعدته في إخراج أسد الدين شيركوه من مصر، وبالفعل أسرع ملك بيت المقدس بالزحف إلى مصر، واتصل فور وصوله إلى مدينة فاقوس[7] بشاور، واتفقا على حصار أسد الدين في بلبيس، لكن أسد الدين صمد أمام ذلك الحصار؛ وعندما بلغ ذلك الخبر نور الدين محمود، لجأ إلى تشديد هجماته على أملاك الصليبيين في بلاد الشام، فقام في (رمضان 559هـ-سبتمبر1164م) بمهاجمة قلعة حارم، وتمكن من استردادها من الصليبيين بعد مقتل أكثر من عشرة آلاف منهم، وأسر عدد آخر من بينهم عدد من قادتهم، ثم توجه إلى بانياس، وفرض عليها الحصار؛ وقد قام الملك نور الدين بإرسال ما استولى عليه من أعلام الصليبيين إلى شيركوه في بلبيس، فوضعها شيركوه على أسوار المدينة، فعرف الصليبيون ما حل بممتلكاتهم ببلاد الشام.[8]

وفي نهاية الأمر اضطر عموريَّ إلى طلب الصلح من شيركوه، على أن يعود شيركوه إلى الشام، وأن يُسلم شيركوه ما بيده إلى الفاطميين، فاستجاب أسد الدين لذلك نظرًا لقلة الأقوات عنده، ومقتل عدد من أصحابه أثناء دفاعهم عن بلبيس، على أن يغادر الصليبيون أولًا؛ فتفاوض مع أسد الدين على خروج

---

(1) شاور: هو أمير الجيوش أبو شجاع شاور بن مُجير بن نازر من قبيلة ربيعة العربية، ولاه الصالح بن رزيك الصعيد الأعلى، ثم ندم على توليته، تولى شاور الوزارة في شهر صفر سنة (558 هـ-1163م). بعد أن قُتل العادل بن الصالح بن رزيك، وقُتل شاور في ربيع الأول سنة(564 هـ-1168م).؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص443.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3، ص264؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، ص11.

(3) أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور، أسد الدين عم السلطان صلاح الدين، وتولى أسد الدين الوزارة في ربيع الآخر سنة (564ه-1169م)، وأقام بها شهرين وخمسة أيام، ثم توفي، ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص479.

(4) ابن خلكان: المصدر نفسه، ج7، ص145.

(5) المقريزي: المصدر السابق، ج3 ص274؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص11.

(6) الملك الصليبي عموري الأول الذي تولى عرش مملكة بيت المقدس الصليبية عقب وفاة أخيه بلدوين الثالث سنة (557 هـ-1162م)، المقريزي: المصدر نفسه، ج3، ص262.

(7) فاقوس: مدينة في حوف مصر الشرقي، وهي أخر ديار مصر من جهة الشام، وتبعد عن القاهرة أربعة وخمسين ميلًا؛ الحموي: معجم البلدان، ج4 ص232.

(8) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص306، 307.

الجيشين النوري والصليبي من مصر، وكان أسد الدين أخر من غادر مصر[1] بعد أن تسلم من شاور ثلاثين ألف دينار.[2]

حملة أسد الدين شيركوه الثانية على مصر سنة (562 هـ- 1167م)

بعد أن عاد أسد الدين شيركوه بقواته من مصر إلى دمشق! ظل يتحدث بها وبقصدها، وكان عنده من الحرص على ذلك كثير [3] " وكان أسد الدين قد غادر مصر وهو في غاية القهر"[4]، فضلًا عن أنه لم ينس غدر شاور به، وعدم وفائه بما وعد به نور الدين محمود، وسماحه بوجود جماعة كبيرة من الصليبيين تمكنوا من التصرف في بعض مناطق مصر، بمساعدة الفاطميين أنفسهم[5].

حدث بعد ذلك أن أساء شاور السيرة واستبد بالأمر دون العاضد، فكتب إلى نور الدين يستنجده على شاور، وأنه قد استبدَّ بالأمر وظلم وسفك الدم[6]؛ وكان نور الدين لا ينسى لشاور كونه غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالصليبيين؛ فأرسل الملك نور الدين أسد الدين شيركوه، ومعه ابن أخيه صلاح الدين سنة(562هـ-1166م)، حتَّى نزل الجيزة[7] غربيَّ مصر على بحر النيل " وتصرف في البلاد الغربية وحكم عليها وأقام نيفًا وخمسين يومًا "[8]، وقد انضم خلال هذه الأيام عدد من أشراف مصر وأهلها، إلى أسد الدين بعد أن أساء إليهم شاور[9]؛ وكان شاور قد أرسل إلى عموريَّ الحضور لنجدته فقدم إلى مصر، وأعطى شاور للصليبيين الأموال وأقطعهم الإقطاعات وأنزلهم دور القاهرة! وأقام لهم أسواقًا[10].

وصل الجيشان تقريبًا في وقت واحد، وأراد كل منهما التقدم إلى القاهرة، وحدثت بينهما معركة، هُزم فيها شيركوه، وانسحب إلى جنوب الصعيد، وتعقبه عموريَّ حتى التقى به من جديد في معركة ثانية، عند موضع يعرف بالبابين (وهى قرية كانت تقع جنوب المنيا)[11] وذلك في (جمادى الآخرة سنة 562 ه- ابريل1167م)، وكانت عيون أسد الدين قد أخبرته بكثرة عدد العدو، فوضع أسد الدين شيركوه خطة لمواجهة الجيشين الفاطمي والصليبي، وتقضي تلك الخطة بوضع صلاح الدين في القلب مع الأثقال والعتاد حتى لاتتعرض للنهب، على أن يدخل المعركة أسد الدين مع شجعان العسكر الذين اختارهم، ووقف بهم في الميمنة.

---

(1). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص278؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص484.

(2). ابن الأثير: المصدر السابق، ج9 ص305.

(3). أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2 ص7.

(4). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5 ص331.

(5). ابن كثير: البداية والنهاية، ج16 ص421.

(6). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص331.

(7). الجيزة: مدينة تقع غرب مدينة الفسطاط، يفصل بينهما النيل ولها كورة كبيرة واسعة، وبها مساجد عظيمة، وقد سكنها عدد كثير من الجنود الفاتحين لمصر؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص200؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج1ص380.

(8). أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2 ص7.

(9). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3، ص283.

(10). ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5، ص348.

(11). ابن واصل: محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين المتوفي سنة (697هـ-1298مـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال ج1، 2، 3؛ =الناشر: دار الكتب والوثائق القومية-المطبعة الأميرية-القاهرة (1377هـ-1957م). عدد الأجزاء: 5، ج1ص150؛
حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص15.

والتحم الفريقان وظهرت شجاعة الأبطال وانتصر أسد الدين شيركوه نصرًا مؤزرًا [(1)]؛ ويعلق ابن الأثير على تلك المعركة بالقول: " وكان من أعجب ما يؤرخ أن ألفي فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل "[(2)].

وقد استمرت معركة البابين لمدة ثلاثة أيام متواصلة، قُتل خلالها من الفاطميين والصليبيين أعداد كبيرة، وغرق أكثر من ذلك، وأُسر عدد كبير[(3)]؛ وانتصر شيركوه في هذه العركة وصار الصعيد بيده، ثم قرر أسد الدين أن يذهب إلى الإسكندرية فسار في الطريق الصحراوي الغربي للوصول إليها، واستولى عليها بدون مقاومة من أهلها[(4)]! وذلك لميلهم إلى المذهب السني، وكرههم للفاطميين ولمذهبهم الشيعي، ثم أناب أسد الدين عنه بالإسكندرية: ابن أخيه صلاح الدين مع نصف جيشه، وعاد إلى الصعيد حيث أخضعه تحت سيطرته، وجبى رجاله الأموال[(5)] .

وبعد هزيمة الفاطميين والصليبيين من جيش أسد الدين شيركوه في موقعة البابين، عادوا إلى القاهرة، وأعدوا عساكرهم بها ثم توجهوا إلى الإسكندرية [(6)]، فحاصروها برًا وبحرًا مدة أربعة أشهر، وأهل الإسكندرية يقاتلون مع صلاح الدين ويعينونه بالمال؛ " واشتد حصارهم لها، وقل الطعام على سكانها إلا أنهم صبروا على ذلك "[(7)]، وعلى إثر ذلك قام أسد الدين بالخروج من الصعيد، ونزل على القاهرة في (شوال562هـ أكتوبر1167م) فلما بلغ شاور ذلك رحل هو وعموريّ عن الإسكندرية، وعاد إلى القاهرة للدفاع عنها[(8)].

وأثناء ذلك الوقت قام نور الدين محمود بالهجوم على أملاك الصليبيين في بلاد الشام، بهدف إشغال الصليبيين عن أسد الدين شيركوه وقائده صلاح الدين، وتمكن من استرداد حصن المنيطرة [(9)].

وفي نهاية الأمر أُجبر كل من: شاور وعموري، على طلب الصلح من أسد الدين شيركوه، الذي قَبل الصلح معهما بسبب إرهاق قواته " وما عانوه من الشدائد، وعاينوه من الأهوال "[(10)].

وقد بذلوا له خمسين ألف دينار، سوى ما أخذه من البلاد، فأجابهم إلى ذلك، وشرط على الصليبين أن لا يقيموا بالبلاد، ولا يتملكوا منها قرية واحدة، فأجابوا إلى ذلك، واصطلحوا وعاد أسد الدين إلى الشام؛ وتسلم المصريون الإسكندرية في النصف من شوال سنة (562هـ-1167م)، ووصل شيركوه إلى دمشق في ذي القعدة سنة (ذي القعدة 562هـ نوفمبر1167م)، وخلا الجو لشاور مرة أخرى[(11)].

حملة أسد الدين شيركوه الثالثة على مصر سنة (564 هـ 1169م):

---

(1). أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2ص8، 9؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5 ص240.
(2). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص328.
(3). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص349.
(4). ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5 ص349؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص361.
(5). الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج39، ص9؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج16، ص442.
(6). أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2 ص12.
(7). ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص328؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، ص64؛ الملاحق: ملحق رقم8 ص171.
(8). ابن كثير: المصدر السابق، ج16 ص442.
(9). المنيطرة: حصن يقع في بلاد الشام بالقرب من مدينة طرابلس؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص217.
(10). أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، ص10.
(11). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص329.

طلب الصليبيون من شاور أن يكون لهم شحنة[1] بالقاهرة، ويكون أبوابها بأيدي فرسانهم وتُحمل إليهم في كلِّ سنة مائة ألف دينار، ومن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله، ويعود بعض ملوكهم إلى الساحل، فأجابهم شاور إلى ما طلبوا منه! لكنَّ القوة العسكرية الصليبية التي وضُعت بالقاهرة بموجب ذلك الاتفاق قامت بالتسلط على زمام الأمور بمصر؛ حتى " تحكموا تحكمًا كثيرًا، وحكموا على المسلمين حكمًا جائرًا، فنال المسلمين منهم أذى شديد، وجور عظيم، وقهر زائد "[2].

وفي الوقت ذاته فحُش أمر شاور، وساءت سيرته، وكثر سفكه للدماء، وإتلافه للأموال [3]، ومن العجيب أن كل ذلك أُبرم بين شاور والصليبين، ولم يكن العاضد يعلم عنه شيء!

ولم يرض به بعض الأمراء ومن أبرزهم: الكامل بن شاور[4]، الذي قام بمراسلة نور الدين محمود، يسأله الدخول في طاعته، فوافقه نور الدين على ذلك؛ " وحمل الكامل بن شاور إلى نور الدين مالًا جزيلًا"، لا سيما وأن الكامل بن شاور كان بمثابة نائب أبيه في الوزارة[5].

وفى هذه الأثناء خرج الصليبيون من عسقلان والساحل إلى نحو مصر، وساروا حتى نزلوا بلبيس، وأغاروا على الريف وأسروا وقتلوا[6]، فلما بلغ شاور فعل الصليبين بالأرياف أخرج من كان بمصر من الصليبين، وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون؛ ثم أمر شاور أهل مصر بأن ينتقلوا إلى القاهرة ففعلوا، وأحرق شاور مصر، وسار الصليبيون من بلبيس حتى نزلوا على القاهرة، وضيقوا على أهلها وضربوها بالمجانيق[7].

" وأرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به، ويخبره بضعف المسلمين عن دفع الفرنج، وقد وضع في الرسالة بعض شعور النساء، وقال: هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج" [8] في إشارة أنهن سيقعن سبايا للفرنج إن لم يدركهن الملك نور الدين محمود، فشرع نور الدين في تسيير الجيوش.

وكان الصليبيون عندما وصلوا إلى مصر في المرَّتين الأوليين قد اطَّلعوا على عوراتها، وطمعوا فيها؛ وعندما وصلت كتب الكامل بن شاور، والعاضد إلى الملك نور الدين، أسرع بتجهيز العساكر خوفًا على مصر؛ وجعل على جيشه: أسد الدين شيركوه يرافقه ابن أخيه صلاح الدين سنة (564هـ-1169م)[9].

واستطاع شيركوه بمساعدة الجيش الفاطمي، وأهل القاهرة، هزيمة الصليبين، وطردهم نهائيًا من مصر؛ ثم استقبله الخليفة الفاطمي، وخلع عليه كما استقبله الشعب المصري استقبالًا حافلًا[10].

وجاء أسد الدين بمن معه من العساكر ونزل على باب القاهرة؛ ثم بعث العاضد منشورًا بالوزارة لأسد الدين، بخط القاضي الفاضل وعليه خط العاضد، وفيه: "هذا عهد لم يعهد إلى وزير بمثله، فتقلد ما

---

(1). شحنة: هي من يكون بالمدينة من أولياء السلطان لضبطها؛ ابن منظور: لسان العرب، ص2213.

(2). ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص155؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص17.

(3). أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص63.

(4). ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص330.

(5). القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج10 ص315.

(6). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص338؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص17.

(7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9 ص338.

(8) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج9 ص338.

(9) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص349.

(10) العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص362.

أراك الله أهلا بحمله؛ وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة، واسحب ذيل الافتخار بخدمتك بيت النبوة؛ والزم حق الإمامة تجد إلى الفوز سبيلًا، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا" [1].

ثم استدعاه العاضد إلى القصر، وخلع عليه في الإيوان خلعة الوزارة، ولقبه بالمنصور[2]، وقد سُرَّ أهل مصر بذلك، وأقام أسد الدين مكانه، وأرباب الدولة يتردَّدون إلى خدمته في كلّ يوم، ولم يقدر شاور على منعهم، لكثرة العساكر ولكون العاضد مائلا إلى أسد الدين.

لكن شاور لم يروق له ذلك الأمر، فسارع بمكاتبة الصليبيين واستدعاهم وقال لهم: يكون مجيئكم إلى دمياط في البحر والبرّ؛ فبلغ ذلك أعيان الدولة بمصر، فاجتمعوا عند الملك المنصور أسد الدين شيركوه وأخبروه؛ وكان شاور قد شرط لأسد الدين شيركوه ثلث أموال البلاد، فأرسل أسد الدين يطلب منه المال[3]، فجعل شاور يتعلّل ويماطل وينتظر وصول الفرنج؛ فابتدره أسد الدين وقتله [4].

وبقيَّ أسد الدين شيركوه في الوزارة شهرين ومات، ولمّا احتضر أوصى إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيّوب، فتولى صلاح الدين الوزارة ولُقب بالملك الناصر[5].

وزارة صلاح الدين للخليفة الفاطمي العاضد:

بعد وفاة أسد الدين شيركوه، تطلع بعض أمراء نور الدين الذين كانوا قدموا مع أسد الدين إلى الوزارة، وذلك لصغر سن صلاح الدين، منهم: عين الدولة الياروقي رأس الأتراك [6]، وسيف الدين المشطوب ملك الأكراد[7]، وشهاب الدين محمود صاحب حارم، وهو خال صلاح الدين؛ لكن الخليفة العاضد استدعى صلاح الدين، وخلع عليه في الإيوان خلعة الوزارة، ولقبه الملك الناصر[8].

وقد أيد المقربون من الخليفة العاضد تولية صلاح الدين! وقالوا له" ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر سنًا من يوسف، والرأي أن يولى، فإنه لا يخرج من تحت حكمنا، ثم نضع على العساكر من يستميلهم إلينا، فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثم نأخذ يوسف أو نخرجه"[9].

وقد يطلب العاضد مساعدة الصليبيين في تحقيق ذلك الأمر[10]، وبذلك تقع قوات نور الدين محمود في مصر في خلافاتها الداخلية على الوزارة من جهة، وبين القوات الفاطمية والصليبية المشتركة من جهة أخرى، كما كان يهدف العاضد من وراء تولية صلاح الدين الوزارة، إيقاع الفتنة بين الأمراء النوريين الكبار[11].

---

(1) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5 ص353.
(2) أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، ص38.
(3). أبو شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، ص38؛ حمدي عبد المنعم: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص19.
(4). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5 ص351.
(5). ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5 ص352.
(6). عين الدولة الياروقي: هو أحد قادة نور الدين محمود، دخل إلى مصر مع أسد الدين شيركوه، وكان يطمح في الوزارة بعد موت أسد الدين، كما كان أكثر أمراء أسد الدين جمعًا، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج7 ص150.
(7). سيف الدين بن المشطوب: هو سيف الدين علي بن أحمد بن أبي الهيجاء الهكاري، المعروف بالمشطوب، من أكابر الأمراء الأكراد في العصر الأيوبي؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج20 ص120.
(8). ابن تغري بردي: المصدر نفسه، ج5 ص359.
(9). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص344.
(10). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص311.
(11). أمجد حافظ حسين طاعة: العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص230.

وقد حدث ذلك بالفعل عندما خلع الخليفة العاضد على صلاح الدين؛ فقد قوبل هذا الأمر بالرفض من بعض أمراء نور الدين، الذين كانوا يريدون الأمر لأنفسهم، وامتنعوا عن التعاون معه وخدمته[1].

ولما تولّي صلاح الدين منصب الوزارة في مصر، تبين أن البلاد كانت تجتاز مرحلةً خطيرةً في تاريخها؛ فالدولة الفاطمية لا زالت موجودة يساندها الجيش الفاطمي، وكبار رجال الدولة؛ والخطر الصليبي لا يزالُ جاثمًا على مقربة من أبواب مصر الشرقيَّة، فكان على صلاح الدين أن يُثبِت أقدامه في الحُكم، ليتفرغ لمُجابهة ما قد ينشأ من تطوراتٍ سياسيةٍ.

ولم يلبث صلاح الدين أن أظهر مقدرةً كبيرةً في إدارة شؤون الدولة، وهو عازمٌ على الاستئثار بكافة الاختصاصات حتى التي تخصُ منصب الخلافة، ونفَّذ عدة تدابير كفلت له الهيمنة التامة، وقد استمال قُلوب سُكان مصر، بما بذل لهم من الأموال والإصلاحات فأحبوه[2] .

الصعوبات التي واجهت صلاح الدين:

عدم طاعة أمراء الجيش النوري:

عندما خلع الخليفة العاضد على صلاح الدين، ونزل إلى دار الوزارة، لم يطعه أحد من الأمراء النورية، وأبوا أن يخدموه، لكن الفقيه عيسى الهكاري [3]سعى في الإصلاح بينه وبينهم، وبدأ بسيف الدين المشطوب فقال له: هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة الياروقى، وشهاب الدين الحارمي، وقطب الدين ابن تليل؛ ثم عمد إلى شهاب الدين الحارمي، وقال له: هذا صلاح الدين ابن أختك، وأنت أولى الناس به، وعزه عزك وملكه لك، وقد استقام له الأمر، فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه، ولا يصل إليك، ولم يزل به حتى أقسم على الولاء والطاعة.

ثم أتى قطب الدين ابن تليل وأخبره أن صلاح الدين قد أطاعه معظم الناس، ولم يبق غيرك وغير عين الدولة الياروقى، وعلى كل حال، فالذي يجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد، فلا يخرج الأمر عنه إلى غيره من الأتراك، ومناه بزيادة إقطاعه، فاستجاب وأقسم على الولاء والطاعة[4]؛ ثم فعل مثل هذا مع بقي الأمراء، وما زال يسعى في الصلح بينهم، حتى استجابوا جميعًا! ماعدا عين الدولة الياروقى، فإنه قال لا أخدم يوسف أبدًا، وغادر القاهرة ببعض أتباعه إلى نور الدين بالشام؛ الذي أنكر علية مفارقته

---

[1]. ابن الأثير: الكامل في التـاريخ، ج9، ص344.

[2]. ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1 ص200.

[3]. عيسى الهكاري: ضياء الدين أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى، وينتسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المتوفي سنة (585هـ-1189مـ)، قدم مع أسد الدين شيركوة إلى مصر، وكان واسطة خير للناس نفع الله به خلقًا كثيرًا؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3ص497؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص24.

[4]. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج39ص19؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، 24.

لصلاح الدين[1].

أما صلاح الدين فقد سيطر بشكلٍ تام على الجُند، بعد أن أحسن إليهم وزاد في أعطياتهم، كما قام السلطان صلاح الدين بالخلع على جماعة من الأمراء، وكبار رجال دولة العاضد؛ كما كاتب أمراء الأقاليم البعيدة بما صار إليه من السلطان، وتقرب كذلك من أهل الفضل؛ ثم ما لبث صلاح الدين أن أمر بإقامة الخطبة للملك نور الدين على منابر مصر بعد الخليفة العاضد، وبذلك ظهرت نوايا صلاح الدين تجاه الخلافة الفاطمية[2].

مؤامرة مؤتمن الخلافة جوهر والجند السودان:

أقام صلاح الدين في السنة الأولى من حكمه علاقات حسنة مع جميع مراكز القوى في مصر، خاصة الخليفة العاضد؛ وقد واجهت صلاح الدين بعض المؤامرات من رجال الجيش والقصر؛ الذين تآمروا عليه [3]، ودبروا له المكائد للتخلص منه، وكان يتزعمهم مؤتمن الخلافة جوهر حتى وصل بهم الأمر إلى مكاتبة الصليبيين، يستعينون بهم على صلاح الدين ومن معه، ودعوتهم إلى دخول مصر كما فعل شاور من قبل، فإذا ما خرج صلاح الدين وجنوده لملاقاة الصليبيين، قاتل الجند السودان من بقيَّ من أصحابه بالقاهرة! وبذلك يقع صلاح الدين وجيشه بين فكيَّ رحى، بين قوى الصليبيين من جهة، والفاطميين من الجهة الأخرى، وبذلك يسهل القضاء عليهم؛ وتكون مصر بعد ذلك مناصفة بينهم وبين الصليبيين [4].

وبالفعل أرسل مؤتمن الخلافة رسالة إلى الصليبيين مع رجل يثق به، لكن صلاح الدين كان حذرًا؛ فقد بث عيونه في كل مكان، فلما وصل الرجل إلى البئر البيضاء إحدى قرى بلبيس، ظفر به بعض عيون صلاح الدين، ومعه نعلان جديدان لا يليقان بمثله[5]، فارتاب رجال صلاح الدين من سوء حال الرجل وحسن النعلين، فعلموا أن في الأمر شيئا، فأخذوا منه النعلين، وبعد فحصهما وجدوا فيهما، الكتاب إلى الفرنج، فقبضوا عليه وأحضروه مع الكتاب والنعلين إلى صلاح الدين [6].

فأخذ صلاح الدين الكتاب وأمر بإحضار كاتب هذا الخط، فأحضروا رجلا يهوديا؛ فلما وقف أمام صلاح الدين ليسأله عن ذلك! نطق بالشهادتين معتصمًا بالإسلام، معترفًا أنه من قام بكتابة ذلك الكتاب بأمر أهل القصر[7]؛ عند ذلك أدرك صلاح الدين حجم المؤامرة التي تحاك ضده في مصر، وخطورة رجال القصر الفاطمي عليه وعلى جيشه؛ لكنه آثر الصمت ليدبر أمره، لإدراكه مدى قوتهم وقوة أنصارهم بمصر.

أما مؤتمن الخلافة فقد وصله الخبر، واستشعر الخطر، وخاف على نفسه، ولازم القصر فلم يخرج منه، واذا خرج لا يبتعد عنه[8]؛ وأما صلاح الدين فكان يتحين فرصة مناسبة للتخلص من مؤتمن الخلافة، دون

(1) الذهبي: المصدر السابق، ج39ص19؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع نفسه، ص24.

(2) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص173.

(3) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2ص68؛
السيد عبد العزيز، سحر السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص60.

(4) أبو شامة: المصدر السابق، ج2ص68؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص25.

(5) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3، ص312؛
حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص26.

(6) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2ص68.

(7) المقريزي: المصدر السابق، ج3 ص312؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص26.

(8) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص312.

أن يثور عليه أحد من بقايا الفاطميين بمصر، وعندما اطمأن مؤتمن الخلافة لعدم تعرض صلاح الدين له فترة من الزمن، خرج ذات يوم من القصر إلى قرية يقال له الخرقانية للتنزه، فقد كان له بها قصر كبير؛ وما أن علم صلاح الدين بذلك حتى أرسل إليه جماعة من أصحابه، هجموا عليه وقتلوه يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة(564هـ-1169م) [1].

وما أن علم الجند السودان بمقتل جوهر مؤتمن الخلافة، حتى ثاروا على صلاح الدين؛ وقد انضم إليهم بعض الأمراء والعامة، حتى صار عددهم خمسين ألفًا؛ ثم عمدوا إلى دار الوزارة مقر إقامة صلاح الدين؛ الذي وصله خبر خروجهم، فأرسل إليهم قائده: الأمير حسام الدين أبا الهيجاء، على رأس جيشه، وتواجه الجيشان بين القصرين، ووقع القتال بينهم لمدة يومين [2] .

وقد ساند العاضد ثورة السودان، وكان يأمر بقذف العساكر الشامية بالنشاب والحجارة؛ لكنه لمارأى ضعف جند السودان وتقدم جيش صلاح الدين، وقيام بعض قادة صلاح الدين بإحراق جزء من قصر العاضد تراجع عن تأييدهم؛ كما قام جيش صلاح الدين بإشعال النار في أي مكان يلجأ إليه جند السودان؛ كما أرسل جنوده أثناء المعركة إلى حارتهم المعروفة بالمنصورة[3]، وكانت تقع خارج باب زويلة، فأضرم فبها النيران التي أحرقت بيوتهم وأموالهم! ولما علم الجند السودان بذلك ضعفت همتهم، وهُزموا بعد ما ثبتوا في القتال يومين وطلبوا الأمان، فأمنهم صلاح الدين على ألا يبقى منهم أحد بالقاهرة[4].

وأصبح أمر السودان كأن لم يكن قط .ثم قام صلاح الدين باستبدال الخدم الذين يتولون أمر قصر الخلافة بجند تابعين له، وأمَّر عليهم بهاء الدين قراقوش[5] ليتولى شئون القصر فكان لا يجري في القصر صغير ولا كبير إلا بأمره وحكمه[6]؛ لقد أظهرت تلك المعركة أن العاضد حاول التخلص من صلاح الدين بإضعافه ومساندته للجند السودان الثائرين عليه في مصر، لكن كانت الغلبة في ذلك الصراع لصلاح الدين وجند الشام.

رد الفعل الصليبي:

كان الصليبيون في بيت المقدس يراقبون الأحداث في مصر، وزيادة نفوذ نور الدين، وقائده صلاح الدين الذي استقرت أقدامه في مصر، وخشوا على مملكتهم الصليبية في بلاد الشام، بعد أن صارت القوات الإسلامية في مصر والشام تحت قيادة إسلامية واحدة، كان لها باع كبير في الصراع مع الصليبيين في

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 39 ص20؛
حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص27.
(2) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص176.
(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص346.
(4) ابن واصل: المصدر السابق، ج1ص176.
(5). بهاء الدين قراقوش: أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي، الملقب بهاء الدين، المتوفي سنة (597هـ-1201م)، كان خادم صلاح الدين، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين، فأعتقه ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية، أوكل أمور القصر إليه وكان رجلًا مسعودًا وصاحب همة عالية، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4 ص92.
(6). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص346.

الشام؛ على عكس قوة الفاطميين التي أخفقت أمامهم مرات عديدة[1]؛ وكذلك أدركوا أن سيطرة نور الدين محمود، وقائده صلاح الدين على القواعد البحرية في شمال مصر، مثل الإسكندرية ودمياط، وغيرها من المدن الساحلية، من شأنها أن تسلب الصليبيين سيادتهم البحرية.

وعلى إثر ذلك أرسل الملك الصليبي عموريّ رسالة إلى ملوك أوروبا، ورسالة أخرى إلى الإمبراطور البيزنطي: مانويل كومينين؛ يطلب منهم معاونته في صراعه مع جيش نور الدين محمود في مصر لما يشكله من خطر على الصليبيين في بيت المقدس [2]؛ إلا أن ملوك وأمراء أوروبا قد دبت بينهم النزاعات الداخلية، فلم يتمكنوا من تقديم أية مساعدة ! لكن الإمبراطور البيزنطي: مانويل كومينين شعر بالخطر الذي يهدد أملاكه بسبب ازدياد قوة نور الدين وسيطرته على مصر؛ لذلك أمد عموريّ بالمال والرجال والسلاح، كما وقع معه على اتفاقية يتم بموجبها السير إلى مصر عن طريق دمياط، والسيطرة عليها، ثم الانطلاق منها إلى بقية مدن مصر[3]، وبالفعل انطلقت القوات الصليبية من سواحل بلاد الشام متوجهة نحو مصر، واصطحبوا معهم المنجنيقات والدبابات وغيرهما من آلات الحصار، ووصلوا دمياط مستهل شهر صفر(565هـ-1169م) وقاموا بحصارها والتضييق على أهلها[4].

نتيجة ذلك واجه صلاح الدين خطر الصليبيين والبيزنطيين، وأعد لذلك جيشًا بقيادة: ابن أخيه تقي الدين عمر، وخاله شهاب الدين الحارمي؛ أما صلاح الدين فقد ظل بالقاهرة خشيةً من حدوث انقلاب يقوم به بقية الفاطميين؛ وأرسل إلى نور الدين قائلًا " إن تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج، وان سرت إليها خَلَفَني المصريون في أهلها وأموالها بالشر، وخرجوا عن طاعتي، وساروا في أثري، والفرنج من أمامي، فلا يبقى لنا باقية" [5] .

فأرسل نور الدين مددًا إلى صلاح الدين بقيادة: قطب الدين الهذباني[6]؛ ثم اتجه نور الدين بجيشه إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، وأغار عليها واستباحها، ونهب بعض ممتلكاتها[7]، وكان هدفه من ذلك أن يصرف أنظار الفرنج عن دمياط ليدفعهم إلى الرحيل عنها لحماية أملاكهم في الشام.

ولقد بلغ من اهتمام نور الدين بأمر المسلمين في دمياط، حين نزل بهم الفرنج، أنه قرئَ بين يديه جزء من حديث كان له به رواية، وكان هذا الحديث مسلسل بالتبسم، فطُلب منه أن يتبسم ليتم السلسلة على عادة أهل الحديث، فغضب، وقال: " إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مبتسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج "[8].

---

[1]. أمجد حافظ حسين طاعة: العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين، ص237.
[2]. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9 ص350؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص27.
[3] أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2 ص139.
[4] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص315.
[5] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص350؛
حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص27.
[6] قطب الدين الهذباني: هو قطب الدين خسرو بن تُليل الهذباني، وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهذباني، وهو صاحب المدرسة القطبية التي بالقاهرة؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7 ص153.
[7] أبو شامة: المصدر السابق، ج2ص142؛
السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص64.
[8] ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص182.

كما أن الخليفة العاضد أمد صلاح الدين بالأموال الكثيرة؛ وقد قال صلاح الدين في ذلك " ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إليَّ مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية، سوى الثياب وغيرها" [1]؛ ونتيجة لذلك التناصر الذي تمثل في جهود نور الدين محمود، والمساعدات والإمدادات التي أرسلها لصلاح الدين بمصر، وما قام به من غزو إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، وحصاره لبعض ممتلكاتهم واستباحته لها؛ مع ما قام به صلاح الدين من الإمدادات العسكرية للدفاع عن دمياط، وبسالة الجيش المدافع عنها؛ كل ذلك أجبر الصليبيين والبيزنطيين على الانسحاب منها، والعودة إلى بلادهم خائبين في ربيع أول سنة(565هـ-1169م)[2] بعد حصار دام خمسين يومًا.

وقد عبر ابن الأثير عن خيبة الصليبيين والبيزنطيين بعد ما غرق لهم نحو ثلاثمائة مركب، وقتل عدد كبير من مقاتليهم بالمثل المشهور " خرجت النعامة تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين "[3].

وقد سُر المسلمون بهذا النصر، وأرسل صلاح الدين بالبشارة إلى نور الدين محمود برحيل الصليبيين والبيزنطيين عن مصر؛ كما أرسل نور الدين إلى العاضد الفاطمي يهنئه برحيل الصليبيين والبيزنطيين عن دمياط [4] .

7- إقامة الخطبة للعباسيين ونهاية الدولة الفاطمية:

وقد اغتنم صلاح الدين فرصة النصر على الصليبيين، وطلب من نور الدين أن يرسل له أباه نجم الدين، وإخوته وأخواله وأعمامه، ليعينوه على تدعيم دولته، فوافق نور الدين، وأرسلهم له وعلى رأسهم والده نجم الدين؛ الذي خرج العاضد بنفسه لاستقباله وبالغ في تقديره[5]؛ وقد خلع عليه الخليفة العاضد، ولقبه بالملك الأفضل، وأهدى له التحف والهدايا من قصره[6]؛ ولما وصل نجم الدين القاهرة، عرض عليه ولده صلاح الدين التنازل له عن حكم مصر وتدبير أمرها! لكن نجم الدين رفض ذلك الأمر قائلًا" يا ولدي ما اختارك الله لهذا إلا وأنت أهل له "[7].

فاستمر صلاح الدين بإصلاح شئون مصر، فقام بمصادرة إقطاعات الفاطميين، كما قام بعزل

---

(1). المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص315؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص27؛ طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص516.

(2). ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص183؛ طقوش: المرجع السابق، ص517؛ العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص364.

(3). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص350.

(4). المقريزي: المصدر السابق، ج3، ص316.

(5). الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج39 ص25.

(6). أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2 ص152.

(7). أبو شامة: المصدر السابق، ج2 ص152.

الأمراء الفاطميين واستبدلهم بقادته الشاميين، الذين أبلوا بلاءً حسنًا في جهاد الصليبيين فازدادوا له حبًا وطاعة، وبذلك قويَّ مركزه [1]؛ وقد أدت تلك التدابير التي نفذها صلاح الدين إلى تقوية قبضته على مُقدرات الدولة؛ وزادت من تراجع نُفوذ الخليفة العاضد لدين الله.

وبعد هذا النصر، أرسل نورُ الدين الزنكي إلى صلاح الدين يطلب منه أن يقطع الخطبة للفاطميين، ويُرجعها للخليفة العباسي، فاعتذر له بالخوف من وثوب أهل مصر، وامتناعهم عن الاستجابة إلى ذلك لميلهم إلى العلويين [2]، ولم يكن صلاح الدين أقل تحمسًا من سيده في قطع الخطبة للعاضد! إلا أنه أراد أن يتأنى في ذلك الأمر خشية انقلاب الفاطميين عليه، لكن نور الدين أصرَّ على صلاح الدين أن يفعل ذلك في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية [3]، والاستفادة من إمكانات مصر الاقتصادية والبشرية في الجهاد ضد الصليبيين.

ثم أرسل نورُ الدين الزنكي إلى صلاح الدين في ذي الحجة سنة (566هـ -1171م) يأمره بإسقاط الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد، وإقامتها للخليفة العباسي المُستضيء بنور الله[4]، وألزمه إلزامًا لا فُسحة له في مُخالفته[5].

وفي هذه الأثناء كان العاضد مريضًا مرضًا شديدًا، فاجتمع صلاح الدين بأمرائه، وعرض عليهم أمر نور الدين بإسقاط الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد، فبعضهم أجاب بقطع الخطبة، وبعضهم خاف من حدوث فتنة، وفي هذه الأثناء دخل إلى مصر رجل أعجميّ يعرف بالأمير العالم، فلما رأى ما هم فيه من التردد في قطع الخطبة للخليفة العاضد وإقامتها للخليفة العباسي، قال: أنا أبتدئ بالخطبة لهم، فلما كان الجمعة الأولى من شهر المحرم صعد المنبر قبل الخطيب، ودعا للخليفة العباسي المستضيء بنور الله، فلم ينكر عليه أحد من الناس.

فما كان من صلاح الدين إلا أن أمر الخطباء بمصر والقاهرة، أن يقطعوا خطبة العاضد الفاطمي، ويخطبوا للمستضيء بنور الله العباسي، ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان، وكتب بذلك إلى سائر بلاد مصر؛ أما الخليفة العاضد فقد اشتد عليه مرضه، فلم يعلمه أحد من أهله وأصحابه بأمر الخطبة، وقالوا: إن عوفي سيعلم بالأمر، وإن توفي فلا ينبغي أن نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته[6]، كما أعاد صلاح الدين السواد شعارُ العباسيين؛ وقد تم هذا التحول بهدوء تام.

وبذلك عادت مصر إلى كنف الدولة العباسية، وأُعيدت الوحدة المذهبية في الشرق الأدنى؛ وكان العاضد لدين الله أثناء ذلك مريضًا يحتضر، فلم يشأ صلاحُ الدين إزعاجه ومُضاعفة همه، فأمر رجاله بألَّا

---

[1]. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص364؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1 ص201.

[2]. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص364؛
السيد عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص66.

[3]. طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، ص522.

[4]. المستضيء بنور الله: هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله، ولد سنة (536هـ-1142م)، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة (566هـ-1171م).، وتوفي سنة (575هـ-1180م).، وبويع من بعده لولده الناصر لدين الله، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21 ص68، 69.

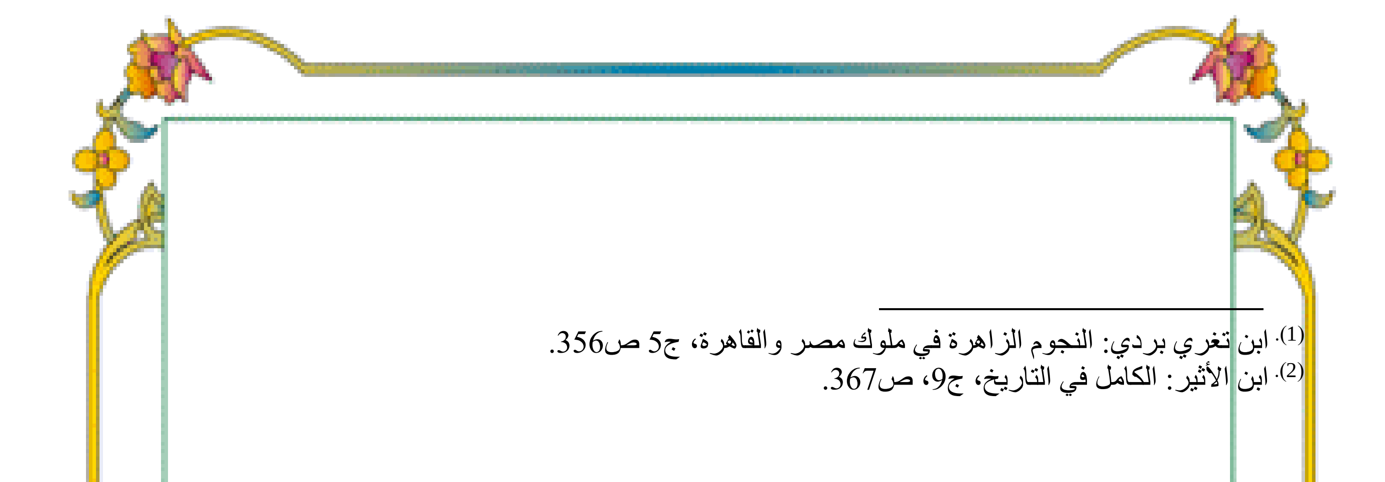
[5]. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص365.

[6]. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص365؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص29.

ينهوا إليه بالأنباء[1]؛ ولم تكد تمضي أيام على قطع الخِطبة للفاطميين حتى تُوفيَّ الخليفة العاضد لدين الله في العاشر من محرم سنة(567هـ-1171م).

ولما وصلت تلك البشائر إلى الخليفة العباسي في بغداد؛ ضربت البشائر بها أيام، وزينت بغداد، وشاعت علامات الفرح والسرور على الناس، وأرسل الخليفة العباسي الخلع والهدايا مع الأمير: عماد الدين صندل، إلى نور الدين محمود، وصلاح الدين، فسار الأمير عماد الدين صندل إلى نور الدين وألبسه الخلعة، وبعث بالخلع والهدايا إلى صلاح الدين، وللخطباء بالديار المصرية، كما بعث لهم بالأعلام السود[2]؛ فكانت تلك نهاية الدولة الفاطمية فعليًا، فزالت من الحياة السياسية بعد أن دامت 262 سنة.

يتبين مما سبق أن الهدف الذي كان يسعى إليه كل من نور الدين محمود، وقائده صلاح الدين هو إسقاط الخلافة الفاطمية سياسيًا، وانهاء المذهب الشيعي الذي لم يتغلغل في عقيدة عامة المصريين بشكل يجعلهم يؤمنون به ويدافعون عنه.



(1). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5 ص356.
(2). ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص367.

الفصل الثالث

جهود صلاح الدين للقضاء على المذهب الشيعي

1- قطع الخطبة الجامعة بالأزهر وإبطال تدريس الفكر الشيعي به.

2- التوسع في إنشاء المدارس السنية.

3- إلغاء الأعياد المذهبية للفاطميين ومحو رسومهم وعملاتهم.

4- إحياء الأيوبيين قضية انتحال النسب الفاطمي للبيت النبوي.

الفصل الثالث

جهود صلاح الدين للقضاء على المذهب الشيعي

1- قطع الخطبة الجامعة بالأزهر وإبطال تدريس الفكر الشيعي به:

بعد وفاة العاضد الفاطمي في محرم سنة (567هـ-1171م)، أمر صلاح الدين بقطع الخطبة الجامعة من الجامع الأزهر، وهذا الأمر يعد طعنة قاتلة للدعوة الفاطمية في مصر التي اتخذت من الجامع الأزهر جامعة لنشر علوم الدعوة الشيعية الإسماعيلية [1]؛ وذلك بعد أن قلد وظيفة القضاء للقاضي: صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي في جمادي الأخرة سنة(566هـ-1171م)، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو عدم جواز إقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، وأقرها بجامع الحاكم، من أجل أنه أوسع، كما أمر أن يذكر على المنبر في خطبة الجمعة، الخلفاء الراشدين مرتبين، أبوبكر وعمر وعثمان ثم علي بن أبي طالب رضيَّ الله عنهم أجمعين[2]، فلم يزل الجامع الأزهر معطلًا لا تقام فيه صلاة الجمعة مائة عام من ذلك التاريخ.

وقد أعيدت إليه الخطبة سنة (665هـ-1267م) في أيام الملك الظاهر بيبرس[3]، كما تم منع تدريس مذاهب الشيعة بالأزهر، الذي ظل طوال العصر الفاطمي أكبر مراكز الدعوة الإسماعيلية بمصر والعالم؛ وقبل ذلك في العاشر من ذي الحجة سنة (565هـ-1170م) أمر صلاح الدين بإزالة الشعائر الشيعية، التي أدخلها الفاطميون إلى مصر، وظلت بها طول عصر دولتهم، من الأذان، وقبل إقامة الصلاوات، فأبطل ما زيد من الأذان من قول " حي على خير العمل وعلي خير البشر " وفي ذلك يقول المقريزي" فكانت أول وصمة دخلت على الدولة"، واستمر الأذان في مصر على المذهب السني[4].

كما منع صلاح الدين ما كان يردده المؤذنون في العصر الفاطمي، من السلام على الخليفة الفاطمي في الآذان [5].

ثم أمر بخلع المناطق الفضية التي كانت تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين من محاريب المساجد بالقاهرة، وكان ذلك حرصًا من صلاح الدين على محو النقوش والأثار التي تخلد أسماء الخلفاء الفاطميين [6].

ولما أقيمت الخطبة الجامعة بجامع الحاكم؛ كان الخطيب يأتي مرتديًا السواد، شعار الدولة العباسية، ويأخذ الخطيب في خطبته مأخذًا سنيًا يكون الدعاء فيها للصحابة رضي الله عنهم، وللتابعين ومن سواهم، ولأمهات المؤمنين، زوجات النبي صلى الله عليـه وسـلم [7].

ومما لا شك فيه أن قيام صلاح الدين بقطع الخطبة الجامعة من الجامع الأزهر، وما ترتب على ذلك من تعطيل دراسة مذاهب الشيعة فيه، ثم تحويل الأزهر إلى جامعة سنية لتدريس علوم السنة- وهو ما استمر

---

[1] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص3.

[2] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص317.

[3] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4ص55؛ أحمد فؤاد السيد: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، مكتبة مدبولي، ط1(1422هـ-2002م). ص93.

[4] المقريزي: المصدر السابق، ج4ص49؛ أحمد فؤاد السيد: المرجع السابق، ص93

[5] المقريزي: المصدر نفسه، ج4ص46؛
أحمد فؤاد السيد: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص93.

[6] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص54؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، ط2(1429هـ-2008م). ص35.

[7] المقريزي: المصدر السابق، ج4 ص46؛ أحمد فؤاد السيد: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص93.

عليه الحال حتى اليوم – مع تشجيع علماء أهل السنة للتدريس فيه، قد أدى إلى نشر علوم السنة بمصر، وفي معظم أرجاء العالم الإسلامي[1].

2- التوسع في إنشاء المدارس السنية:

المقصود بالمدارس: هي الدور المنظمة التي أنشئت للتعليم، ويتولى التدريس بها فئة من المشايخ، يتم اختيارهم بعناية للقيام بتلك المهمة؛ وفي تلك المدارس يتفرغ الطلاب للعلم والتحصيل والبحث، فلا ينشغل الطالب بتدبير نفقة، ومسكن، وإعداد طعام وشراب، فالمدرسة توفر للطلاب بها كل وسائل الحياة المادية والنفسية[2].

وعندما أراد صلاح الدين أن يعيد نشر المذهب السني في ربوع مصر، اتجه أولًا إلى عقول الناس، فعمل على إنشاء المدارس التي تعلم علوم أهل السنة في مصر، بحيث تمكنت تلك المدارس في وقت قصير، من إعادة نشر مذهب أهل السنة بين المصريين؛ ليحل مكان المذهب الاسماعيلي.

وكان يعين بالمدرسة أول الأمر مدرس واحد يُختار من علماء عصره، ثم صار يُعين أكثر من مدرس في المدارس الكبرى، وكل مدرس يدرس لعشرين طالبًا، ويساعد المدرس عادة معيد، وهذا المعيد أقل مرتبة من المدرس، وأرقى درجة من عامة الطلبة، وظيفته: إعادة الدرس الذي ألقاه عليه المدرس[3].

وسرعان ما أصبحت تلك المدارس أشبه ما تكون بجامعات، فبعد أن كانت لا تدرس فيها إلا العلوم الدينية، أصبحت مع الأيام تدرس علوم اللغة التي اشتملت على النحو، والصرف، والبيان، والأدب، بالإضافة إلى العلوم الأخرى[4].

أشهر المدارس التي أنشئت لنشر المذهب الشافعي:

---

(1). أحمد فؤاد السيد: المرجع السابق، ص97.

(2). ابن جبير: أبو الحسين، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، المتوفي سنة (614هـ-1195م). رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر– بيروت، ط1، ج1ص27.

(3). السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2 ص257.

(4). أحمد خلف فندي سبعاوي: الخدمات الوقفية من خلال كتاب الخطط المقريزية، دار الكتاب الثقافية، ص104.

1- المدرسة الناصرية أو الشريفية: وهي أول مدرسة أنشأها صلاح الدين الأيوبي في مصر، لتدريس المذهب الشافعي، وكانت تقع جنوب جامع عمرو بن العاص، وكانت قبل ذلك سجنًا يعرف بدار المعونة [1] فهدمه صلاح الدين عندما كان وزيرًا للخليفة العاضد، في أول المحرم سنة:(567هـ-1171م) وقد قام بالتدريس بها الفقيه: ابن زين التجار[2].

ثم أطلق عليها بعد ذلك المدرسة الشريفية نسبة إلى الشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله قاضى العسكر، أحد من دَرَّسوا بها[3].

2- المدرسة القطبية: الذي تولى بنائها: الأمير قطب الدين خسرو بالقاهرة، سنة(570هـ-1217م)، وهو أحد أمراء صلاح الدين، ووقفها على المذهب الشافعي.

وقام بالتدريس فيها الفقيه: أبا الفتح نصر بن محمد القضاعي المتوفي سنة (598هـ-1201م) كما تولى التدريس فيها الفقيه: عبد المجيد بن محمد الإسكندراني المتوفي سنة (628هـ-1229م)، والفقيه: أبو محمد عبد القادر بن البغدادي[4] .

3- مدرسة ابن الأرسوفيّ:

عرفت هذه المدرسة بابن الأرسوفيّ التاجر العسقلانيّ، وكانت تقع بالبزازين التي تجاور خط النخالين بمصر، وكان بناؤها في سنة (570هـ-1174م)، وابن الأرسوفيّ هو: عفيف الدين عبد الله بن محمد الأرسوفيّ، وقد مات بمصر في يوم الاثنين حادي عشري ربيع الأوّل سنة (593هـ-1198م).[5]

4- المدرسة التقوية:

تنسب هذه المدرسة إلى الملك المظفر: تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين، وقد قامت ببنائها أمّ الخليفة العزيز بالله بن المعز، وعرفت بمنازل العز، وقد سكنها تقيّ الدين عمر مدة إقامته بمصر، فلما أراد أن يخرج إلى الشام، اشتراها قبل سنة (571هـ-1175م)، وأوقفها مدرسة على فقهاء الشافعية، كما أوقف عليها أوقافًا للإنفاق عليها؛ ومن أهم من قام بالتدريس فيها الفقية: الشهاب الطوسي (522هـ-1128م):(596هـ-1199م)؛ وكان له معيدون بتلك المدرسة منهم: الشيخ بهاء الدين علي بن هبة الله، والشيخ الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل القرشي،الذي تعلم في هذه المدرسة، وعمل معيدًا بها؛ وممن قام بالتدريس في هذه المدرسة، قاضي القضاة عماد الدين بن السكري [6]، ثم قام بالتدريس من بعده، ولده شرف الدين محمد بن عبد الرحمن، وكان على طريقة والده في الأدب والوقار، وقد توارث أولاد السكري التدريس في هذه المدرسة بعد ذلك.

---

(1) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص201.

(2) ابن زين التجار: أحمد بن المظفر بن الحسين الفقيه، أبو العباس المعروف بابن زين التجار، المتوفي سنة (591هـ-1195م). مدرس المدرسة الناصرية الصلاحية، المجاورة للجامع العتيق بمصر، وبه تعرف إلى اليوم، لأنه درس بها مدة، وكان من أعيان الشافعية، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج12ص956.

(3) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص197؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه (1420هـ-1999م). ص83.

(4) ابن البغدادي: أبو محمد عبد القادر محمد بن الحسن الإمام شرف الدين أبو محمد، رحل من الشام في الصبي وسكن القاهرة، وتفقه بها على الشهاب محمد بن محمود الطوسي، ودرس بجامع السراجين، ثم بالمدرسة القطبية إلى حين وفاته سنة (634هـ-1236م). الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج46 ص201.

(5) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص201.

(6) ابن السكري: أبو القاسم عبد الرحمن الطوسي بن عبد العلي السكري (533هـ-1138م): (624هـ-1227م). ولد بمصر، ودرس المذهب الشافعي على يد الفقيه: الشهاب الطوسي، وقام بالتدريس بهذه المدرسة، كما تولى منصب قاضي القضاة والخطابة في مصر، النويري: نهاية الأرب في قطوف الأدب، ج29 ص283.

وقد بقيت هذه المدرسة عامرة بالعلم والعلماء، إلي زمان تقي الدين المقريزي[1]؛ ومن أشهر من تخرج من هذه المدرسة في العصر الأيوبي: الفقيه الشيخ صالح بن صارم الأنصاري، والحافظ زكي الدين المنذري[2].

5 ـ المدرسة الصلاحية، أو مدرسة الخيوشاني:

أمر صلاح الدين ببناء هذه المدرسة سنة (572هـ-1176م)، بجوار ضريح الإمام الشافعي، ووقفها على فقهاء الشافعية، وكان الذي أشرف على بنائها الشيخ نجم الدين بن الموفق الخبوشاني، وقام بالتدريس بها إلى أن مات سنة (587هـ-1191م) ثم تولى التدريس بها الشيخ صدر الدين بن حموية، سنة (588هـ-1192م)، والفقيه المرتضى أبو الفتح القضاعي الشيرازي المتوفي سنة (587هـ-1191م)؛ وكان من الذين تولوا الإعادة في هذه المدرسة الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجمال،

المتوفي سنة (639هـ-1241م)، الفقيه أبو الحسن علي بن أبي علي الملقب بالسيف الأمدي المتوفي سنة (631هـ-1233م)[3]، والفقيه القاسم بن علي المتوفي سنة (627هـ-1230م) .

ومن أشهر تلاميذ تلك المدرسة في العصر الأيوبي، الفقيه أبو الربيع سليمان بن أبي إسحاق إبراهيم، وقد تولى التدريس بها مدة؛ وقد كانت هذه المدرسة من أعظم المدارس في العصر الأيوبي[4]، وقد وصفها الرحالة ابن جبير، بأنها مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، من عظم مساحتها وجمال بنائها، وقد يخيل لمن يمر عليها أنها بلد مستقل بذاته، وكانت الأموال التي تنفق عليها أكثر من أن تحصى[5].

6- مدرسة المشهد الحسيني:

وهي من جملة المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي، وكانت تقع بجوار المشهد الحسيني[6]، وقد أوقف صلاح الدين عليها أوقافا للإنفاق عليها، ولما فوض صلاح الدين الأمر بالمشهد لمعين الدين بن شيخ الشيوخ بن حمويه، قام بجمع أوقافه، وبني بها مدرسة، كما أنشأ مساكن أعدت كبيوت للفقهاء [7].

وقد تولى التدريس بها، الفقيه: شهاب الدين محمد ابن ابراهيم الحموي المعروف بابن الجاموس المتوفي سنة (615ه -1218م)[8]، وشيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر بن حموية الجويني المتوفي سنة (617هـ-1219م)، وقد تولى الإعادة بهذه المدرسة الفقيه أبو الطاهر اسماعيل ابن الطاهر بن الحسيني المعروف بابن الماوري المتوفي سنة (627هـ-1229م)، وأبو إسحاق ابراهيم بن يعقوب المنعوت بالجمال المتوفي سنة (639هـ-1241م)؛ وهؤلاء المدرسون والمعيدون كانوا من فقهاء المذهب الشافعي [9].

---

(1). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج 4ص203؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص86.

(2). المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة أبو محمد المنذري الشامي ثم المصري الشافعي (581هـ-1138م):(656هـ-1185م). درس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة، ثم وليَّ مشيخة الدار الكاملية للحديث، ثم تفرغ للتصنيف والتخريج والإفادة والرواية؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19ص10.

(3). اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4 ص59.

(4). ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2 ص54.

(5). ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2 ص54.
أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص89.

(6). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص55.

(7). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2ص324.

(8). ابن الجاموس: محمد بن ابرهيم بن رافع بن هبة الله شهاب الدين الفقيه الشافعي المعروف بابن الجاموس درس بمدرسة مشهد الحسين بالقاهرة، وخطب بجامعها وخطب بالقدس، ودرس به بعد القاضي محيي الدين ابن الزكي، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2 ص21.

(9). أيمن شاهين سلام: المرجع السابق، ص90.

7- المدارس الشافعية بالفيوم:

لم يقتصر إنشاء المدارس على القاهرة والفسطاط فقط؛ بل امتد للأقاليم، فقد أنشأ تقي الدين عمر في الفيوم خمسة مدارس ثلاثة منها شافعيه، ومدرستين للمالكية [1]، وذلك لما كانت الفيوم إقطاعا له؛ وقد ذكر ابن دقماق أن صلاح الدين بني بالفيوم مدرسة للفقهاء الشافعية [2]، وقد درس بالمدرسة الحسامية الشافعية بالفيوم القاضي عماد الدين أبو الحسين الحلبي، ابن العجمي المتوفي سنة (670هـ-1271م)[3].

8- المدرسة السيفية:

كانت هذه المدرسة مكان إقامة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب صاحب اليمن[4]، عندما كان بالقاهرة، وهذه المدرسة بالقاهرة وموضعها من جملة دار الديباج [5]، ثم إن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، أوقفها مدرسة في أيام وزارة صفي الدين بن شكر [6].

وتولي التدريس فيها الفقيه عماد الدين ولد القاضي صدر بن درباس، والفقيه أبو الطاهر إسحاق بن عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني الشافعي المتوفي سنة (600هـ-1203م) [7]، والفقيه عماد الدين أبو عمرو عثمان الكردي المتوفي سنة (620هـ-1223م)، والفقيه علي بن أحمد بن محمود بن الغزنوي المتوفي سنة (633هـ-1235م)، والفقيه نجم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي[8]، والفقيه أبي حامد محمد بن عبد الملك بن درباس الكناني، الذي ولد بمصر سنة (576هـ-1277م)، والقاضي شمس الدين أحمد بن خلكان؛ والقاضي إدريس بن صالح المصري؛ وممن كان معيدًا بهذه المدرسة والفقيه سالم الكناني المصري[9].

9- المدرسة الشريفية:

وقد نسبت إلى الشريف فخر الدين أبي نصر إسماعيل بن ثعلب بن يعقوب الزيني، الذي أوقف داره للفقهاء الشافعية، وقد كُمل بناء هذه المدرسة سنة (612هـ-1215م) وتوفي الشريف ابن ثعلب بعد إتمامها بعام سنة(613هـ-1216م).

---

(1). النابلسي: أبوعثمان الصمدي الشافعي، المتوفي سنة:(640هـ-1243م)، تاريخ الفيوم وبلاده، القاهرة، المطبعة الأهلية، ط (1315هـ-1898م). ص29.

(2). ابن دقماق: ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المتوفي سنة (809هـ-1406م). الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، جامعة أم القرى، ط (1402هـ-1982م). ص226.

(3). الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 49ص308.

(4). سيف الإسلام طغتكين: سيف الإسلام أبو الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان، ظهير الدين المعروف بالملك العزيز صاحب اليمن، أخوه الملك الناصر صلاح الدين، وكان رجلًا شجاعًا حسن السياسة كريمًا مشكور السيرة، مقصودًا من البلاد الشاسعة لبره وإحسانه، وتوفي باليمن سنة (593ه-1197م)؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2ص523.

(5). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2ص390.

(6). المقريزي: المصدر السابق، ج4 ص207.

(7). الذهبي: المصدر السابق، ج45 ص185.

(8). ابن خلكان: المصدر السابق، ج7 ص90.

(9). السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المتوفي سنة (771هـ-1369م). طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 (1413هـ-1992م). ج8 ص387.

وقد تولى التدريس بها الفقيه أبو العز المظفر، والشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوي الحسيني الأرموي[1]؛ وقيل إن هذه المدرسة عرفت بهذا الفقيه[2]، كما تولى التدريس بها الفقيه نجم الدين الأسواني الشافعي الحسين بن علي بن سيد الكل[3]، وقاضي القضاة علاء الدين علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي، شيخ الشيوخ المعروف بالقونوي [4].

10- المدرسة الكاملية:

أنشأها الملك الكامل[5] سنة (622هـ-1225م) وكانت تقع في شارع المعز الفاطمي، وكان يطلق عليها أيضًا دار الحديث[6]؛ وقد تولى التدريس فيها من فقهاء الشافعية الفقيه أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية المتوفي سنة (633هـ-1236م)، وهو أول من تولى مشيختها والتدريس بها إلى أن أقيل منها؛ ثم أسندت إلى أخيه أبي عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية، ومكث بها حتى وفاته سنة (634هـ-1237م).

ثم أسندت مشيختها والتدريس بها إلى الفقيه الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، وقد بقيَّ في منصبه أكثر من عشرين سنة حتى وفاته سنة (656هـ-1258م)[7]، والفقيه شرف الدين بن أبي الخطاب بن دحية، ومن بعده المحدث محيي الدين بن سراقة، والفقيه تاج الدين بن القسطلاني المالكي، والفقيه النجيب عبد اللطيف الحراني[8]، والفقيه القطب القسطلاني الشافعي، والفقيه ابن دقيق العيد.

والفقيه أبو عمرو بن سيد الناس(661هـ-1263م):(734هـ-1333م)، والفقيه البدر بن جماعة، والفقيه عماد الدين محمد بن علي بن حرمي الدمياطي المتوفي سنة (749هـ-1348م)[9].

وممن تولى التدريس فيها أيضًا الفقيه جمال بن التركماني وظل بها حتى وفاته سنة (769هـ-1367م)، والحافظ زين الدين العراقي وظل بها حتى سنة (788هـ-1386م) حيث تولى القضاء في المدينة النبوية، والشيخ سراج الدين بن الملقن[10]، وغيرهم من العلماء الكبار[11].

---

[1]. المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، العبيدي، المتوفي سنة (845هـ-1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1(1418هـ-1997م).، عدد الأجزاء: 8، ج1 ص478.

[2]. ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5 ص169.

[3]. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج13ص16.

[4]. ابن سليمان اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4ص211.

[5]. الملك الكامل: (615هـ-1218م): (635هـ-1237م). سلطان الديار المصرية ناصر الدين، محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، الأيوبي، كان شجاعًا مقدامًا، فاضلًا، عادلًا في الرعية؛ وقد حارب الفرنج بدمياط، ومكث نائبًا عن أبيه في حكم مصر عشرين سنة، ثم استقل بحكمها عشرين سنة، وكانت البلاد في زمانه آمنة، ولا يجرؤ أحد أن يظلم أحدًا، و وكان معظمًا للسنة النبوية، بن تغري بردي: أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري المتوفي سنة (874هـ-1469م). مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج2ص14.

[6]. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص35.

[7]. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج6، ص229.

[8]. عبد اللطيف الحرّاني: (587هـ-1191م): (672هـ-1273م)، أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني الحنبلي المحدث، الفقيه، ولد بمدينة حران، وتوفي بقلعة الجبل بالقاهرة؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث بيروت، عدد الأجزاء: 15، ج6، ص12.

[9]. السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2ص262.

[10]. ابن الملقّن: (723هـ-1323م): (804هـ-1401م)، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري المصري فقيه، حافظ، أصولي، محدث، مؤرخ، ولد بالقاهرة وتوفي بها؛ عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج7ص297.

[11]. السيوطي: المصدر السابق، ج2ص262.

أشهر المدارس التي أنشئت لنشر المذهب المالكي:

1- المدرسة القمحية:

أنشأها صلاح الدين بجوار مسجد عمرو بن العاص، وكانت قبل ذلك، دارًا يباع فيها الغزل فهدمها صلاح الدين وبنى هذه المدرسة سنة (566هـ-1170م) ووقفها على فقهاء المذهب المالكي[1]، ووقف عليها قيسارية الورّاقين، كما وقف عليها ضيعة بالفيوم، كانت تدر قمحًا كثيرًا يوزع على طلابها وعلى العاملين بها، ولذلك سميت بالمدرسة القمحية[2]، وكان أحيانًا يطلق عليها المدرسة المالكية، وكان بها أربعة زوايا في كل زاوية يوجد مدرس لتعليم الطلبة[3].

وممن تولى التدريس فيها: أبو البركات هبة الله بن عبد المحسن بن علي بن ثعلب بن أحمد الأنصاري المالكي وقد درس فيها مدة طويلة، وكانت وفاته سنة (589هـ-1193م)، وأبو المنصور ظافر بن الحسين الإسكندراني، وقد تولى التدريس بها حتى وفاته سنة (596هـ-1200م)، وأبو الحسن علي بن أبي البركات هبة الله بن عبد المحسن، وقد تولى التدريس بعد والده[4]، وأبو محمد بن نجم بن شاس الجزامي السعدي المالكي المتوفي سنة (616هـ-1219م)، وأبو الحسن علي بن أبي المنصور المتوفي سنة (623هـ-1226م)، وأحمد بن علي بن محمد العسقلاني وهو أحد أعيان المالكية وقد توفي سنة (636هـ-1238م).

وممن تولى التدريس فيها أيضًا: الفقيه العالم عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم المالكي المتوفي سنة(646هـ-1248م)[5]، والفقيه: شمس الدين محمد بن ثعلب المالكي المتوفي سنة (776هـ-1226م)[6].

2- المدرسة النجيبية:

وهي تنسب إلى النجيب بن هبة الله القوصي المتوفي سنة(622هـ-1225م)، وكان من كبار التجار، وقد بناها سنة (607هـ-1210م) [7]؛ وكان لهذه المدرسة أعظم الأثر في نشر العلم، وكانوا يطلقون عليها أنها أصل الخير[8] ، وقد تولى التدريس بها الفقيه الإمام أبو الحسن علي بن الصباغ [9]، وهو الذي أشار على النجيب بن هبة القوصي أن يتولى التدريس بهذه المدرسة الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد، الذي درَّس وأفْتى وصنَّف فِي الْمذْهب المالكي، وانتفع بِه أهل الصعيد وكان جامعًا لفنون الْعلم، واشتهر بالصلاح والدين، معظَّمًا عِنْد الناس لأنه كثير السَّعْي فِي قَضَاء حوائجهم، وكان يفد إليه الناس من كل مكان ليتعلموا من علمه، وقد حصل بسببه من الخير ومن العلم ما الله به عليم[10].

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج39ص29.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12ص327؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4ص201.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج11ص234.

(4) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج42ص403.

(5) ابن الزيات: شمس الدين أبوعبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري، المتوفي سنة (814هـ-1226م). الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المثنى بغداد، ط (1380هـ-1960م)؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص103.

(6) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4 ص373؛ العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفي سنة (852هـ-1264م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد العيد، نشر: دائرة المعارف العثمانية، ط2 (1392هـ-1972م). عدد الأجزاء:6، ج5 ص151.

(7) الذهبي: المصدر السابق، ج13ص726؛ المنذري: أبو محمد، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، المنذري المتوفي سنة (656هـ-1258م). التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد، نشر: مؤسسة الرسالة، ط2(1401هـ-1981م)، عدد الأجزاء: 4، ج3 ص، 163رقم:2075.

(8) ادفوي: جعفر بن ثعلب الأدفوي، المتوفي سنة (748هـ-1347م)، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، نشر: المطبعة الجمالية-القاهرة ط (1333هـ-1914م)، ص408، 425.

(9) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص215.

(10) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج22ص185.

3- مدرسة منية بني خصيب:

وقد أنشئت قبل سنة (611هـ-1214م)، وقد تولى التدريس بها الإمام أبي الحسن علي بن خلف بن معزوز الكومي[1]، وقد أعاد بهذه المدرسة أبو الفضائل بن عبد الستار بن إسماعيل المقدسي المالكي المتوفي سنة (611هـ-1214م)، وكان رجلًا صالحًا، تفقه على مذهب الإمام مالك، وحَدَثَ الناس وأفتى، ثم تولى التدريس بمدرسة منية بني خصيب، بعد وفاة الإمام أبي الحسن الكومي (2)، كما تولى التدريس فيها القاضي يعقوب المهيوني المتوفي سنة (649هـ-1251م)، المشهور بعفة النفس، فكان يتولى القضاء والتدريس بمنية بني خصيب (3).

4- مدرسة ابن الأنجب:

وقد أنشئت قبل سنة (611هـ-1214م) وتنسب إلى الإمام الحافظ: أبو الحسن علي بن الأنجب المقدسي المالكي (544هـ-1149م):(611هـ-1214م)، وقد ولد وعاش بالإسكندرية، وكان فقيهًا فاضلًا في مذهب مالك[4]، وقد صحب الحافظ أبا الطاهر السلفي بالإسكندرية، كما صحب الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، وكان الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب ينوب على الإسكندرية في عهد العزيز الأيوبي، كما تولى التدريس بها، ثم انتقل إلى مدينة القاهرة، ودرس بالمدرسة الصاحبية، وهي مدرسة الوزير صفي الدين بن شكر، واستمر بها إلى حين وفاته[5].

5- المدرسة الصاحبية:

أنشأها صفي الدين بن شكر[6]، وجعلها وقفًا على فقهاء المالكيةً، وكانت تعرف قبل ذلك بدار الديباج، وهي دار الوزير يعقوب بن كلس[7] وممن تولى التدريس بها الإمام الحافظ أبا الحسن علي بن المفضل اللخمي المالكي(544هـ-1149م):(611هـ-1214م) [8] ، كما تولى التدريس بها ولديه، أحمد المتوفي سنة (613هـ-1216م)، ومحمد المتوفي سنة (631هـ-1233م)، والفقيه عبد الله بن يوسف الهواري المتوفي سنة (612هـ-1215م)، الذي أقرأ وأم بالناس في هذه المدرسة [9]، والفقيه شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الأزدي المعروف بابن اللهيب، والصاحب تاج الدين أبو إسحاق يوسف[10].

---

(1) المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج2ص321؛ الذهبي: المصدر السابق، ج14 ص618.

(2) المنذري: المصدر السابق، ج2 ص321؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص104.

(3) أبوشامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1422هـ-2002م)، ص288.

(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج20ص159؛ أيمن شاهين سلام: المرجع السابق، ص105.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3ص292.

(6) ابن شكر: عبد الله بن علي بن الحسين الصاحب صفي الدين بن شكر، المصري الدميري المالكي؛ (548هـ-1153م): (622هـ-1225م). كان وزيرًا للملك العادل، وبعد موته وزر للملك الكامل، وحدث بالحديث النبوي بدمشق ومصر، وروى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي، وكان محبًا لأهل العلم والصالحين كثير البر بهم، ابن شاكر: فوات الوفيات، ج2ص193.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3ص402.

(8) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج7ص244.

(9) المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج2ص241، رقم1419.

(10) أبو إسحاق يوسف: بن صفى الدين بن شكر، واقف هذه المدرسة (581هـ-1185م).:(632هـ-1235م). وقد درّس بمدرسة أبيه بالقاهرة، وناب عن والده بالديار المصرية في الوزارة، ثم تولى الوزارة بعد والده ثم استخدم في التّوقيع، ثم تولى نظارة الدواوين بالديار المصرية؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29ص210؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص108.

6- مدرسة الزكي التاجر:

وهذه المدرسة كانت بمدينة الإسكندرية، وقد تعلم بها أبي الحسن علي بن إسماعيل بن علي بن حسن الأبياري (557هـ-1162م) :(616هـ-1219م) الذي ولد بمدينة أبيار[1]، ثم انتقل إلى الإسكندرية، وتفقه على مذهب الإمام مالك على يد الفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن عوف، والفقيه أبي طالب أحمد بن المسلم اللخمي، والفقيه أبي عبد الله محمد الكركنتي وغيرهم؛ وبعد أن تبحر في العلم، تولى التدريس بمدرسة الزكي التاجر[2].

المدرسة الجامعة:

وقد أمر صلاح الدين بإنشائها عند زيارته للإسكندرية سنة (577هـ-1182م) وكانت هذه المدرسة على نظام المدارس السلجوقية، فكانت مدرسة جامعة لمختلف العلوم والفنون، مثل علوم اللغة، والدين والفلسفة والطب وغيرها، كما ألحق بها دارًا لإقامة الطلبة وحمامًا ومستشفى لعلاجهم " ثم خرج إلى الإسكندرية وسمع بها موطأ الإمام مالك على الفقيه أبي طاهر بن عوف، وأنشأ بها مارستانا ودارًا للمغاربة ومدرسة " [3]، كما كان الطلاب يفدون إلى مدينة الإسكندرية من كل مكان لتلقي العلم، فيجد الطالب معلمًا يعلمه الفن الذي يريده، كما وفر لهم من يقومون على خدمتهم والقيام على شؤونهم، ومستشفى بها أطباء يتفقدون أحوالهم[4].

7- مدرسة ابن رشيق:

أنشئت هذه المدرسة سنة (640هـ-1242م) بجوار دار قاضي القضاة علم الدين بن رشيق، وقد تبرع ببنائها حجاج التكرور[5] الذين كانوا ينزلون عليه أثناء سفرهم إلى الحجاز، فدفعوا إلى علم الدين بن رشيق مالًا عَمَّر به هذه المدرسة وإليه تنسب، وقد نالت هذه المدرسة سمعة عظيمة في بلاد التكرور وكانوا يبعثون إليها الأموال للإنفاق عليها[6]؛ وتولى بن رشيق التدريس بها حتى وفاته[7].

8- مدرسة بني حديد:

كانت بمدينة الإسكندرية، وكان يطلق عليها المدرسة المكتبية، وهي من مدارس الفقهاء المالكية في العصر الأيوبي، وتولى التدريس بها الفقيه أبو البركات محمد بن محمد بن سلامة بن يوسف القضاعي (573هـ-1177م):(620هـ-1223م)، الذي تفقه على يد عمه الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن سلامة، وقد درس بهذه المدرسة على يد أبي الطيب عبد المنعم بن يحيى، ثم انتقل إلى القاهرة بعد ذلك؛ ودرس بالمدرسة

---

(1). أبيار: اسم قرية بجزيرة بني نصر بين مصر والاسكندرية، ينسب إليها أبو الحسن عليّ بن اسماعيل ابن أسد الربعي الأبياري، الحموي: معجم البلدان، ج1 ص85.

(2). المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج2 ص477، رقم1695.

(3). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3 ص407؛ جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، ص67؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، ص66.

(4). ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص15؛ جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص68؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص67.

(5). بلاد التكرور: مملكة كبيرة تقع إلى الجنوب الغربي للسودان، تضم أربعة عشر إقليمًا من بينها: السنغال وغانا ومالي، وتكرور مدينة تقع على النيل بالقرب من ضفافه، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج33 ص71.

(6). المقريزي: المصدر السابق، ج4ص203.

(7). أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص109.

الفاضلية في القاهرة[1]، كما تولى التدريس بمدرسة بني حديد الفقيه أحمد بن محمد بن سلامة، وهو من رؤساء المالكية المتوفي سنة (645هـ-1247م) [2].

أشهر المدارس التي أنشئت لنشر المذهب الحنفي:

1- المدرسة السيوفية:

تعد المدرسة السيوفية من أهم وأول المدارس التي أوقفت على فقهاء الحنفية؛ وكانت قبل ذلك دار الوزير المأمون البطائحي في القاهرة، فجعلها صلاح الدين مدرسة للفقهاء الحنفية في سنة (572هـ-1176م)[3]، وعرفت بالمدرسة السيوفية لأنها قريبة من سوق السيوفيين[4]؛ وأول من تولى التدريس بها الفقيه مجد الدين محمد بن الختني[5]، والفقيه عبد الله بن محمد بن سعد الله الجريري، الذي قدم مع صلاح الدين إلى مصر، وعلم الناس وأفتى، وظل يدرس بالمدرسة السيوفية حتى وفاته سنة (584هـ-1188م)[6].

والفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن علي بن الحسين الدمشقي، وظل بها حتى وفاته سنة (599هـ-1202م)[7]، والفقيه ندى بن عبد الغني بن علي الأنصاري المتوفي سنة (604هـ-1207م)[8]، والفقيه: جعفر بن أبي علي الحسن بن إبراهيم الدميري، وظل بها حتى وفاته سنة (623هـ-1226م)[9]، والفقيه علي بن أحمد بن محمود المعروف بابن الغزنوي المتوفي سنة (633هـ-1235م)[10].

والفقيه محمد بن عبد الوهاب بن يوسف شمس الدين المصري، المعروف بابن المجن المتوفي سنة: (642هـ-1244م)[11]، والفقيه أبو إسحاق ابراهيم بن علي بن عبد الوهاب الأنصاري، المعروف بابن حمود المتوفي سنة (633هـ-1235م)[12] ، والفقيه صدر الدين محمد بن عباد بن ملك داد الخلاطي، صاحب التصانيف، وله كتاب " تلخيص الجامع الكبير"، وكتاب "مقصد المسند" اختصار مسند أبي حنيفة رضي الله عنه، وله كتاب أخر على صحيح مسلم، المتوفي سنة (652هـ-1254م)[13].

2- المدرسة الأزكشية:

---

(1). المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج3ص106، رقم1942.

(2). المقريزي: المقفى الكبير، ج7 ص17، رقم3090؛ ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري، المتوفي سنة (799هـ-1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، ج1ص15.

(3). المقريزي: المقفى الكبير، ج 4 ص166.

(4). المقريزي: المصدر السابق، ج4 ص204.

(5). مجد الدين الختني: محمد بن محمد أبو عبد الله مجد الدين الختني، أحد فقهاء ما وراء النهر وخراسان، كان والده ملك، فترك الملك لأخيه الأصغر، وهاجر في طلب العلم إلى بخارى وسمرقند وخراسان، ثم ورد إلى الشام لطلب الجهاد، فولاه السلطان محمود بن زنكي المدرسة الصادرية، ثم قدم إلى مصر فولاه الملك الناصر التدريس بالمدرسة السيوفية التي بالقاهرة، فكان أول من درس بها؛ عبد القادر القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج2ص125.

(6). السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1ص464.

(7). عبد القادر القرشي: المصدر السابق، ج2ص87.

(8). ندا الأنصاري: ندا بن عبد الغني بن عبد الوهاب أبو الجود الأنصاري، تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، ثم رحل إلى الاسكندرية، وسمع من الفقيه السلفي، والفقيه أبي الضياء بدر بن عبد الله الحدادي، ودرس بالمدرسة السيوفية حتى وفاته بالقاهرة، ودفن بتربة الحنفية المعروفة بهم بسفح المقطم؛ عبد القادر القرشي: المصدر نفسه، ج2ص192.

(9). المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج3ص190، رقم2127.

(10). الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 46ص153.

(11). الذهبي: المصدر السابق، ج14ص424؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص113.

(12). المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج3ص637؛ عبد القادر القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج2 ص394.

(13). صدر الدين بن داود: محمد بن عباد بن ملك داد بن الحسن بن داود، أبو عبد الله الخلاطي و(ملك داد). و(داد): كلمة فارسية معناها العدل أو العطاء، فيكون المعنى (عطاء الملك)، أو (عدل الملك)، الزركلي: الأعلام؛ عبد القادر القرشي: المصدر السابق، ج2ص62.

أنشئت هذه المدرسة بالقاهرة سنة (592هـ-1196م)، قام ببنائها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي، أحد أمراء صلاح الدين، وكان من مماليك أسد الدين شيركوة، وقد جعلها وقفًا على الفقهاء من الحنفية، ومكانها على رأس السوق الذي كان يعرف بالخروقيين، ثم بسويقة أمير الجيوش، وكان أيازكوج كبير الأمراء الأسدية في مصر أيام السلطان صلاح الدين، وأيام الملك العزيز عثمان، ومكث في مكانته حتى وفاته سنة (599هـ-1202م)، ودفن بسفح المقطم[1].

3- المدرسة الغزنوية:

هذه المدرسة أنشأها الأمير حسام الدين قايماز النجميّ، مملوك السلطان نجم الدين أيوب؛ ومكانها بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة اليازكوجية، وتولى التدريس بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن يوسف بن عليّ بن محمد الغزنويّ البغداديّ المقرئ الفقيه الحنفيّ، (522هـ-1128م):(599هـ-1202م)[2]، الذي أقام في مصر أخر عمره، ودرس بها فنسبت إليه، وكان إمامًا في الفقه، كما سمع على الحافظ السلفيّ وغيره، وكان فاضلًا ذو خلق حسن، وحدَّث بكتاب " الجامع " لعبد الرزاق بن همام في القاهرة، فرواه عنه جماعة، كما ألف كتابًا في " الشيب والعمر" ، وقرأ عليه أبو عمرو بن الحاجب، وأبو الحسن السخاوي، وقد توفي بالقاهرة، ودُفن بسفح المقطم[3].

---

(1) المقريزي: المقفى الكبير، ج4 ص207.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج4ص243؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص115؛ رشا خليل أحمد علي: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية (1431هـ-2010م)، ص187.

(3) المقريزي: المصدر نفسه، ج4ص243؛ أيمن شاهين سلام: المرجع السابق، ص115؛ رشا خليل أحمد: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، ص187.

4- المدرسة العاشورية:

هذه المدرسة كانت دارًا للطبيب اليهودي الكاتب ابن جميع، ثم اشترتها السيدة عاشوراء بنت ساروح الأسدي، زوجة الأمير ياذكوج الأسدي، ثم أوقفتها على فقهاء الحنفية، وكان مكانها بحارة زويلة بالقرب من المدرسة القطبية برحبة كوكاي[1]، وقد تولى التدريس بها الفقيه علي بن أحمد بن محمود المعروف بابن الغزنوي المتوفي سنة (633هـ-1235م)[2]، الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم اللخمي، الإمام النحوي، وقد درس بها وناظر حتى وفاته سنة (634هـ-1245م)[3].

5- المدرسة الفخرية:

تنسب هذه المدرسة للأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل الباروميّ، (551هـ-1156م):(629هـ-1231م)، وقد ولد بمدينة حلب، وتدرج في الخدمة، حتى صار أحد الأمراء بديار مصر، ثم صار أستاذ دار في أيام الملك الكامل، وإليه أمر المملكة، [4] وقد أنشأ هذه المدرسة سنة (622هـ-1233م)، وتقع بالقاهرة بين سويقة الصاحب، ودرب العدّاس، وكان موضعها يعرف بدار الأمير حسام الدين ساروح بن أرتق شاد الدواوين[5]، وقد تولى التدريس بها الفقيه أبي أحمد اسماعيل بن إبراهيم بن غازي الحنفي المعروف بابن فلوس المتوفي سنة (637هـ-1239م)[6] .

أشهر المدارس التي أنشئت لتدريس مذهبين:

المدرسة الفاضلية:

أنشئت هذه المدرسة سنة (580هـ-1184م) وتقع بدرب ملوخيا بالقاهرة، بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليّ البيسانيّ، بجوار داره، وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها، وقد أوقفها على فقهاء الشافعية والمالكية[7]، كما خصص جزءًا منها لتدريس علم القراءات؛ وقد تولى تدريس القراءات بها الإمام أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الأندلسي المعروف بالشاطبيِّ ناظم الشاطبية المتوفي سنة (590هـ-1194م) [8]، ثم تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبيّ، والشيخ عليّ بن موسى

---

(1) رحبة كوكاي: هذه الرحبة تقع بحارة زويلة، عرفت بالأمير سيف الدين كوكاي متولي دار السلاح الناصريّ، المقريزي: المقفى الكبير، ج3ص92.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 46 ص153.

(3) عبد القادر القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج1ص 306.

(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4ص207؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ج2ص202.

(5) المقريزي: المصدر السابق، ج4 ص207.

(6) ابن فلوس: الإمام، العلامة، شمس الدين إسماعيل بن إبراهيم بن غازي بن علي بن محمد، أبو الطاهر الماريديني، الحنفي، المعروف بابن فلوس، ولد بماردين سنة: (594هـ-1197م)، وسمع بدمشق على أصحاب السلفي، ثم قدم إلى مصر، ودرس بالمدرسة الفخرية في القاهرة، المقريزي: المقفى الكبير، ج2ص45، رقم729.

(7) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ص204.

(8) الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1(1419هـ-1988م). ج4 ص101.

الدهان[1]، والإمام غياث بن فارس بن مكي بن عبد الله المصري المتوفي سنة (605هـ-1208م)[2]، والإمام زيادة بن عمران بن زيادة المتوفي سنة (629هـ-1231م) [3].

وقد تولى تدريس فقه المذهبين بها الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن سلامة الاسكندرانيّ، المتوفي سنة (603هـ-1206م) وقد تولى القضاء بالإسكندرية ثم التدريس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة[4].

والفقيه أبو البركات محمد بن محمد بن سلامة القضاعي المتوفي سنة (620هـ-1223م)[5]، كما تولى الإعادة في هذه المدرسة الفقيه أبو المنصور القاسم بن علي بن شريف البلبيسي الشافعي، المنعوت بالشرف، المتوفي سنة (627هـ-1229م)، والفقيه أبو إسحاق ابراهيم بن صالح بن أحمد المهني الشافعي، المنعوت بالجمال المتوفي سنة: (642هـ-1244م).

كما أوقف القاضي الفاضل بهذه المدرسة، كمية كبيرة من الكتب في سائر العلوم، يقال إنها بلغت مائة ألف مجلد[6].

أشهر المدارس التي أنشئت لتدريس المذاهب الأربعة:

المدرسة الصالحية:

تعد هذه المدرسة أول مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان موضعها بين القصرين من القاهرة[7]، وقد بدأ بناؤها في سنة (639هـ-1241م)، وكان الانتهاء من إنشائها في سنة (641هـ-1243م)، وعند افتتاحها أنشد فيها الشاعر الأديب أبو الحسين الجزار:

" ألا هكذا يبني المدارس من بنى ... ومن يتغالى في الثواب وفي البنا "[8]

فكانت عبارة عن أربع قاعات كبار، لكل فقهاء مذهب مكانهم الخاص بهم، وأول من تولى التدريس بها من فقهاء الشافعية سلطان العلماء العز بن عبد السلام، والفقيه محمد بن عبد الملك القاضي، والفقيه يوسف بن الحسن السنجاري، وممن تولى الإعادة في هذه المدرسة، الفقيه عماد الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن بن يحيى الدمنهوري(606هـ-1209م):(674هـ-1275م) [9].

وأول من تولى التدريس بها من الحنابلة، قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن عليّ بن سرور المقدسيّ الحنبليّ الصالحيّ(603هـ-1206م):(676هـ-1277م)[10]، كما تولى التدريس بها قاضى القضاة أفضل الدين أبو عبد الله مد الخونجى، المتوفي في القاهرة سنة (646هـ

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج4ص204؛ ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف المتوفي سنة (833ه-1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، نشر مكتبة بن تيمية، ط1(1351هـ-1932م). عدد الأجزاء:3، ج1، ص612.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج13ص118، رقم258؛ المقريزي: المصدر نفسه، ج 4ص204.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج 1ص499؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص120.

(4) المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج 2ص98؛ المقريزي: نفسه، ج4 ص204.

(5) المنذري: المصدر السابق، ج3ص106؛ أيمن شاهين سلام: المرجع السابق، ص119.

(6) المقريزي: نفسه، ج4ص205.

(7) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4 ص217؛ أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص125.

(8) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2 ص263.

(9) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7 ص601.

(10) ابن العماد: المصدر السابق، ج7ص617؛ مجير الدين العليمي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي، المتوفي سنة (928هـ-1522م)، التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، نشر: دار النوادر، سوريا، ط1(1431هـ-2011م). ج3ص275.

1248م)[1].

[1] ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5 ص160.

3- إلغاء الأعياد الشيعية للفاطميين ومحو رسومهم وعملاتهم:

إلغاء الاحتفال بالأعياد الخاصة بالمذهب الشيعي:

اهتم الخلفاء الفاطميون في مصر بالاحتفال بأعياد خاصة بالمذهب الشيعي! مع أنهم لم يحتفلوا بهذه الأعياد الشيعية أثناء وجودهم بالمغرب[1]، وربما يرجع ذلك لاعتبارهم أن مصر العاصمة الحقيقية لدولتهم، فعمدوا على إحياء ذكرى أحداث مهمة في تاريخ الحركة الشيعية وتطورها، ذات الطابع المذهبي، وكانت الدولة خلال هذه الأعياد تظهر من بذخها وثرائها ممثلًا في: الأعطيات والموائد والصدقات، وفي عصر الدولة الأيوبية تم إلغاء هذه الأعياد ومنها:

1- إلغاء الاحتفال بذكري مقتل الحسين:

كان مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب في يوم العاشر من محرم سنة (61هـ- أكتوبر680 م)، وقد بدأ أول احتفال بتلك الذكري في مصر في العصر الفاطمي سنة (363هـ-973 م)، وفي ذلك الموعد كانوا يصيحون بالنياحة والبكاء علي الحسين، وكانوا يأمرون المصريين بغلق متاجرهم، ومن يخالف يتعرض للاعتداء[2]؛ وكانوا يقومون بمهاجمة الأسواق وإتلاف أواني السقائين، وتمزيق قرب الماء، كما كانوا يتطاولون علي الصحابة رضوان الله عليهم[3]، ويسبون بني أمية ويتهمونهم بالفسق، ويلعنونهم لأنهم السبب في مقتل الحسين؛ ويحتجب الخلفاء الفاطميون فلا يظهرون تعبيرًا عن حزنهم وجزعهم[4]؛ ومع بداية العصر الأيوبي أُبطل ذلك، وأصبح يوم عاشوراء يوم فرح وسرور، كما كان يصنع فيه الحلوى، وتوزع الأطعمة ويتم فيه التوسعة على الأهل والأقارب، وأُحييت من جديد سنة صيام يوم عاشوراء[5].

2- إلغاء الاحتفال يوم الغدير:

وقد بدأ الفاطميون بالاحتفال بهذا العيد في مصر منذ دخول المعز لدين الله مصر، وهذا العيد يحمل ذكرى مهمة من دعائم دعوتهم، التي تؤكد أحقية علي بن ابي طالب في الخلافة بعد وفاة النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويكون الاحتفال بهذا العيد في الثامن عشر من ذي الحجة[6]، فهذا العيد يعدونه عندهم أعظم من العيد الأضحى، وكان المؤذنون في هذا اليوم يكبرون تكبيرات العيد[7]، فلما جاء صلاح الدين أبطل هذا العيد فلم يعد له ذكر؛ وقد سبق الحديث عليه بالتفصيل في الفصل الأول.

---

(1) عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص151.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص145، 146، ج2 ص67، ص100، ج3 ص20، ص105.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2ص436.

(4) المقريزي: المصدر نفسه، ج2ص330.

(5) المقريزي: نفسه، ج2 ص331؛ رشا خليل أحمد علي: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، ص102.

(6) ففي مثل هذا اليوم من سنة (10هـ-632م). نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمكان بين مكة والمدينة، يعرف بغدير خم، وبه عين ماء وحوله شجر كثير، وبعد أن صلي الظهر، أخذ بيد علي بن ابي طالب وقال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه، قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حديث دار، أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، ج2ص586؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2ص445.

(7) القلقشندي: المصدر السابق، ج2ص445.

3- إلغاء الاحتفال بمولد علي بن ابي طالب، وزوجته فاطمة والحسن والحسين-رضي الله عنهم- والخليفة الفاطمي الحاضر:

وهذه من الأعياد الشيعية ذات الطابع الخاص، وكانوا يطلقون عليها مولد الأجداد والخليفة الحاضر، وقد اندثرت بعد زوال الدولة الفاطمية؛ وقد سبق الحديث عليه بالتفصيل في الفصل الأول .

4- إلغاء الاحتفال بعيد النصر:

كان الفاطميون يعُدون هذا العيد بمثابة انتصار للمذهب الشيعي، وهو يحيي ذكرى خلاص الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ=1130-1149م) من السجن، الذي اعتقله فيه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل (ذو القعدة 524هـ- المحرم 526هـ= 1130-1131م)[1]، وقد استمر الاحتفال بهذا العيد حتى نهاية عصر الدولة الفاطمية[2]، وهو من الأعياد التي ألغيت في الدولة الأيوبية. وقد سبق الحديث عليه بالتفصيل في الفصل الأول.

وقد أبقى الأيوبيون على الاحتفالات بقدوم شهر رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم المولد النبوي، ويوم عاشوراء.

محو الرسوم الفاطمية بمصر:

1- أمر صلاح الدين بإزالة الشعائر الشيعية التي أدخلها الفاطميون إلى مصر، فأبطل ما زيد من الأذان من قول" حي على خير العمل وعلي خير البشر "، وفي ذلك يقول المقريزي" فكانت أول وصمة دخلت على الدولة" واستمر الأذان في مصر على المذهب السني[3]؛ كما منع المؤذنون من السلام على الخليفة الفاطمي في الأذان [4]

2- أمر صلاح الدين بخلع المناطق الفضية من محاريب المساجد بالقاهرة، التي كان منقوش عليها أسماء الخلفاء الفاطميين، وذلك لمحو النقوش والآثار التي تخلد أسمائهم [5].

3- أمر صلاح الدين خطباء المساجد، أن يلبسوا السواد شعار الدولة العباسية، وأن يكون الدعاء في الخطبة للصحابة رضي الله عنهم، وللتابعين، ولأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم [6].

إلغاء التعامل بالعملات الفاطمية:

عندما استقر جوهر الصقلي في مصر، أمر بفتح دار الضرب، وضرب الدينار الذهبي منقوشًا عليه: دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد، وتحته: المعز لدين الله أمير المؤمنين.

وفي سطر آخر: بسم الله، ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، عليٌ أفضل الوصيين وزير خير المرسلين[7].

وفي سنة (362هـ- 972م) قام الفاطميون بنقش كتاباتهم في ثلاث دوائر، تسير في عكس اتجاه عقارب الساعة، بدلًا من الترتيب الأفقي، الذي كان معروف في نقش الدينار العربي منذ عهد الخليفة عبد

---

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3 ص143؛ العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي، ص311.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2ص437.

(3) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج4ص49؛ أحمد فؤاد السيد: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص93.

(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4ص46؛ أحمد فؤاد السيد: المرجع السابق، ص93.

(5) المقريـزي: المصدر السابق، ج4 ص54؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ص35.

(6) المقريزي: المصدر نفسه، ج4ص46؛ أحمد فؤاد السيد: المرجع نفسه، ص93.

(7) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص116؛ ابراهيم جابر الجابر: النقود العربية الإسلامية، المطبعة أهلية قطر(1412هـ-1992م). ج2ص72.

الملك بن مروان. وكان الهدف من وراء هذا الطراز الفاطمي الجديد هو التأكيد على حق الفاطميين المطلق في الخلافة[1].

كما سكوا عملات صغيرة لم تكن موجودة عند العرب قبل ذلك مثل:

الخراريب:

وهي نوع من النقود التذكارية الذهبية صغيرة الحجم، لكي يتم توزيعها كهدايا على العوام في المواسم والأعياد، وذلك لنشر الفكر الفاطمي من خلال توزيع هذه النقود[2].

الغرة:

وهي مجموعة من الدنانير والدراهم المدورة، وكانت تضرب في العشر الأواخر من ذي الحجة بأمر من الخليفة، كنقود تذكارية[3].

وبعد تمكن صلاح الدين من البلاد أبطل التعامل بالعملات الفاطمية، وأصدرت الدولة الأيوبية عملات، اختلفت اختلافًا كبيرًا عن العملات الفاطمية، ففي مرحلة تبعية صلاح الدين للملك نور الدين محمود (567- هـ569=1171- ١١٧٣م) كان يكتب عليها اسم ولقب الخليفة العباسي المستضيء بنور الله في الوجه، والملك العادل نور الدين محمود في الظهر، واسم حاكم مصر.

كما اختلفت العملة الأيوبية في التصميم عن شكل النقود الفاطمية .

4- إحياء الأيوبيين لقضية انتحال النسب الفاطمي إلى البيت النبوي:

لقد اهتم الأيوبيون بإحياء قضية انتحال النسب الفاطمي إلى البيت النبوي، وبيان حقيقة أن الفاطميين ينحدرون من نسل يهودي أو مجوسي، والعمل على هدم السند الشرعي المزيف للخلافة الفاطمية؛ ولقد قام العلماء بجهود مشكورة في إظهار حقيقة نسبهم، مثل أبو العباس أحمد بن خلكان في ترجمة عبيد الله المهدي

---

(1). اكستريم للعملات: الدولة الفاطمية وعملاتها، الشبكة العنكبوتية.
(2). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2ص365.
(3). المقريزي: المصدر السابق، ج2ص365.

[1]، وكذلك في ترجمة الخليفة العاضد أخر خلفاء الفاطميين[2].

كما ألف ابن حماد كتابًا سماه " أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم " تحدث فيه عن حقيقة نسبهم وزوال دولتهم[3]؛ وابن أبي شامة في كتابه " الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية "، تحدث في صفحات من كتابه عن حقيقة نسبهم وأخبارهم، وقد ذكر أنه ألف كتابًا منفردًا يبرهن فيه على زيف نسب الفاطميين سماه " كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد"[4]، وقد فقد هذا الكتاب ولم يصل إلينا[5].

وتحدث ابن واصل في كتابه " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب عن حقيقة نسبهم وزوال دولتهم "[6]، كما ألف قبل ذلك، القاضي أبوبكر الباقلاني كتابًا سماه " كشف أسرار الباطنية "[7]، وألف الإمام أبو القاسم الشاسي كتاب " الرد على الباطنية " ذكر فيه أنه تتبع نسب الفاطميين في كتب الأنساب العلوية الشريفة، فلم يجد لنسبهم أي صلة للأنساب العلوية[8].

كما ألف الإمام أبو حامد الغزالي كتاب " فضائح الباطنية " [9]، وألف القاضي عبد الجبار [10] كتابًا سماه " تثبيت دلائل النبوة " أظهر فيه زيف نسب الفاطميين، وغيرهم كما أطلقوا على الفاطميين اسم " بني عبيد " إشارة إلى انتسابهم إلى عبيد الله بن ميمون القَّداَّح المجوسي[11].

---

[1]. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3ص117-119.

[2]. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3ص109-112.

[3]. ابن حماد: محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أبو عبد الله المتوفي سنة: (628هـ-1230م). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة ، عبد الحليم عويس، نشر: دار الصحوة – القاهرة، عدد الأجزاء:1؛ أحمد فؤاد السيد: تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص69.

[4]. أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2ص213-223.

[5]. أحمد فؤاد السيد: المرجع السابق، ص70.

[6]. ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص204-210.

[7]. أبوبكر الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد المعروف بالباقلاني البصري، كان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه المالكي، وهو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13ص212.

[8]. أبو شامة: المصدر السابق، ج2ص218؛ أحمد فؤاد السيد: المرجع السابق، ص70.

[9] الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفي سنة (505هـ-1111م). فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، نشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت.

[10]. القاضي عبد الجبار: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني أصولي، ولي قضاء القضاة بالري وأعمالها، المتوفي سنة (415هـ-1025م)، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج18ص20.

[11].أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2ص217؛ أحمد فؤاد السيد: المرجع نفسه، ص70.

1- انتشار المذاهب السنية في ربوع مصر.

2- أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على الأعياد والاحتفالات الشيعية في مصر.

الفصل الرابع

أثر التحول المذهبي على الحياة الثقافية والعلمية في مصر

1- انتشار المذاهب السنية في ربوع مصر.

2- أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على الأعياد والاحتفالات الشيعية في مصر.

3- أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على القضاء.

الفصل الرابع

أثر التحول المذهبي على الحياة الثقافية والعلمية في مصر

1- انتشار المذاهب السنية في ربوع مصر:

علم الفقه:

تعريف الفقه لغة هو: فهم غرض المتكلم من كلامه؛ وهو في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته، واصطلاحًا: هو العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من أدلتها التفصيلية (القرآن، والسنة)، ثم خُص به علم الشريعة من التحليل والتحريم، والعالم به فقيه [1]، وقد أطلق عليه الإمام الغزالي المتوفي سنة (555هـ-1160 م) علم الحلال والحرام.

وعلم الفقه يتعلق بجميع المسائل التي تواجه المسلم في حياته، من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية، كما أن علم الفقه يضع القواعد التي تنظم حياة المسلم[2].

وقد تطور علم الفقه في القرنين الثاني، والثالث للهجرة، وذلك بظهور المذاهب الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي؛ وقد ظهرت مذاهب أخرى؛ لكن المذاهب الأربعة التي ذكرنا أشهرها وأوسعها انتشارا؛ وقد سبق المذهب المالكي غيره من المذاهب في مصر، وكثر أتباعه في مدينة الإسكندرية [3]؛ ويعد أول من قام بنشره في مصر الفقيه الأموي عبد الرحيم بن خالد بن يزيد المتوفي سنة (163هـ-

---

(1). ابن منظور: لسان العرب، ج15ص310؛ الرازي: مختار الصحاح، ج1 ص242.
(2). شوكت عارف الأتروبي: الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، دار دجلة للنشر، ط1(1428هـ-2007 م)، ص155.
(3). ابن جبير: رحلة ابن جبير، ج 1ص71.

779 م)[1].

ثم ظهر المذهب الشافعي، وانتشر في مصر عقب قدوم الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفي سنة (204هـ-819 م)، وقد كان قدومه إلى مصر سنة (198هـ-813 م)[2]، وقد أقبل عليه المصريون يتعلمون من دروسه في المسجد الجامع في الفسطاط، ثم انتشر مذهبه في ربوع مصر.

أما المذهب الحنفي فقد انتشر في بلاد الشام، بفضل جهود السلطان نور الدين محمود، لأنه كان حنفي المذهب، وعمل على نشره في الشام، فانتقل إلى الشام كثير من فقهاء الحنفية[3]، ثم انتقل بعضهم إلى مصر، وقد ذاع صيت هذا المذهب في عصر الدولة الإخشيدية (323-358 هـ= 935-968م)، لأن الإخشيديين كانوا يميلون إليه[4].

ثم ظهر المذهب الحنبلي في مصر بعد ذلك، وكان أتباعه قليلون، وذلك لأنه ظهر في العراق في القرن الثالث، وقد بدأ في الانتشار خارج العراق في القرن الرابع، وقد كان الفاطميون في مصر ينشرون المذهب الإسماعيلي، ويضيقون على أهل السنة، وأفنوا كثيرًا من علمائهم نفيًا وتشريدًا وقتلًا[5].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الفاطميون في مصر من وسائل الترغيب والترهيب، في سبيل نشر مذهبهم الإسماعيلي، وإبعادهم لقضاة أهل السنة، فقد بائت محاولاتهم بالفشل، وبقي المذهب الإسماعيلي محصورًا في طبقة الحكام، ومن ارتبطت مصالحه بهم؛ أما عامة أهل مصر فبقوا على مذاهب أهل السنة؛ فلما زالت الدولة الفاطمية، زال معهم المذهب الإسماعيلي، وذلك لأنه فُرض على أهل مصر بالقوة، وليس عن اقتناع، وأصبح المذهب الرسمي للدولة الأيوبية، المذهب الشافعي، لكن صلاح الدين والأيوبيين لم يتعصبوا للمذهب الشافعي، لذلك عملوا على نشره مع مذاهب أهل السنة الأخرى [6].

وكانت المدارس التي بنوها منها ما يدرس مذهب واحد، ومنها ما يدرس مذهبين، ومنها ما يدرس المذاهب الأربعة مثل: المدرسة الصالحية التي كانت بمثابة جامعة يدرس فيها المذاهب السنية الأربعة، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب[7].

وقد ساد جو من التسامح، والتعاون، والوئام بين أصحاب المذاهب السنية، وذلك لأنها في حقيقة الأمر لم تكن لتمثل أراء شخصية لأصحابها، لكنها كانت تعبيرًا عن تيارات فكرية؛ قد تناول كل عالم منها الشريعة من أحد وجوهها، لكنهم في ذلك معتمدين على النبعين الصافيين وهما: القرآن الكريم، وسنة النبي صل الله عليه وسلم[8]؛ وما يدل على ذلك انتقال بعض الفقهاء من مذهب إلى أخر دون حرج، فقد كان الفقيه المعروف بالوجيه النحوي المبارك بن أبو بكر الواسطي المتوفي سنة (612هـ-1221 م) من فقهاء المذهب الحنبلي في أول حياته، ثم انتقل إلى المذهب الحنفي، ثم إلى المذهب الشافعي، وحدث نفس الأمر مع غيره

---

(1). المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج4ص151.
(2). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص161.
(3). ابن واصل: ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1ص283.
(4). عبد اللطيف حمزة: الحياة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ص196؛ شوكت عارف الأتروبي: الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ص156.
(5). أيمن شاهين سلام: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي، ص177.
(6) شوكت عارف الأتروبي: المرجع السابق، ص157.
(7). شوكت عارف الأتروبي: المرجع نفسه، ص160.
(8). أيمن شاهين سلام: المرجع السابق، ص178.

من الفقهاء[1].

المذهب الشافعي:

ومع انتشار المذاهب السنية في مصر زاد تدريس أمهات الكتب الفقهية مثل كتب الإمام الشافعي ومن أشهرها: كتاب "الأم" الذي ألفه الشافعي بمصر، وقد شرحه الفقهاء لطلابهم كما اختصره الفقيه يونس بن بدران المعروف بالجمال المصري المتوفي سنة (623هـ-1226 م)[2].

كما نالت كتب الإمام الشافعي الشهرة الواسعة مثل كتاب "الإملاء الصغير"، و"كتاب الأمالي الكبرى"، وكتاب "السنن"، وغيرها من أمهات الكتب.

ومن مصنفات الفقه الشافعي التي اشتهرت في مصر كتاب " المختصر الكبير" الذي ألفه الفقيه يونس بن يحيى البويطي، وهو من أصحاب الشافعي، وخليفته من بعده، وقد توفي سنة (231هـ-845 م)[3] .

كما انتشرت كتب إمام الشافعيين في زمانه الفقيه إسماعيل بن يحيى المزني المتوفي سنة (264هـ-877 م)، وكان يعد من أعلم الناس بفقه الشافعي؛ وقال عنه الشافعي: المزني ناصر مذهبي؛ ومن مؤلفاته: كتاب "الجامع الكبير"، وكتاب " الجامع الصغير "، وكتاب " مختصر المزني "، وكتاب " مختصر المختصر"، وكتاب " المنثور "، وكتاب " المسائل المعتبرة "، وكتاب " الترغيب في العلم "، وكتاب " الوثائق ". [4].

كما انتشرت مؤلفات الفقيه أبي إسحاق الشيرازي المتوفي سنة (476هـ-1083 م) منها: كتاب

" اللمع في أصول الفقه "، وقد تناول هذا الكتاب عدد من الشراح[5]؛ وله أيضًا كتاب " التنبيه " الذي اعتنى الطلاب بدراسته وحفظه؛ وقد نال هذا الكتاب اهتمام كبير من العلماء، فقد قام بشرحه الفقيه عثمان بن عيسى المازني المتوفي سنة (622هـ-1225م)، وقام أيضًا بشرحه الحافظ زكي الدين المنذري، وصنف الفقيه أحمد بن عبد الرحمن الدشناوي شرحًا علية إلى باب الصيام، وتوفي ولم يكمله سنة (677هـ-1278 م)[6].

وكتاب " المهذب " الذي فرغ الفقيه الشيرازي من تأليفه سنة (459هـ-1066 م)، وقال عنه: " لو عرض هذا الكتاب الذي صنفته - وهو المهذب - على النبي صلى الله عليه وسلم لقال: هذه شريعتي التي أمرت بها أمتي " [7]، وقد نال هذا الكتاب عناية بالغة من الفقهاء، فقد قام بشرحه الفقيه ابن العراقي أبو إسحاق ابراهيم بن منصور المتوفي سنة (596هـ-1196 م) في عشر مجلدات؛ وقد ذكر اليافعي عن الفقيه المحدث أبي عمرو عثمان بن عيسى الماراني المتوفي سنة (622هـ-1225 م)، أنه قرأ ذلك الكتاب على والده قبل بلوغه سن الرشد؛ كما قام بشرحه في عشرين مجلدًا، ولم يكمل شرحه وقد سمى ذلك الشرح " الاستقصاء لمذاهب العلماء والفقهاء "[8].

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص214.

(2) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1ص411.

(3) الشيرازي: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، المتوفي سنة (476هـ-1083م). طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط1(1389هـ-1970 م). ص97.

(4) الشيرازي: المصدر السابق، ص97؛ شوكت عارف الأتروبي: الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ص163.

(5) الشيرازي: المصدر نفسه، ج1ص، 16؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1ص29.

(6) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج8 ص21.

(7) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج1ص16.

(8) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2ص242؛ شوكت عارف الأتروبي: الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ص164.

ومن المصنفات التي ذاع صيتها في مصر كتب الإمام الغزالي[1] مثل كتاب " الوجيز "، وكتاب " المصباح "، وكتاب " البسيط "، و كتاب " الوسيط في الفروع " الذي اختصره الفقيه محيي الدين النيسابوري المتوفي سنة (548هـ-1153 م) في كتاب وسماه " المحيط "، وقد نال هذا الكتاب شهرة كبيرة[2]؛ ومن الكتب التي نالت شهرة كبيرة أيضًا كتاب " الذخائر في المذهب " لمؤلفه أبي المعالي محلى بن جميع القرشي المخزومي المتوفي سنة (550هـ-1155 م)، وقد شغل في مصر قاضي القضاة[3].

ومن أئمة الشافعية: الفقيه أبو القاسم عبد الكريم المعروف بابن البندار، وقد تفقه ببغداد على مذهب الإمام الشافعي بالقاهرة، كما عمل معيدًا لجماعة من الفقهاء بمصر، ثم تولى التدريس بمدرسة الأمير: مجد الدين عثمان في القاهرة حتى وفاته سنة (627هـ-1230 م)[4].

المذهب المالكي:

كما اشتهرت كتبًا كثيرة في الفقه المالكي منها كتاب " التذكرة في أصول الدين " للفقيه إسماعيل بن مكي بن عوف، وقد لقب بصدر الإسلام، الفقيه العالم رحمه الله، فريد عصره، ووحيد دهره، وقد قصده السلطان صلاح الدين، وجلس عنده، وسمع منه الموطأ، كما كان يعظمه ويراسله[5].

كما زاع صيت الفقيه الإمام الفاضل الحافظ نجم الدين الجلال أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن شاس بن نزار الجذامي السعدي بن القاضي الأنجب من أعلام المالكية، وقد أخذ عن أئمة المالكية، كما حدث عنه الحافظ زكي الدين المنذري كتاب " الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة "، وقد اختصره الفقيه ابن الحاجب؛ وله مصنفات أخرى، كما أشتهر عنه كثرة النظر والبحث في السنة النبوية إلى أن توفي مجاهدًا في سبيل الله في ثغر دمياط سنة (610هـ-1213 م)[6].

ومن أئمة المالكية: الصُّنهاجي الأبياري شمس الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن علي، أحد أئمة الإسلام الفقيه الأصولي المحدث، وقد أخذ العلم عن القاضي عبد الرحمن بن سلامة، ثم ناب عنه في القضاء، وسمع من كثير من العلماء منهم: أبو الطاهر بن عوف، وقد رحل الناس إليه لينالوا من علمه، وكان له التصانيف الحسنة منها: كتاب " شرح البرهان " لأبي المعالي في الأصول، وكتاب "سفينة النجاة "، وهذا الكتاب في غاية الإتقان، وقال بعض العلماء هو أكثر إتقانًا من كتاب " الإحياء"، كما قام بشرح كتاب " التهذيب "، وله مصنفات أخرى في الفقه وأصوله، وكانت وفاته سنة: (618هـ-1221م)[7].

ومن أئمة المالكية: الفقيه العلامة جمال الدين الربعي أبو علي الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق، كان شيخ المالكية في وقته، وكان عالمًا بأصول الدين، والفقه والخلاف، وقد أخذ العلم عن أبي الطاهر إسماعيل بن عوف، وغيره من علماء عصره، كما سمع منه الحافظ زكي الدين المنذري، والحافظ أبو الحسن الرشيد، وكان عليه مدار الفتوى في زمانه، وانتفع الناس به إلى وفاته سنة (632هـ-1234م)[8].

---

(1). الغزالي: حجة الإسلام زين الدين محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي، قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين، ثم فُوِض إليه تدريس المدرسة النظامية ببغداد، كما صنف الكتب النافعة، وتوفي سنة (555هـ-1160 م). الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1ص212.

(2). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص305.

(3). الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4ص60.

(4). المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج3ص263.

(5). مخلوف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف المتوفي سنة (1360هـ-1941 م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط (1424هـ-2003 م)، ج1ص209.

(6). مخلوف: المصدر السابق، ج1ص239.

(7). مخلوف: المصدر نفسه، ج1ص239.

(8). المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج3ص263؛ مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1ص239-240.

ومن أئمة المالكية: الفقيه العصار أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن عبد الرحمن، الذي تفقه على مذهب الإمام مالك، كما اشتغل بعلم الحديث، وبرع فيه، واختصر كتاب "الجمع بين الصحيحين" للإمام الحميدي، وقد مكث بمكة مدة ثم رحل إلى مصر، ومكث فيها حتى وفاته سنة: (627هـ-1230 م)[1].

ومن أئمة المالكية: الفقيه الإمام أبوعبد الله محمد بن عمر بن جعفر الأزدي الغساني المالكي، وقد درس على كثير من علماء عصره، ونال كثير من الوظائف، فقد تولى الإفتاء بجامع عمرو بن العاص، كما تولى الخطابة بجيزة الفسطاط مدة، وتولى الوكالة السلطانية، ثم النظر بثغر دمياط، وبعدها تولى التدريس بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة حتى وفاته سنة:(627هـ-1230 م)[2].

ومن أئمة المالكية: الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن حسين العبدري، الذي تفقه على يد: الفقيه أبي بكر بن عتيق البجائي، والفقيه أبي القاسم مخلوف المعروف بابن جارة، والفقيه على أبي طاهر السلفي، والفقيه أبي طاهر إسماعيل بن مكي، وقد أجازه أبو القاسم ابن أبي القاسم ابن عساكر، وأبو القاسم هبة الله البوصيري، وقد أخذ عنه الحافظ زكي الدين المنذري، كما ألف كتاب " البصائر "في فقه الإمام مالك، وكان عالمًا جليلًا محبًا للعلماء والصالحين، يتفقد أمورهم ويقضي حوائجهم، ولم أقف على تاريخ وفاته[3].

ومن أئمة المالكية: رشيد الدين أبو محمَّد عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي السكندري، وقد أخذ العلم عن الفقيه أبي الحسن الأبياري، وأخذ عن أبي الحسين بن جبير، ومن مؤلفاته: كتاب" البيان والتقريب في شرح التهذيب "، وقد جمع فيه علومًا وفوائد كثيرة وذلك في سبع مجلدات، كما اختصر كتاب " التهذيب " اختصارًا حسنًا، واختصر أيضًا كتاب " المفصل " للزمخشري وغير ذلك، ولم يذكر سنة وفاته[4].

ومن أئمة المالكية: ابن الحاجب أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس الفقيه الأصولي، أخذ عن أبي الحسن الأبياري، وأبي الحسين بن جبير، وقرأ على الإمام الشاذلي الشفاء، وعلى الإمام الشاطبي القراءات.

كما أخذ عنه الفقيه الشهاب القرافي، والفقيه زين الدين بن المنير، وأخيه القاضي ناصر الدين بن المنير، والقاضي ناصر الدين الأبياري.

والفقيه أبو علي ناصر الدين الزواوي؛ وله تصانيف في غاية التحقيق والإجادة، منها: " مختصره الفرعي" الذي اعتنى العلماء بشرحه، وبالغ الشيخ ابن دقيق العيد في مدحه، ويقال إنه اختصره من ستين ديوانًا، وفيه من المسائل ست وستون ألف مسألة؛ ومنها مختصره الذي سماه " منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل في كشف الظنون "، وهو مختصر غاية في الإيجاز، وقد اعتنى بشأنه العلماء في سائر الأقطار، ومنها " الكافية " في النحو، ومنها " الشافية " في التصريف، ومنها " المقصد الجليل في علم الخليل "، وكتاب " الأمالي " في النحو وهو كتاب في غاية الإجادة؛ وله أيضًا شرح " المفصل " للزمخشري، وكتاب " جمال العرب في علم الأدب" وله غير ذلك من المؤلفات المفيدة، وكانت وفاته بالإسكندرية سنة (646هـ-1248 م)[5].

---

[1] المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج3ص264؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج45 ص288.
[2] المنذري: المصدر السابق، ج3ص266.
[3] مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية المصدر السابق، ج1ص240.
[4] مخلوف: المصدر السابق ، ج1ص240.
[5] مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1ص241.

المذهب الحنفي:

كما اشتهرت كتب كثيرة في الفقه الحنفي منها: كتاب " الجامع الصغير " للإمام أبي حنيفة النعمان، وكذلك كتاب " مختصر القدوري " كما كان يطلق عليه لفظ " الكتاب " في المذهب، وهو كتاب متداول بين الأئمة الأعيان، كما أن شهرته: تغني عن البيان للفقيه أحمد بن محمد القدوري البغدادي الذي انتهت إليه رئاسة فقهاء الحنفية في العراق المتوفي سنة (428هـ-1036 م)[1].

ومن أئمة الحنفية: أبو القاسم الأهوازي حامد بن أبي القاسم نزيل مصر الفقيه العالم، حدث الناس بعلومه، وسمع عنه الحافظ المنذري كما ذكره في جملة شيوخه، وكانت وفاته سنة (612هـ-1215 م)، بالمشهد الحاكمي بالقرب من جامع ابن طولون[2].

ومن أئمة الحنفية: أبو محمد بن أبي عبد الله البجلي الحريري الفقيه الحنفي، كان والده يعرف بابن الشاعر وقد أسمعه والده العلم وهو مازال صغيرًا، وقرأ الفقه على مذهب أبي حنيفة، وسكن دمشق ودرس بها الفقه، وحدث الناس وكان من العلماء الذين يحضون على قصد البلاد المصرية واستنقاذها من يد الفاطميين، ثم سافر إلى مصر، واستعمله الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بعض شئونه فكان يراسل به الملوك، ثم أقام بمصر يدرس العلم، ويحدث الناس ويفتيهم، وقد تولى التدريس بالمدرسة الحنفية السيوفية إلى أن مات سنة (584هـ-1188 م)[3].

ومن أئمة الحنفية: شيخ الإسلام علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني، أقر له أهل مصر بالفضل والتقدم، وقد تفقه على جماعة من أكابر العلماء، وكان حافظًا ومفسرًا وأديبًا ومحققا، وقد فاق شيوخه وأقرانه، وذلك بعد تصنيفه لكتاب " بداية المبتدي "، وكتاب " الهداية في شرح البداية " الذي ذاع صيته في الأفاق، وكتاب" منتقى الفروع "، وكتاب " الفرائض "، و كتاب" التجنيس والمزيد " في الفتاوى، وكتاب

---

(1). خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة المتوفي سنة (1067هـ-1941 م). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى – بغداد ط (1360هـ-1941 م).، ج2ص1631.

(2). عبد القادر القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج1ص 184؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج44ص100.

(3). عبد القادر القـرشي: المصدر السابق، ج1ص268.

" مناسك الحج "، وكتاب " مختارات النوازل؛ حتي قال قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري أن صاحب " الهداية " كان يعرف ثمان علوم، وله أيضًا كتاب " كفاية المنتهى "، كما اهتم بنشر المذهب الحنفي، وتفقه على يديه الجم الغفير من العلماء، وكان الناس يعرفون فضله وعلمه، وقد توفي سنة (593هـ-1197 م)[1].

ومن أئمة الحنفية: الفقيه أبي محمد المنعوت بالشمس محمد بن عبد الوهاب بن يوسف، واشتهر بابن المجن الدمشقي، وقد سمع من أبي محمد القاسم بن الحافظ ابن عساكر، وحدث الناس في القاهرة، ثم تولى التدريس بالمدرسة السيوفية، حتى وفاته سنة (642هـ-1244 م)[2].

ومن أئمة الحنفية: القاضي الإمام العلامة صدر الدين موسى بن زكريا بن إبراهيم بن محمد بن صاعد، روى كتاب الشمائل للترمذي عن الإمام افتخار الدين أبي هاشم، وسمع من أكابر العلماء، وحدث الناس بمدينة حلب، ثم قدم إلى مصر، وأقام بها في خدمة الملك الصالح أيوب، ثم تولى التدريس بمدرسة جهاركس في مدينة القاهرة، كما تولى قضاء العسكر، وأرسل رسولا إلى حلب، ثم عاد إلى مصر، وكانت وفاته بالقاهرة سنة: (650هـ-1252 م)[3].

ومن أئمة الحنفية: الإمام زين الدين أبو الحسين النحوي يحيى بن عبد المعطي الزواوي، أقام في أول أمره بدمشق، وكان إمام عصره في اللغة والنحو، وقد سمع من الحافظ بن عساكر، واستفاد من علمه خلقٌ كثير، كما أجاز الفقيه زكي الدين المنذري؛ وكانت همته عالية فصنف كثيرًا من التصانيف المفيدة؛ ثم طلب منه الملك الكامل الانتقال إلى مصر فانتقل إليها، ونال مكانه عالية عند الملك الكامل، وتصدر للتدريس في جامع عمرو بن العاص لتدريس العلم، حتى وفاته سنة (594هـ-1198 م)[4].

المذهب الحنبلي:

كما اشتهرت كتب كثيرة في الفقه الحنبلي منها كتاب " مختصر الخرقي " لمؤلفه أبي القاسم عمرو بن حسين الخرقي الدمشقي المتوفي سنة (334هـ-945 م)[5].

ومن أئمة الحنابلة: الفقيه الواعظ المفسر علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي، أَبُو الحسن المعروف بابن نجية: نشأ بدمشق وسمع الحديث والتفسير من علماء عصره، وكان يعظ وعمره عشر سنوات، ولما كبر عظم أمره عند الملك نور الدين محمود، وبعثه رسولًا إلى بغداد سنة (564هـ-1168م).

---

(1) عبد القادر القرشي: المصدر نفسه، ج 1ص384؛ الزركلي: الأعلام، ج4ص266.
(2) عبد القادر القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج 2 ص87.
(3) عبد القادر القرشي: المصدر السابق، ج2ص186.
(4) عبد القادر القرشي: المصدر نفسه، ج2 ص214؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6 ص197.
(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3 ص289.

وهناك سمع الحديث من علماء بغداد، وحدث الناس فيها، ثم عاد إلى بلده، وبعد مدة انتقل إلى مصر في دولة صلاح الدين، وعظم أمره بمصر عند صلاح الدين، وكان يحضر مجلسه هو وأولاده، وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص، ويستشيره في أموره، وكان له رأي صائب، فكان أهل السنة بمصر لا يخرجون عن رأيه؛ وكذلك الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، كان يستشيره في أموره، ولا يخرج عن رأيه؛

وهو الذي أخبر صلاح الدين بخيانة عمارة اليمني ومن معه في السعي على إعادة دولة العبيديين، واتفقوا على استدعاء الفرنج إلى مصر، فإذا خرج لهم صلاح الدين يخل لهم الجو ليتم أمرهم ومكرهم، وكانوا قد أدخلوه معهم في هذا الأمر، فأظهر لهم أنه معهم، ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره، فلما تيقن صلاح الدين قبض عليهم وقررهم، فاعترفوا، فصلبهم بين القصرين؛ وقد حدث الناس بمصر والإسكندرية وغيرها، وتعلم منه خلق كثير، وأجاز لكثير من علماء عصره؛ وكانت وفاته سنة (599هـ-1202 م)[1].

ومن أئمة الحنابلة: الحافظ المقدسي عبد الغنى بن عبد الواحد، وكان إمامًا حافظًا متقنًا مصنفًا ثقة، وهو أحد أكابر أهل الحديث بدمشق(2)، ثم رحل إلى مصر والاسكندرية سنة (560هـ-1165م) وأقام هناك مدة، ثم عاد إلى دمشق، ثم رجع إلى الاسكندرية سنة (570هـ-1174م)، وسمع بها من الحافظ السلفيَّ وأكثر النقل عنه، وقد حَدَّث بمصر واستفاد منه خلقٌ كثير، وكان أمير المؤمنين في الحديث في زمانه، ومن أشهر مصنفاته: كتاب " الكمال في أسماء الرجال "، وكتاب " الدرة المضية في السيرة النبويّة "، وكتاب" المصباح "، وكتاب " عمدة الأحكام من كلام خير الأنام "، وغيرها من الكتب المفيدة، وظل يحدث ويفيد المسلمين، حتى وفاته سنة (600هـ-1203م) [2].

ومن أئمة الحنابلة: صفي الدين عبد العزيز بن أحمد بن باقا، ولد في بغداد، وقرأ القرآن وسمع الحيث من علماء عصره في العراق، وتفقه على المذهب الحنبلي، ثم قدم إلى مصر وأقام بها، وحَدَّثَ الناس، وسمع منه كثير من الحفاظ منهم: زكي الدين المنذري، وغيره، وحَدَّثَ عنه خلقٌ كثير، وظل على ذلك حتى وفاته سنة (630هـ-1233م)[3].

ومن أئمة الحنابلة: الحافظ أبو الخير مكي بن عمر بن نعمة بن يوسف، المقدسي الأصل المصري المولد، سمع الحديث من والده أبي حفص، ومن علماء عصره من أهل مصر والقادمين عليها؛ ورحل إلى مكة وسمع من علمائها، ثم عاد إلى مصر وتفقه في المذهب بمصر، وزاع صيته، وحَدَّثَ وأفتى الناس وانتفع به خلقٌ كثير، كما كان إمامًا للناس، وكان يأكل من كسب يده، وكانت وفاته سنة (634هـ-1237 م)[4].

ومن أئمة الحنابلة: شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور، المقدسي، نزيل مصر، قاضي قضاة الحنابلة، وشيخ الشيوخ بها، سمع من علماء عصره، وتفقه على الشيخ موفق الدين بن قدامة، ثم سار إلى بغداد، وسمع بها من جماعة من العلماء، ودرس الفقه الحنبلي، كما تبحر في كثير من العلوم، وتزوج من بغداد، ثم انتقل إلى مصر، وعظم شأنه بها، فكان شيخ الحنابلة علمًا وديانةً ورئاسةً وصلاحًا[5]، وانتفع به الناس، وتولى التدريس بالمدرسة الصالحية، وهو أول من وليَّ قضاء القضاة بمصر

[1]. السَلامي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي، المتوفي سنة (795هـ-1393م).
ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر مكتبة العبيكان – الرياض، ط1(1425هـ-2005م). ج2ص528: ص535.
[2]. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج 6ص185؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19ص21؛ الزركلي: الأعلام، ج4ص34.
[3]. ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7 ص239.
[4]. السَّلامي: ذيل طبقات الحنابلة، ج3ص459؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج1ص98.
[5]. السَلامي: المصدر السابق، ج2ص866.

من الحنابلة، كما تولى بها مشيخة خانقاه سعيد السعداء[1]، وكان من أحسن المشايخ صورة، سيدًا متبحرًا في العلوم، مع الفضائل الكثيرة التامة، وسعة الصدر، والكرم، وقد حَدَّثَ بالكثير من العلوم، وسمع منه العلماء الكبار، وكانت وفاته سنة (676هـ-1277 م)[2].

2- أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على الأعياد والاحتفالات الشيعية في مصر:

عندما دخل الفاطميون مصر، وجدوا أهلها متمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة، وقد حاول الفاطميون أن يصرفوهم عن ذلك إلى المذهب الإسماعيلي، وسلكوا في سبيل ذلك أساليب كثيرة منها: مشاركتهم في أعيادهم، ثم ما لبثوا فأضافوا أعيادًا أخرى لم يكن أهل السنة يحتفلون بها قبل ذلك، حتى بلغت هذه الأعياد ثمانية وعشرين عيدًا[3]؛ منها: عيد رأس السنة الهجري، ويوم عاشوراء، والمولد النبوي الشريف، ومولد علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وأول شهر رجب، وأوسطه، وأخره، وأول شهر رمضان، والجمعة الأخيرة منه، وعيد الغدير، ويوم النيروز، ويوم خميس العهد، ويوم وفاء النيل.

ولقد كان الخلفاء الفاطميون أنفسهم يشاركون المصريين في الاحتفال بهذه الأعياد[4]، لإعطاء قداسة لهذه الأعياد من جهة، ومن جهة أخرى إشغال المصريين عن مقاومة المد الشيعي في بلادهم، كما كانوا يصدرون أوامرهم إلى ولاتهم في الأقاليم يحثونهم على إظهار أمارات اللهو والبذخ، وتوزيع الأموال والهبات للشعراء وكبار رجال الدولة[5]، كما كانوا يضعون الموائد الكبيرة من اللحوم ويوزعون الحلوى، فكان الناس في العصر الفاطمي يوَدِعون عيدًا ويستقبلون آخر؛ فلما استقر الأمر للأيوبيين كان أمامهم هدف آخر عن إلهاء الشعب، وهو إعادة نشر المذهب السني، الذي طمس الفاطميون معالمه، والاستعداد للتصدي للمد الصليبي، فكانت احتفالاتهم محدودة، فعلى سبيل المثال يوم عاشوراء، فقد كان يوم حزن عند الفاطميين، كما كانت مصالح الناس تتعطل فيه، وتتوقف فيه الأسواق، ويكثر فيه الشيعة من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يضعون سماط الحزن وعلي الطعام المالح والمخللات[6]؛ وفي عهد الأيوبيين أصبح يوم عاشوراء يوم فرح وسرور، وكان يصنع فيه الحلوى وتوزع الأطعمة، ويتم فيه التوسعة على الأهل والأقارب، وأحيت من جديد سنة صيام يوم عاشوراء[7].

أما الأعياد المذهبية مثل: مولد علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر، وعيد الغدير، وعيد النصر المرتبط بالخليفة الحافظ، والاحتفال بتنصيب ولي العهد، كل هذه الاحتفالات أبطلها الأيوبيون، واندثرت بزوال الدولة الفاطمية[8]؛

كما كان المصريون يحتفلون بعيد النيروز، وفي عهد الفاطميين كثرت المنكرات في هذا العيد، وبتشجيع من الفاطميين أنفسهم، فكان يخرج أمير يطلق عليه أمير النيروز، ويخرج معه جمع من الناس، ويأخذ رسومًا على دور الأكابر من القوم، ويأخذ الهبات من الناس؛ ولقد كان الخلفاء الفاطميون يحوذون الأموال الكثيرة ويكنزونها، وقد ظهر ذلك جليًا عند ذهاب دولتهم؛ أما قصر اللؤلؤ فيجتمع تحته الفساق

---

[1]. خانقاه: جمعها خوانق، وخانقاهات، وهي رباط الصوفية الذي يتعبدون فيه، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج30 ص363.

[2]. ابن العماد: المصدر السابق ، ج7ص616.

[3]. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج2ص436.

[4]. المقريزي: المصدر السابق، ج2ص436؛ عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ص58.

[5]. عبد اللطيف حمزة: المرجع السابق، ص58.

[6]. المقريزي: المصدر السابق، ج2ص331؛ رشا خليل أحمد علي: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، ص103.

[7]. المقريزي: المصدر نفسه، ج2ص331؛ رشا خليل أحمد علي: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، ص103.

[8]. عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ص59.

والمخنثون، وبأيديهم أدوات اللهو ويحدث ذلك والخليفة الفاطمي ينظر إليهم وتحت إشرافه؛ كما كانت الخمور تُشرب في الطرقات، وتسكب على المارة، كما يرشون الماء الممزوج بالقاذورات على المارة من الناس[1]؛ فلما جاء الأيوبيين منعوا تلك المخالفات.

أما الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين كانوا مشغولين بمحاربة الصليبيين، وتحرير المدن الإسلامية وعلى رأسها القدس الشريف، وسيطرت عقيدة الجهاد على شعور المصريين، الأمر الذي لم يترك مجالًا للتوسع في حياة الترف وكثرة الاحتفالات[2].

أثر إعادة إحياء المذاهب السنية على القضاء:

كان القضاء في مصر على المذهب السني، منذ الفتح الإسلامي، ولما دخل الفاطميون مصر كان قاضي الديار المصرية أبو الطاهر الذهلي، الذي أقره جوهر الصقلي في منصبه خوفًا من سخط المصريين، إلا أنه ألزمه أن يحكم في المواريث، وفي هلال الشهور، وفي الطلاق، وفق المذهب الإسماعيلي[3]، ولما دخل المعز لدين الله مصر خلع على القاضي أبي الطاهر، وأقره في مكانه! إلا أنه أشرك معه قاضيا مغربيا، وهو عبد الله بن أبي ثوبان، كما لقبه بقاضي مصر والإسكندرية[4]، وجعله قاضي للمغاربة دون المصريين، ثم وسع الخليفة المعز صلاحياته لينظر في الأحكام التي تخص المصريين، فلما مات ابن ثوبان عين المعز علي بن النعمان.

ولما مرض أبو الطاهر الذهلي واعتزل القضاء، قام العزيز بالله بإسناد منصب قاضي القضاة إلى علي بن النعمان[5]، فكان القضاء من خلال آل النعمان، ومن بعدهم من قضاة المذهب الإسماعيلي، وكثيرًا ما كان يُسند منصب قاضي القضاة إلى داعي الدعاة، في إشارة إلى أن المذهب الإسماعيلي هو أساس التشريع لكل المصريين بما فيهم أهل السنة.

وفي عهد الخليفة الحاكم عين القاضي أبا العباس أحمد بن أبي العوام[6]، وكان على المذهب الحنفي، لكنه اشترط عليه أن يحكم بالمذهب الإسماعيلي، وألا يحكم إلا بحضور أربعة من فقهاء الإسماعيلية.

وعندما توفي قاضي القضاة في عهد الخليفة الحافظ، بقيَّ المنصب شاغرًا ثلاثة أشهر[7] لأنهم لم

---

[1]. المقريزي: المصدر السابق، ج2ص442.
[2]. سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية-القاهرة، ط (1416هـ-1996م). ص155.
[3]. ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص329.
[4]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص.223؛ ابن حجر: المصدر السابق، ص199.
[5]. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12ص261؛ عماد صالح شيخ عيد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، ص113.
[6]. عبد القادر القرشي: طبقات الحنفية، ج 1، ص 116.
[7]. المقريزي: المصدر السابق، ج3ص172؛ عماد صالح شيخ عيد: المرجع السابق، ص113

يجدوا قاضيا على المذهب الإسماعيلي، فوقع الاختيار على الفقيه: أبو العباس أحمد ابن الحطيئة، لكنه اشترط عليهم أن لا يقضي على المذهب الإسماعيلي، فأستبدل بفقيه أخر على المذهب الإسماعيلي[1]. فلما استقر الأمر لصلاح الدين الأيوبي سنة (567هـ-1171م) قام بعزل جميع قضاة المذهب الإسماعيلي، وولي قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني الشافعي، الذي بدوره قام بعزل قضاة الشيعة من المدن والأقاليم، واستبدلهم بقضاة على المذهب الشافعي[2].

وعلى إثر ذلك انتشر المذهب الشافعي، وبدأ المذهب الإسماعيلي في الاندثار شيئًا فشيئًا؛ وفي سنة (595هـ- 1198م) أسند الأيوبيون الخطابة، والحسبة، ودار صك العملة، والأوقاف، إلى ولاية القضاء[3]، وذلك لتعميم الفقه السني في مصر سواءً في المعاملات في الأسواق، أو في المصالح الحكومية، وقد عهدت الدولة بهذه الولايات مجتمعة إلى قاضي القضاة صدر الدين بن درباس الشافعي؛ وإليه أيضًا مهمة الإشراف على المدارس، وأحيانًا كان قاضي القضاة يجلس للتدريس بنفسه في هذه المدارس[4]، ولعلك تتابع أن معظم من تولى التدريس بالمدارس الأيوبية كانوا أيضًا ممن تولى منصب القضاء سواء في القاهرة، والفسطاط، أوفي الأقاليم[5].

أشهر من تولى منصب قاضي القضاة في عهد الدولة الأيوبية:

صدر الدين عبد الملك بن درباس: المتوفي سنة (605هـ-1208 م)

هو : صدر الدين، أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني ، الفقيه الشافعي قاضي القضاة

---

[1]. أبو العباس بن الحطيئة: أحمد بن عبد الله بن هشام الفاسي، المقرئ الناسخ الرجل الصالح، قرأ الفقه والعربية، وسكن بمصر، وتصدر بها للإقراء، وعُرض عليه القضاء بالمذهب الإسماعيلي فرفض وتفرغ للعلم والفقه وتعلم على يديه خلقٌ كثير؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط1(1417هـ-1997م). ج1ص288.

[2]. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص319؛ أحمد فؤاد السيد: تاريخ مصر زمن سلاطين بني أيوب، ص90.

[3]. ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص253؛ أحمد فؤاد السيد: المرجع السابق، ص90.

[4]. السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2ص158.

[5]. أحمد فؤاد السيد: المرجع نفسه، ص91.

بالديار المصرية، ولد بنواحي الموصل، وكان من خيار علماء زمانه، وقلده صلاح الدين الأيوبي القضاء بالديار المصرية، ثم أسندت إليه، الخطابة، والحسبة، والأوقاف، وصك العملة[1].

وقد رثاه عند قبره نائبه شرف الدين ابن عين الدولة الذي تولى القضاء بعد ذلك؛ عند مواراته فِي لحده:

يَا أَيُّها الملأ المجمّع حوله ... كشيوخه وكهوله وشبابه

هل فيكم من مُنْتَمِي إلاَّ لَه ... أَوْ فيكم من سيد إلاَّ بِه[2].

زين الدين علي بن يوسف الدمشقي: المتوفي سنة (622هـ–1225 م)

هو: زين الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ثم البغدادي، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد ببغداد، وتفقه بها على علماء عصره، كان فقيهًا متواضعًا، حسن الأخلاق، محبًا لأهل العلم، عُين نائبًا لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس، وبعدها تولى منصب قاضي القضاة[3]

ابن أبي عصرون: المتوفي سنة (605هـ–1208 م)

هو: محيي الدين أبو حامد محمد بن أبي سعد بن أبي عَصْرُون الشافعي، كان موصلي الأصل، رحل في طلب العلم إلى بغداد، وواسط، وتلقى العلم بها على علماء عصره، ثم رجع إلى موطنه الأصلي بالموصل، وقد حصل من العلم الكثير، ونشر العلم فيها ثم رحل إلى حلب، وهناك تقابل مع الملك نور الدين محمود، الذي أكرمه وذهب معه إلى دمشق[4]، وقام بالتدريس بالمدرسة الغزالية، ثم تولي بها منصب القضاء؛ وله كثير من المؤلفات منها: كتاب " صفوة المذهب في نهاية المطلب "، وكتاب " الانتصار "، وكتاب " المرشد "، وكتاب " الذريعة في معرفة الشريعة "، وكتاب " التيسير في الخلاف "، وكتاب " ما أخذ النظر "[5]، وقد انتفع به خلق كثير، كما دَرَّس في كثير من مدارس الشام، وتولى منصب قاضي القضاة بمصر في عهد صلاح الدين[6].

عماد الدين ابن السكري: المتوفي سنة (620هـ–1223 م)

هو: عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي بن علي، قاضي القضاة المصري الشافعي تفقه على الشهاب الطوسي، وبرع في المذهب الشافعي، ودرَّس وأفتى[7]، وتولى منصب قاضي القضاة في سلطنة الملك العادل، وكان معروفًا بالعلم والتواضع والورع، وكان معظمًا من العامة والخاصة، لإيهاب أحدًا من الناس؛ وكان قد تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية، ومدرسة المشهد الحسيني، ومدرسة منازل العز، وتولى الخطابة في الجامع الحاكمي، وكان له العديد من المصنفات[8].

شرف الدين ابن عين الدولة: المتوفي سنة (639هـ–1241 م)

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج39ص30؛
المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج3ص319.

(2) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص254؛ محمد أحمد هربود العيساوي: قضاة مصر والشام في العصر الأيوبي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، ص182.

(3) أبي شامة: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج4 ص456.

(4) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2ص153.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج41 ص220.

(6) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2 ص15.

(7) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج6 ص466.

(8) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1ص232؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج8 ص170.

هو: أبو المكارم محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي القاسم، المصري، الشافعي المعروف بابن عين الدولة، ولد بالإسكندرية، ثم انتقل إلى القاهرة، وكان عارفًا بالأحكام، مطلعًا على غوامضها، معروفًا بالعلم والأدب والزهد والورع[1]، وقد ناب عن قاضي القضاة : صدر الدين عبد الملك بن درباس، وناب عن قاضي القضاة: ابن أبي عصرون، وناب عن قاضي القضاة: زين الدين علي بن يوسف الدمشقي، وناب عن قاضي القضاة: عماد الدين عبد الرحمن ابن السكري؛ ثم استقل بالقضاء بالقاهرة، ثم تولى قاضي قضاة مصر، وكان يكتب الخط الجيد، ويجيد النظم والنثر، وكان حافظًا لكثير من شعر المتقدمين والمتأخرين، كما كانت له المكانة العالية عند السلطان الكامل، فكان يستطيب مجالسته والحديث معه[2].

محمد بن نامور الخونجي: المتوفي سنة (646هـ-1248 م)

هو : أبو عبد الله محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أفضل الدين قاضي القضاة، الشافعي، فارسي الأصل، وقد انتقل إلى مصر، وأتقن العلوم الشرعية وتصدر للإفتاء، كما تولى التدريس بالمدرسة الصالحية، وكان متفوقًا في سائر العلوم، [3] وتولي منصب قاضي القضاة ، [4] وله تصانيف في الطب والمنطق؛ ومن مؤلفاته: كتاب " كشف الأسرار عن غوامض الأفكار "، وكتاب " الجمل " في المنطق[5]، وكتاب " أدوار الحميات "؛ ولما مات رثاه تلميذه العز حسن محمد الضرير فقال:

مضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل ... ومات بموت الخونجي الفضائل

فيأيها الحبر الذي جاء آخرًا ... فحل لنا ما لم تحل الأوائل [6].

قاضي القضاة بدر الدين يوسف السنجاري: المتوفي سنة (636هـ-1238 م)

هو: أبو المحاسن يوسف بن الحسن الزراري المعروف بالسِّنْجارِي الشافعي؛ كانت له الصدارة في العلم والجود، وكان معظمًا عند الناس، تولي قضاء بعلبك وغيرها من المدن، ثم قدم إلى مصر فولاه الملك الصّالح نجم الدّين قضاء مصر[7]، كما تولى التدريس بالمدرسة الصالحية، وكان معظمًا عند الملك الصالح نجم الدين، وكان يعيش حياة الملوك من كثرة الخدم والمماليك، وله مكانة عالية عند أرباب الدولة، محبوبًا بين الخاص والعام، وكان كثير الإحسان إلى الناس، جميل الصفح عن الزلات، وإقالة العثرات، وافر العطاء، كما كان مقصد الفقهاء والفضلاء [8].

قاضي القضاة ابن بنت الأعز: المتوفي سنة (665هـ-1266 م)

---

[1] الصفدي: الوافي بالوفيات، ج3ص281؛ محمد أحمد هربود العيساوي: قضاة مصر والشام في العصر الأيوبي، ص183.
[2] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج46 ص412.
[3] ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1ص422.
[4] الأعلام: الزركلي، ج7 ص122.
[5] حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2ص1986.
[6] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفي سنة (774هـ-1373م)، طبقات الشافعيين، تحقيق: أنور الباز، نشر: دار الوفاء-المنصورة، ط 1 (1425هـ-2004 م)، ج1ص864.
[7] ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7ص544.
[8] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج49ص164؛ قطب الدين: ذيل مرآة الزمان، ج2ص335؛ محمد أحمد هربود العيساوي: قضاة مصر والشام في العصر الأيوبي، ص184.

هو: تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر، قاضي القضاة ابن بنت الأعز، الشافعي، وكان القاضي الأعز وزير الملك الكامل، جده لأمه، فعرف بابن بنت الأعز، وكان إمَّامًا فاضلًا، تولى التدريس بالمدرسة الصالحية، كما تولى عدة مناصب منها: النظر في الدواوين، والوزارة[1]، وقاضي القضاة، وتولي الوزارة مع القضاء، وكان له المكانة العالية في الدولة، كما كان يراعي تولية الأكفاء[2]، ولايهاب أحدًا من الناس، كما كان يجيد بعض الشعر[3].

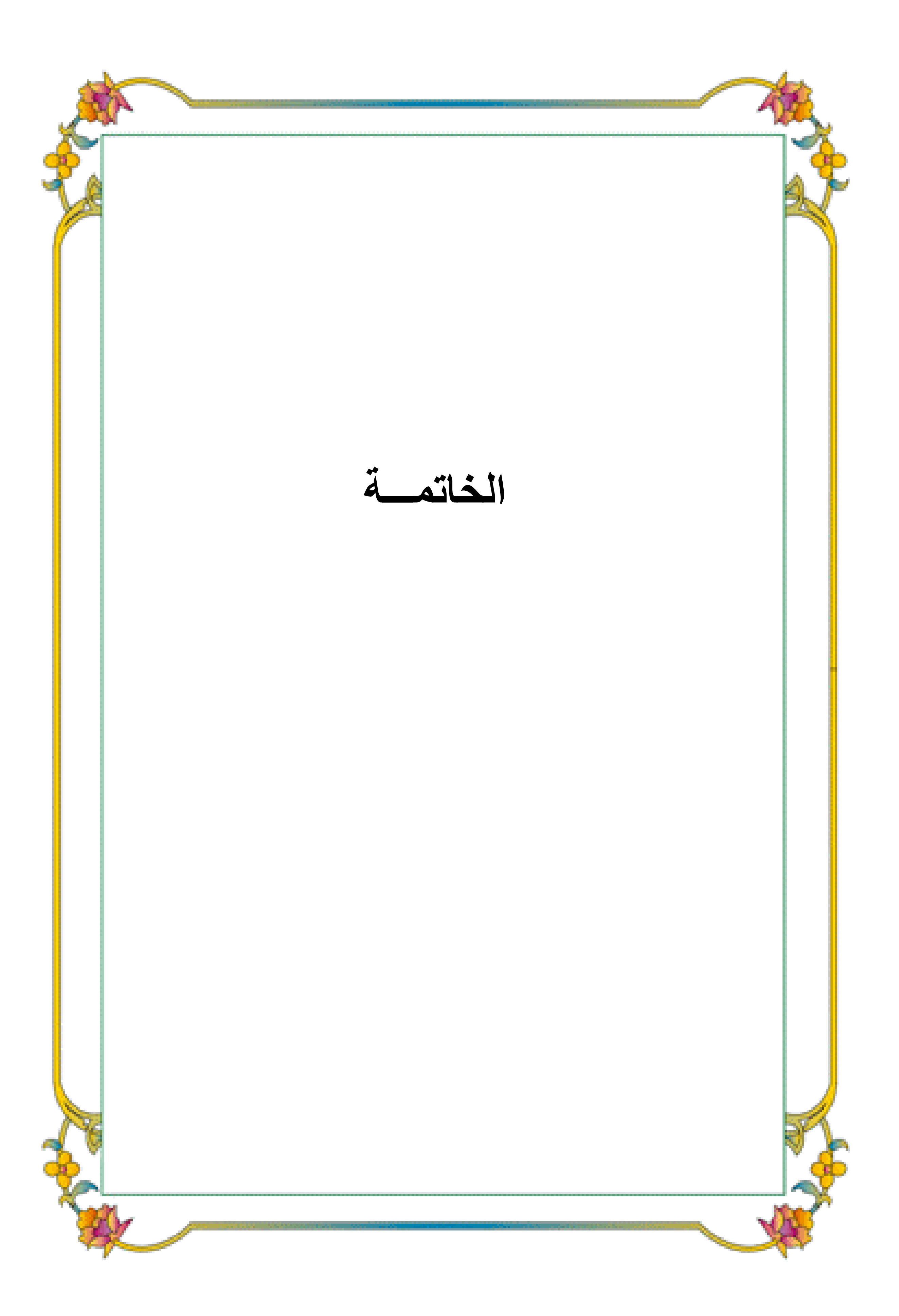
العز بن عبد السلام : المتوفي سنة (660هـ–1262 م)

هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء الفقيه الشافعي، ولد ونشأ في دمشق، وتلقى فيها العلم على علماء عصره، ورحل إلى بغداد، ومكث بها شهرًا، ثم عاد إلى دمشق، وتولى التدريس بدمشق، والخطابة بالمسجد الأموي، وكان عارفًا بالأصول، والفروع، واللغة العربية، والتفسير[4]، ثم قدم إلى مصر على الملك الصالح نجم الدين أيوب، وعظم أمره عنده، وولاه القضاء والخطابة، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما صنف الكتب الكثيرة، ومنها: كتاب " التفسير الكبير"، وكتاب " الإلمام في أدلة الاحكام "، وكتاب" قواعد الشريع "، وكتاب " الفوائد "، وكتاب " قواعد الأحكام في إصلاح الأنام "، وكتاب" ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام "، وكتاب " بداية السول في تفضيل الرسول " وكتاب" الفتاوي " [5].

ومن مآثره: أنه لما مرض أرسل له السلطان الظاهر بيبرس، وقال له عين مناصبك لمن تريد من أولادك، فقال ليس فيهم من يصلح، وأشار أن يسند التدريس بالمدرسة الصالحية إلى القاضي تاج الدين ففوضت إليه بعد موته[6].

---

(1). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7ص43.
(2). الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج49 ص200.
(3). الصفدي: فوات الوفيات، ج1ص107؛ الأعلام: الزركلي، ج3 ص315.
(4). قطب الدين: ذيل مرآة الزمان، ج2 ص172.
(5). السبكي: طبقات الشافعية، ج8ص209؛ محمد أحمد هربود العيساوي: قضاة مصر والشام في العصر الأيوبي، ص185.
(6). الصفدي: فوات الوفيات، ج18ص319.



الخاتمـــة

الخاتمة

لاشك أن الغاية الكبرى من دراسة التاريخ هي العبرة والعظة، واستخلاص الدروس المستفادة، قال تعالى" لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ" (يوسف: 111)، ولقد كانت مصر تابعة لدولة الخلافة الإسلامية منذ فتح مصر على يد عمرو بن العاص، حتى دخول الفاطميين إليها واتخاذها عاصمة لدولتهم ما يقرب من مئتي عام، حتى نهاية دولتهم على يد صلاح الدين؛ ولئن كان أهل مصر مدينين بالجميل والمعروف لعمرو بن العاص وأصحابه الذين أوصلوا رسالة الإسلام إلى مصر، فإن أهل مصر مدينين أيضًا بالجميل والمعروف لصلاح الدين وأصحابه الذين عملوا على إزالة المذهب الشيعي منها. ولقد كان زوال المذهب الشيعي من مصر في العصر الأيوبي وأثره على الحياة الثقافية والعلمية فيها أعظم حدث في مصر بعد الفتح الإسلامي وقد ظهر ذلك واضحًا من خلال البحث والدراسة.

ففي الفترة السابقة على موضوع الرسالة أظهر البحث قضية النسب الفاطمي، وكيف أنهم نَسَبوا أنفسهم إلى عبيد الله المهدي بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي مقابل هذا الادعاء كُتب محضر ببغداد، في قدح النسب الذي يدَّعيه الخلفاء الفاطميون، حضره الأشراف والفقهاء والقضاة؛ وقد ظل النسب الفاطمي غير معترف به سواءً على المستوى الرسمي ممثلًا في الخلافتين الأموية في الأندلس، والعباسية في بغداد، وعلى المستوى الشعبي في عدم تقبل المصريين لمذهبهم منذ استيلائهم على مصر.

وقد استمد الفاطميون لقبهم من اسم فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وأُطلِق عليهم اسم العبيديين نسبةً إلى جدهم عُبيد الله المهدي، كما أُطلق عليهم العلويين نسبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق، كما عرفوا بالمصريين نسبة إلى مصر، باعتبارها مقر ملكهم الأخير قبل زوال دولتهم.

وقد نشأت الدولة الفاطمية في المغرب، لكن لكثرة ثورات أهل المغرب وعدم تقبل أهلها للمذهب الشيعي أدرك الفاطميون أن وضعهم لن يستقر في المغرب، لذلك حرص الخلفاء الفاطميون منذ خلافة المهدي على الدخول إلى مصر، وقاموا بإرسال ثلاث حملات برية وبحرية لتحقيق ذلك الهدف، لكنها لم تتمكن إلا في المرة الرابعة عند ضعف الدولة الإخشيدية، وقد أنفق المعز الفاطمي أموالًا طائلة في هذه الحملة، وضع عليها أفضل قواده وهو: جوهر الصقلي، الذي تعهد للمصريين من خلال كتاب الأمان الذي كتبه وفيه: أن أحدًا لن يرغمهم على التشيع، كما تعهد بتحقيق العدل ونشر السلام والطمأنينة بين الناس، والتصدي لخطر القرامطة، ومواجهة الصليبيين الذين هاجموا شماليّ الشام، واستولوا على كثير من مدنها، لكن سرعان ما نقض جوهر العهد فعمل على نشر المذهب الإسماعيلي، وضيق على أهل السنة، وجعل القضاء على المذهب الإسماعيلي، وبدأ بالتمدد ناحية الشام على حساب الخلافة العباسية؛ وبعد قدوم المعز الفاطمي إلى مصر جعلها مقر الخلافة الفاطمية؛ ثم ظهر بعد ذلك ضعف الدولة الفاطمية عندما تولى الخلافة خلفاء حديثو السن، مع ازدياد نفوذ الوزراء، وظهر تقصير الفاطميين واضحًا في دفع الخطر الصليبي عن بلاد الشام، حتى وصل خطرهم إلى مصر، وطلب الخليفة العاضد النجدة من الملك نور الدين محمود لدفع الخطر الصليبي عن مصر، ثم إسناد الوزارة إلى أسد الدين شيركوه، ثم إلى صلاح الدين الذي زالت الخلافة الفاطمية على يديه.

وفى الفصل الأول: أظهر البحث موقف الفاطميين من أهل السنة، فقد قام جوهر الصقلي بفرض

سلطته الدينية والدنيوية على كافة المسلمين، على الرغم من تعارضها مع مبدأ التسامح الديني الذي تعهد باحترامه، فلم يدع عملًا من أعمال الدولة إلا جعل فيه أحد المغاربة شريكًا لمن فيه من أهل السنة! فقد أصبح السبيل للحصول على الوظائف الرفيعة أو مناصب الدولة هو التحول الي المذهب الشيعي، كما دفع ذلك بعض الذميين الي اعتناق الإسلام واتخاذ التشيع مذهبًا لهم، ولم يبق من أهل السنة في مناصب الدولة إلا القليل مما ليس له أهمية ولأخطر؛ مما دفع بعض الموظفين السنيين إلى اعتناق المذهب الشيعي؛ كما حتَّم علي القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق تعاليم المذهب الإسماعيلي، وأظهر الفاطميون الشعائر المخالفة لأهل السنة مثل: سب الصحابة رضوان الله عليهم، وتحريم أكل بعض الأطعمة وتجريم من يخالف ذلك الأمر، وكثرة الاعتداءات على أهل السنة.

ولقد حرصت الدولة الفاطمية، على إعطاء أهل الذمة حقوق كبيرة فاقت أمثالهم من المواطنين من أهل السنة، فكانت كل الوظائف متاحة لهم بما فيها الوزارة، فكان منهم العديد من الوزراء، حيث كان أولهم يعقوب بن كلس اليهودي، الذي تولى الوزارة للمعز لدين الله وابنه العزيز من بعده، وبدوره كان يتحيز لإخوانه في الدين.

وأما عن مظاهر الحياة الاجتماعية والاحتفالات التي أحدثوها: فلقد عانى الفاطميون في المغرب من كثرة الثورات، فلما قدموا مصر أرادوا أن يجعلوا من أيام المصريين سلسلة متصلة من الاحتفالات والأعياد، وذلك لينشغل الناس، وإليهم ترجع ظاهرة الاحتفال بالمناسبات الدينية مثل: الاحتفال بقدوم شهر رمضان، والمولد النبوي الشريف، ورأس السنة الهجرية، وأول شهر رجب ونصفه وأخره، وليلة النصف من شعبان، كما أضافوا أعيادًا خاصة بالمذهب الشيعي مثل: الاحتفال بذكري مقتل الحسين، ويوم الغدير، ومولد علي بن ابي طالب، وزوجته فاطمة، والحسن، والحسين، والخليفة الفاطمي الحاضر، وعيد النصر، والاحتفال بتنصيب ولي العهد؛ ومن أجل نشر ثقافتهم في المجتمع المصري عملوا على نشر المذهب الإسماعيلي في المساجد الكبرى في مصر مثل: جامع عمرو بن العاص، و جامع أحمد بن طولون، والجامع الأزهر الذي شُيد خصيصًا لذلك، كما أنشأوا المجالس العلمية التي تقوم على نشر المذهب الإسماعيلي، مع التضييق على تعليم المذهب السني، مما يعد إجبارًا لأهل السنة على الانتقال إلى المذهب الشيعي، وبالرغم من وسائل الترغيب والترهيب التي بذلها الفاطميون لنشر مذهبهم، لم يعتنق أحد من المصريين هذا المذهب الشيعي إلا لمصلحة خاصة أو خوفًا من نقمة الفاطميين وسطوتهم، ولم تكد تسقط تلك الدولة حتى عادوا لمذهبهم السني.

وفى الفصل الثاني: أظهر البحث مدى ضعف الخلفاء الفاطميين، مما تسبب في كثرة الصراعات على الوزارة، مما كان له أكبر الأثر في احتلال الصليبيين لبعض مدن الشام وتخاذل الفاطميين في الدفاع عنها، ولجوء الوزير شاور للملك نور الدين محمود ليعيده إلى الوزارة، ثم نقضه العهد معه، وتحالفه مع الصليبيين، ومحاولة الصليبيين احتلال مصر، ثم طلب الخليفة العاضد النجدة من الملك نور الدين محمود، الذي بدوره أرسل جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين، وتمكن من طرد الصليبيين، ثم قلده الخليفة العاضد الوزارة، وبعد موت أسد الدين وقع الاختيار على صلاح الدين ليتولى منصب الوزارة، وقد أظهر البحث الصعوبات التي واجهت صلاح الدين، وبعد تغلب صلاح الدين عليها، واستقرار الأمر له؛ جاءه الأمر من الملك نور الدين محمود بإقامة الخطبة للخليفة العباسي لتعود مصر إلى الخلافة العباسية من جديد، فكانت تلك نهاية الدولة الفاطمية فعليًا، فزالت من الحياة السياسية بعد أن دامت 262 سنة.

وفى الفصل الثالث: أظهر البحث الجهود التي قام بها صلاح الدين للقضاء على المذهب الشيعي، فقد قام بقطع الخطبة الجامعة بالجامع الأزهر، وأبطل تدريس الفكر الشيعي به، وأبقاه على تدريس علوم المذهب السني، ولحرص صلاح الدين على نشر المذهب السني، عمل على إنشاء المدارس التي تعلم علوم أهل السنة في مصر، بحيث تمكنت تلك المدارس في وقت قصير من إعادة نشر مذهب أهل السنة بين المصريين، ليحل مكان المذهب الإسماعيلي؛ كما قام صلاح الدين بإلغاء الاحتفالات بالأعياد المذهبية للفاطميين، كما أمر بإزالة الشعائر الشيعية التي أدخلها الفاطميون إلى مصر، فأبطل ما زيد من الأذان من قول " حي على خير العمل وعلي خير البشر "، واستمر الأذان في مصر على المذهب السني، كما أمر بخلع المناطق الفضية من محاريب المساجد بالقاهرة التي كان منقوش عليها أسماء الخلفاء الفاطميين، وذلك لمحو النقوش والآثار التي تخلد أسمائهم؛ وأمر الخطباء أن يلبسوا السواد شعار الدولة العباسية، وأن يكون الدعاء في الخطبة للصحابة رضي الله عنهم، وللتابعين، ولأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

كما عمل على إحياء قضية انتحال النسب الفاطمي إلى البيت النبوي، وبيان حقيقة أن الفاطميين ينحدرون من نسل يهودي أو مجوسي، والعمل على هدم السند الشرعي المزيف للخلافة الفاطمية.

وقد ألف العلماء كتبًا في هدم هذا النسب، كما أطلقوا على الفاطميين اسم " بني عبيد " إشارة إلى انتسابهم إلى عبيد الله بن ميمون القدَّاح المجوسي.

وفى الفصل الرابع: أظهر البحث أثر التحول المذهبي على الحياة الثقافيةٌ والعلمية في مصر، فقد انتشرت المذاهب السنيةٌ في ربوع مصر، وكثر طلاب العلم الذين صاروا علماء فيما بعد، فظهر في مصر الكثير من فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، وقد ظهر أثر تعلم الناس علوم أهل السنة على الاحتفالات والأعياد الشيعية، فاندثرت شيئًا فشيئًا.

وقد أظهر البحث أيضًا: أن القضاء في مصر اعتمد مذهب أهل السنة، بعد إسناد ذلك المنصب إلى فقهاء المذاهب السنية الذين تولوا منصب القضاء في ربوع مصر، بعد أن كان هذا المنصب قاصرًا على أتباع المذهب الإسماعيلي، ومن عين من غير أتباعه ألزم بالتحاكم به.

وختامًا: فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب فصول هذا البحث. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله رب العالمين.



الملاحـــق

ملحق رقم 1

كتاب الأمان الذي كتبه القائد جوهر الصقلي للمصريين

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه لجماعة أهل مصر الساكنين بها، من أهلها ومن غيرهم: إنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي، وهم: أبو جعفر مسلم الشريف أطال الله بقاءه، وأبو إسماعيل الرسي أيده الله، وأبو الطيب الهاشمي أيده الله، وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله، والقاضي أعزه الله.

وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابًا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحسن نظره لكم، فلتحمدوا الله على ما أولاكم، وتشكروه على ما حماكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسلامة لكم، وبالسعادة عليكم.

وهو أنه صلوات الله عليه لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة، والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم، إذ قد تخطفتكم الأيدي، واستطال عليكم المستذل، وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكد عزمه، واشتد كلبه.

فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق، الذين عمهم الخزي، وشملتهم الذلة، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم، وعظم ضجيجهم، وعلا صراخهم.

فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم، وأبكى عينه ما نالهم، وأسهرها ما حل بهم، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فرجا بفضل الله، وإحسانه لديه، وما عوده وأجراه عليه استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم، وعذاب أليم، وأن يؤمن من استولى عليه الوهل، وآثر إقامة الحج الذي تعطل، وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى، فسفكت دماؤهم، وابتزت أموالهم، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات، وقطع عبث العابثين فيها، ليتطرق الناس آمنين، ويسيروا مطمئنين، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات، إذ كان قد انتهى إليه صلوات الله عليه انقطاع طرقاتها، لخوف مادتها، إذ لا زاجر للمعتدين، ولا دافع للظالمين. ثم تجديد السكة، وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة، وقطع الغش منها، إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا إصلاحها، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها.

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى عبده من نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفيّ الأذى، ورفع المؤن، والقيام في الحق، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان، وجميل النظر، وكرم الصحبة، ولطف العشرة، وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم، وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم، حتى لا تجري أمورهم إلا على من لمَّ شعثهم، وأقام أودهم، وأصلح بالهم، وجمع قلوبهم، وألف كلمتهم، على طاعة وليه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وما أمر به مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضي صلوات الله عليه بإثباتها عليكم.

وأن أجريكم في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال، وأن أتقدم في رم مساجدكم، وتزيينها بالفر والإيقاد، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم، وأدرها عليهم، ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال.

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه مما ضمنه كتابه هذا ما ذكره من ترسل عنكم أيدهم الله، وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه من أنكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها في كتاب أمانكم، فذكرتها إجابة لكم، وتطمينا لأنفسكم، وإلا فلم يكن لذكرها معنى، ولا في نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة، وشريعة متبعة، وهي إقامتكم على مذهبكم، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم؛ وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدهم، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبكم وفتواهم، وأن يجرى الأذان، والصلاة، وصيام شهر رمضان وفطره، وقيام لياليه، والزكاة، والحج، والجهاد على أمر الله وكتابه، وما نصه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه.

ولكم علي أمان الله التام العام، الدائم المتصل، الشامل الكامل، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام، في أنفسكم، وأموالكم، وأهليكم، ونعمكم، وضياعكم، ورباعكم، وقليلكم وكثيركم، وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض، ولا يتجن عليكم متجن، ولا يتعقب عليكم متعقب، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون، ويذب عنكم، ويمنع منكم، فلا يتعرض إلى أذاكم، ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم، ولا في الاستطالة على قويكم فضلا عن ضعيفكم؛

وعلى أن لا أزال مجتهدًا فيما يعمكم صلاحه، ويشملكم نفعه، ويصل إليكم خيره، وتتعرفون بركته، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ولكم علي الوفاء بما التزمته، وأعطيتكم إياه، عهد الله، وغليظ ميثاقه وذمته، وذمة أنبيائه ورسله، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين قدس الله أرواحهم، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه، فتصرحون بها وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون إلي وتسلمون علي، وتكونون بين يدي، إلى أن أعبر الجسر، وأنزل في المناخ المبارك، وتحافظون من بعد على الطاعة، وتثابرون عليها، وتسارعون إلى فروضها، ولا تخذلون وليًا لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وتلزمون ما أمرتم به، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين؛ وكتب القائد جوهر الأمان بخطه في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار؛ كتبت هذا الأمان على ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وعلى الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه؛ والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين[1].

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1ص ج107:103.

ملحق رقم 2
كتاب الخليفة المعز الفاطمي للحسن القرمطي

"من عبد الله ووليه، وخيرته وصفيه، معد أبي تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، وسلالة خيير النبيين، ونجل على أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد:

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء، ومذاهب الأئمة والأنبياء، ومسالك الرسل والأوصياء، السالف والآنف منا، صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولى الأيدي والأبصار، في متقدم الدهور والأكوار، وسالف الأزمان والأعصار، عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله، الابتداء بالإعذار، والانتهاء بالإنذار، قبل إنفاذ الأقدار، في أهل الشقاق والأصار لتكون الحجة على من خالف وعصى، والعقوبة على من باين وغوى، فيأيها الناكث الحانث ما الذي أرداك وصدك؟ أشيء شككت فيه؛ أم أمر استربت به، أم كنت خليا من الحكمة، وخارجًا عن الكلمة، فأزلك وصدك، وعن السبيل ردك؟ إن هي إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وأيم لله لقد كان الأعلى لجدك، والأرفع لقدرك، والأفضل لمجدك، والأوسع لوفدك، والأنضر لعودك، والأحسن لعذرك، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك، والقفو لآثارهم وإن عميت لديك، لتجري على سننهم، وتدخل في زمرهم، وتسلك في مذهبهم، أخذًا بأمورهم في وقتهم، وزيهم في عصرهم، فتكون خلفًا قفا سلفًا بجد وعزم مؤتلف، وأمر غير مختلف.

لكن غلب الران على قلبك، والصدى على لبك، فأزالك عن الهدى وأزاغك عن البصيرة والضيا، وأمالك عن مناهج الأوليا، ثم لم تقنع في انتكاسك، وترديتك في ارتكاسك، وارتباكك وانعكاسك، من خلافك الآباء ومشيك القهقرى، والنكوص على الأعقاب، والتسمي بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، وعصيانك مولاك، وجحدك ولاك، حتى انقلبت على الأدبار، وتحملت عظيم الأوزار، لتقيم دعوةً قد درست، ودولة قد طمست، فقد ضل عملك، وخاب سعيك، وطلع نحسك، وغاب سعدك، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة، ومال بك الهوى، فأزالك عن الهدى، فإن تكفر أنت ومن في الأرض جميعا فإن الله هو الغنى الحميد، ثم لم يكفك ذلك مع بلائك وطول شقائك حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك، وحشدت أوباشك وأقلاسك، وسرت قاصدا إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزويلة، فقتلته وقتلتهم، جرأة على الله وردا لأمره، واستبحت أموالهم، وسبيت نساءهم، وليس بينك وبينهم ترة ولا ثأر، ولا حقد ولا أضرار، فعل بني الأصفر والترك والخزر؛ ثم سرت أمامك ولم ترجع، وأقمت على كفرك ولم تقلع، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة يسيرة، فاعتزل عنك إلى يافا، مستكفيا شرك، وتاركا حربك، فلم تزل ماكثا على نكثك باكرا وصابحا، وغاديا ورائحا، تقعد لهم بكل مقعد، وتأخذ عليهم بكل مرصد، وتقعدهم بكل مقصد، كأنهم ترك وروم وخزر، لا ينهك عن سفك الدماء دين، ولا يردعك عهد ولا يقين، قد استوعب من الردي حيزومك، وانقسم على الشقاء خرطومك.

هيهات لا خلود لمذكور، ولا مرد لمقدور، ولا طافئ لنور، ولا مقر لمولود، ولا قرار لموعود، لقد خاب منك الأمل، وحان لك الأجل، فإن شئت فاستعد للتوبة بابا، وللنقلة جلبابا، فقد بلغ الكتاب أجله، والوالي أمله، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته، ونطق من كان بالأمس صامتا، ونهض من كان هناك خائفا، ونحن أشباح فوق الأمر والنفس، دون العقل وأرواح في القدس، نسبة ذاتية، وآيات لدنية، نسمع ونرى، " ونحن معرضون ثلاث خصال والرابعة أردى لك، وأشقى لبالك، وما أحسبك تحصل إلا عليها فاختر: إما قدت نفسك لجعفر بن فلاح، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير وهي أسهل ما يرد عليك، وإما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار، وإما سر ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت، وأجريك على إحدى ثلاث: إما قصاص، وإما منا بعد؟ وإما فداء، فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك، وإقالة لعثرتك. وإن أبيت إلا فعل اللعين: " فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ ".

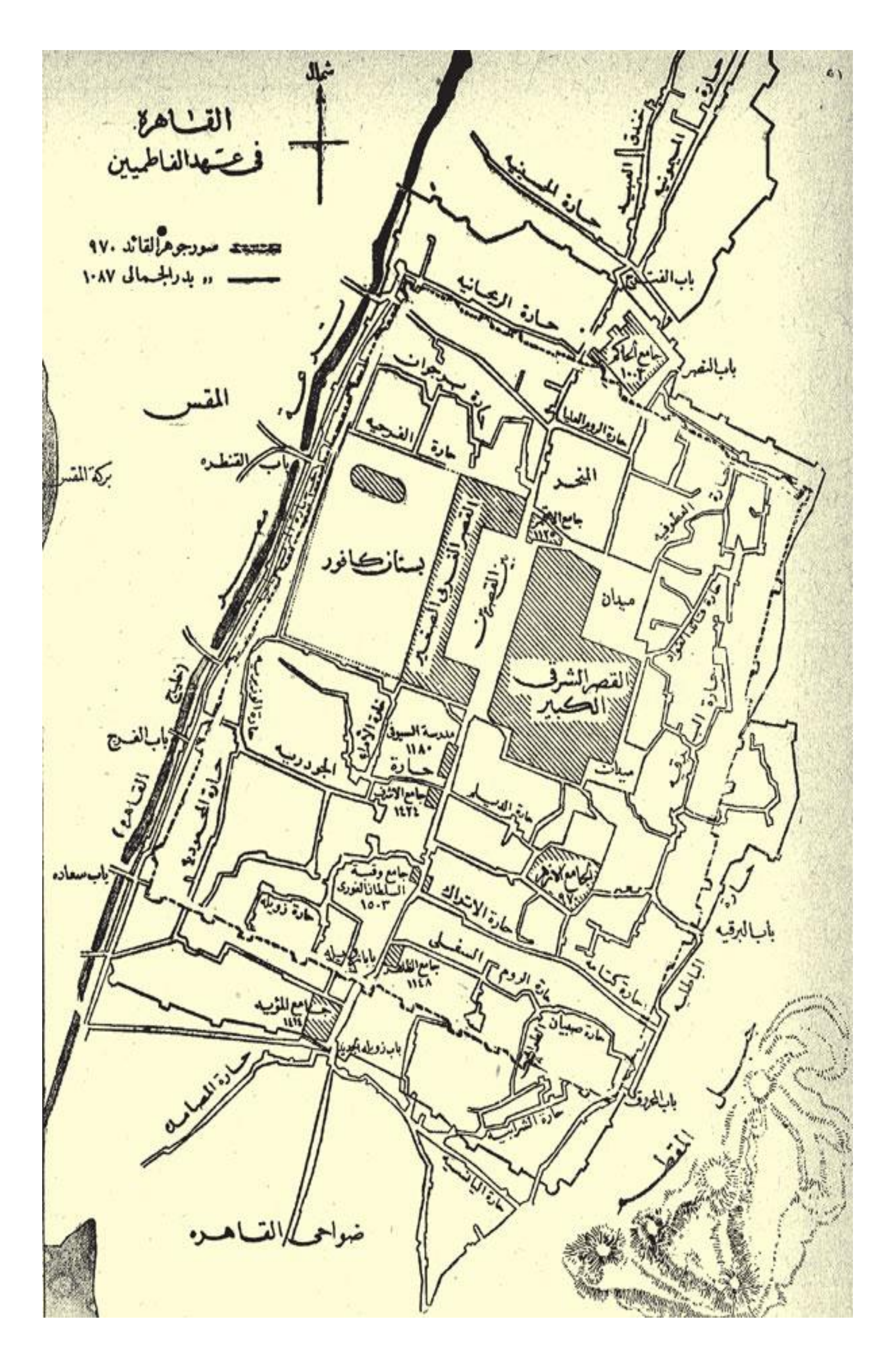
"اخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها" وقيل "اخسئوا فيها ولا تكلمون" فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك، ولا ليل يجنك، ولا نهار يكنك، ولا علم يسترك، ولا فئة تنصرك؛ قد تقطعت بكم الأسباب، وأعجزكم الذهاب، فأنتم كما قال الله عز وجل: " مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ ".

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه؛ وجنود الله في طلبك قافية، لا تزال ذو أحقاد، وثوار أهجاد، ورجال أنجاد، فلا تجد في السماء مصعدا، ولا في الأرض مقعدا، ولا في البر ولا في البحر منهجا، ولا في الجبال مسلكًا، ولا إلى الهواء سلما، ولا إلى مخلوق ملتجا.
حينئذ يفارقك أصحابك، ويتخلى عنك أحبابك، ويخذلك أترابك، فتبقى وحيدًا فريدًا، وخائفًا طريدًا، وهائمًا شريدًا، قد ألجمك العرق، وكظك القلق، وأسلمتك ذنوبك، وازدراك خزيك، " كَلاَّ لاَ وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ "، " هَذَا يَوْمَ لاَ يَنْطِقُونَ، وَلاَ يُؤْذَنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ "، " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ".
واعلم أنا لسنا بممهليك ولا مهمليك إلا ريثما يرد كتابك، ونقف على فحوى خطابك، فانظر لنفسك يا شقي ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة، وحلول وقت النوبة، حينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.
وإن كنت على ثقة من أمرك، ومهل في أمر عصرك وعمرك، فاستقر بمركزك، وأربع على ضلعك، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عاد وثمود، " وأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ، كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ "، فلنأتينكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلةً وأنتم صاغرون بأولى بأس شديد، وعزم سديد، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، بقلوب نقية، وأرواح تقية، ونفوس أبية، يقدمهم النصر، ويشملهم الظفر، تمدهم ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.
فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم، أو كمراح غنم؛ فإما نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون، وأنت في القفص مصفودا، ونتوفنيك فإلينا مرجعهم فعندها تخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، " فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى، لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى "، " كأَنهم يوم يَرَوْنَ ما يُوعدُونَ لم يَلبثوا إلا ساعةَ من نهارٍ، بلاغٌ فهل يُهْلَكُ إلا القومُ الفاسقون ".
فليتدبر من كان ذا تدبر، وليتفكر من كان ذا تفكر، وليحذر يوم القيامة من الحسرة والندامة، والسلام على من اتبع الهدى، وسلم من عواقب الردى، وانتمى إلى الملأ الأعلى، وحسبنا الله وكفى، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير[1].

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 ص189: ص202.

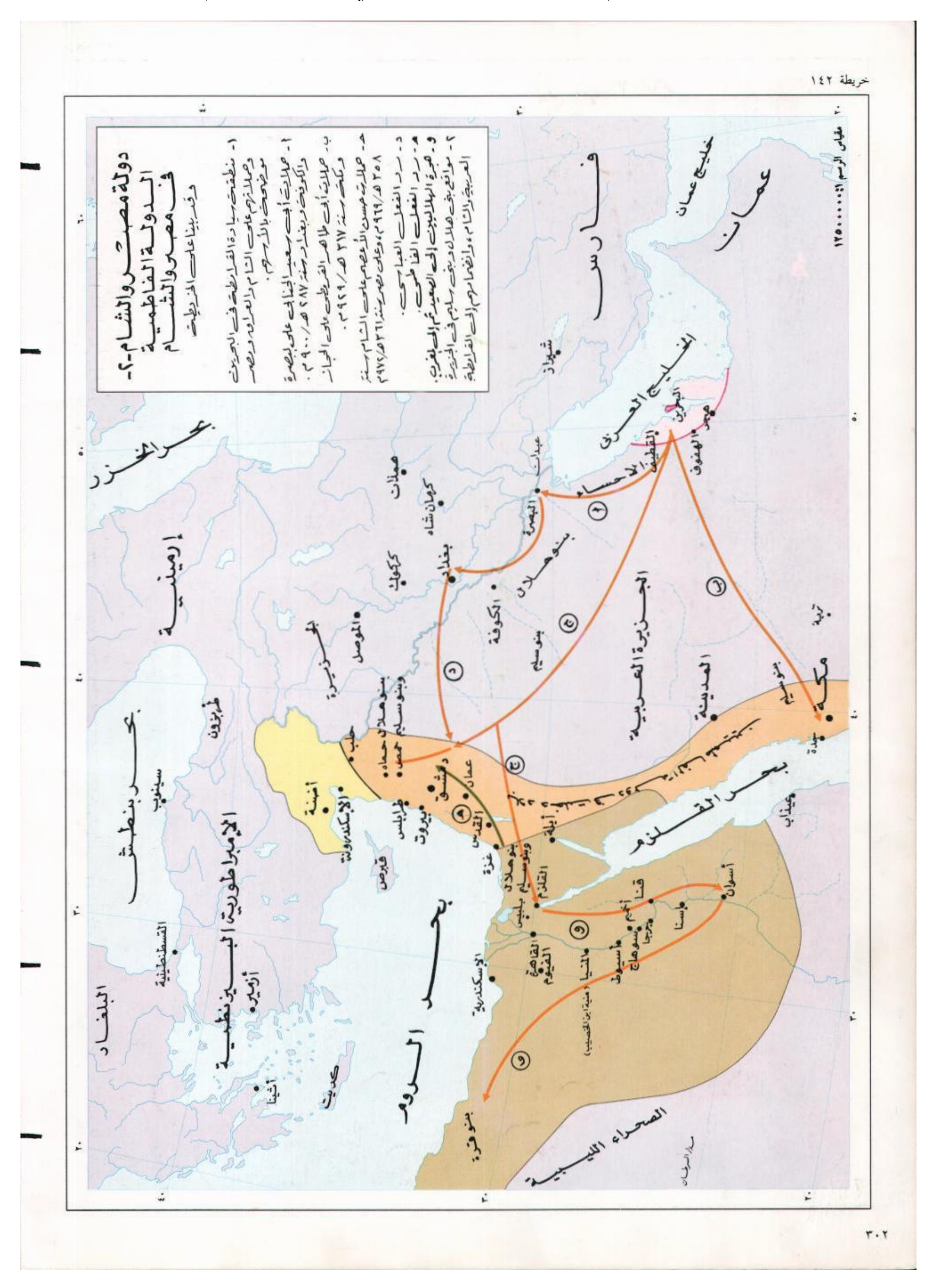
ملحق رقم 3

القاهرة في العصر الفاطمي



عبد الرحمن زكي: موسوعة القاهرة في ألف عام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط(1389هـ-1969م)، ص182.

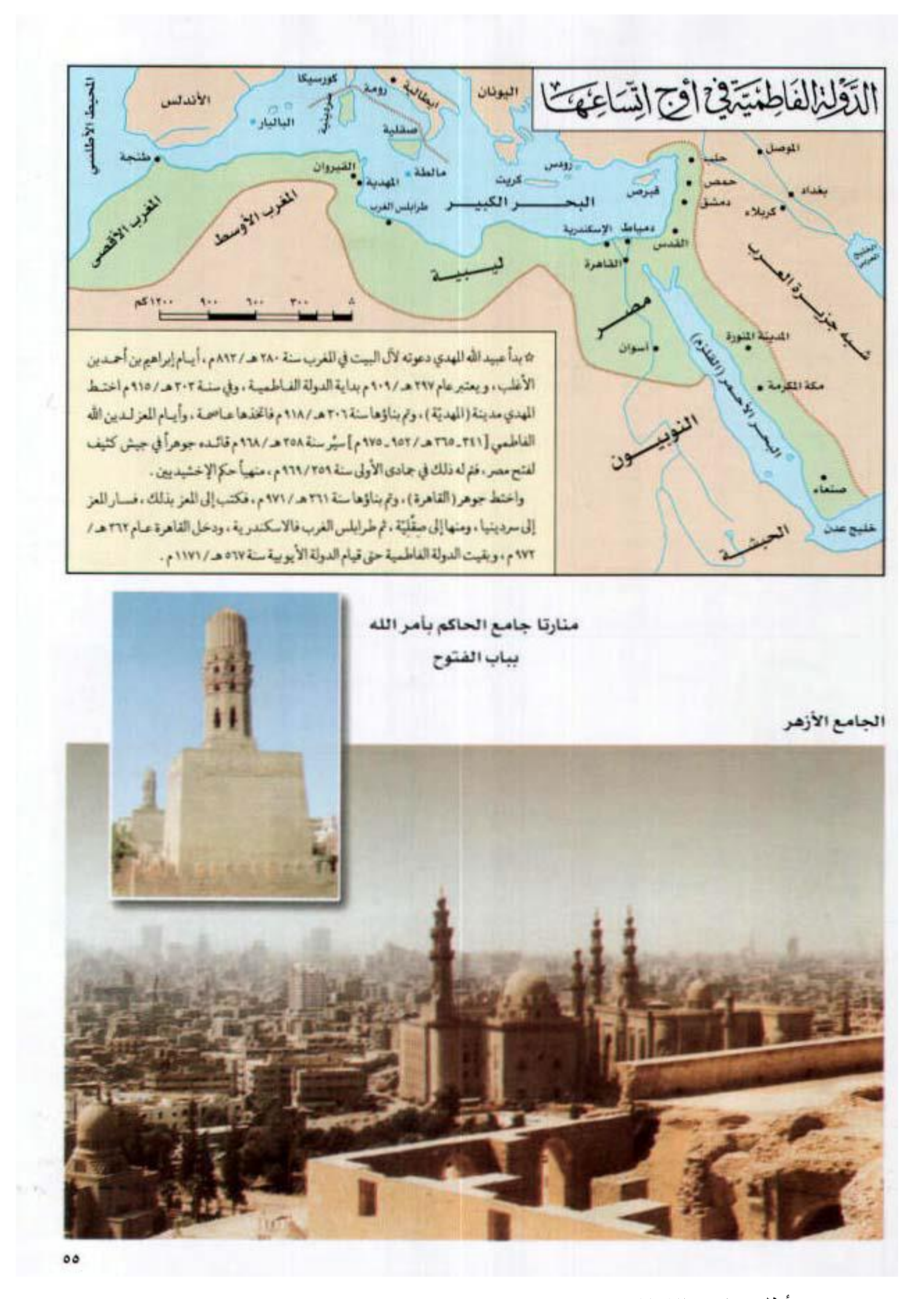
ملحق رقم 4: الدولة الفاطمية في مصر والشام



حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، نشر: الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، ط(1407هـ-1987م)، ص302.

ملحق رقم 5

الدولة الفاطمية في أقصى اتساعها



حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص303.

ملحق رقم 6

جامع الحاكم





الشبكة العنكبوتية: موقع وزارة السياحة والأثار

ملحق رقم 7

جامع المقس

ملحق رقم 8

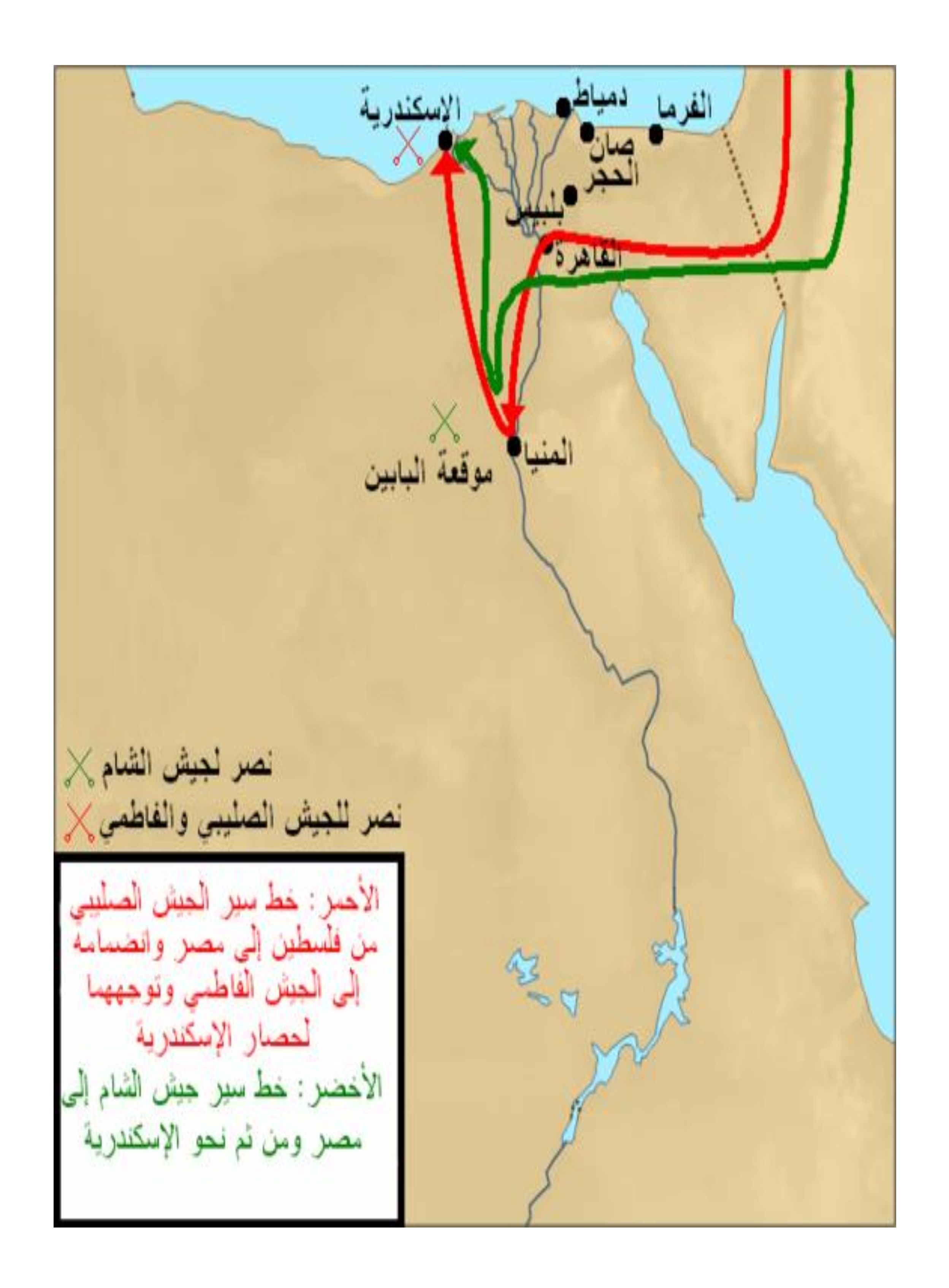
حصار الفاطميون والصليبيون لمدينة الإسكندرية



الشبكة العنكبوتية: موقع وزارة السياحة والأثار

ملحق رقم 8

حصار الفاطميون والصليبيون لمدينة الإسكندرية



الشبكة العنكبوتية



أولًا- المصادر:

1- **القرآن الكريم:**

ابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم بن خليفه الخزرجي ابو العباس ابن ابي اصيبعه، المتوفي سنة (668هـ-1269مـ)

2- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، نشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، عدد الأجزاء: 1.

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفي سنة (630هـ-1233م)

2- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (1417هـ-1997م)، عدد الأجزاء: 10.

ابن الجوزى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفي سنة (597هـ-1201مـ)

3- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (1412هـ-1992م)، عدد الأجزاء: 19.

ابن سعيد المغربي: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي المتوفي سنة(685هـ-1286م)

4- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، نشر: دار المعارف القاهرة، ج1ص190.
الطبعة: الثالثة، 1955(1375هـ-1955م) عدد الأجزاء: 2.

ابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي المتوفي سنة (555هـ-1160م).

5- تاريخ دمشق، تحقيق: د سهيل زكار، نشر: دار حسان للطباعة والنشر.

ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، المتوفي سنة (1089هـ-1678م).

6- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر أرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، (1406ه-1986م) عدد الأجزاء: 11.

ابن أيبك: أبى بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى المتوفي سنة (732ه-1332م).

7- الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد. القاهرة، طبعة (1380ه-1961م).

ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المتوفي سنة (930هـ-1524م).

8- بدائع الزهور في وقائع الدهور، اختصار وتقديم مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، طبعة (1428ه-2007م).

ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف المتوفي سنة (833ه-1429م)

9- غاية النهاية في طبقات القراء، نشر: مكتبة بن تيمية، الطبعة: الأولى (1351ه-1932م) عدد الأجزاء:3

ابن الزيات: شمس الدين أبوعبد الله محمدبن ناصر الدين الأنصاري، المتوفي سنة (814هـ-1226م)

10- الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المثنى بغداد، طبعة (1379هـ-1960م).

ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، المتوفي سنة (614هـ-1195م)

11- رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الأولى.

ابن حماد: محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أبو عبد الله المتوفي سنة (628هـ-1230م)

12- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، نشر: دار الصحوة – القاهرة، عدد الأجزاء:1

ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم المتوفي بعد سنة (367هـ-978مـ).

13- صورة الأرض، دار صادر، بيروت، (1357هـ-1938م)، عدد الأجزاء: 2.

ابن تغرى بردى: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين المتوفي سنة (874هـ-1470م).

14- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، عدد الأجزاء: 16.

15- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة (1404ه-1984م) عدد الأجزاء: 7.

16- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية – القاهرة، عدد الأجزاء: 2.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المتوفي سنة (808هـ-1406م).

17- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحاتة، الناشر: دارالفكر، بيروت، الطبعة: الثانية (1408ه-1988م) عدد الأجزاء:8.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المتوفي سنة: (681هـ-1282م).

18- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: 7، طبعة (1398ه-1978م).

ابن دقماق: ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، المتوفي سنة (809هـ-1406م).

19- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، جامعة أم القرى، طبعة (1402هـ-1982م)

ابن شاكر: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، المتوفي سنة (764ه-1363م).

20- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 4

ابن عذاري: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عذاري المراكشي، المتوفي سنة (نحو 695هـ-1296م).

21- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، (1403هـ-1983م) عدد الأجزاء: 2.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المتوفي سنة (571هـ-1176م).

22- تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: (1415هـ-1995م)، عدد الأجزاء: 80.

ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري، المتوفي سنة: (799هـ-1396م)

23- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر .

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفي سنة (774هـ-1373م) .

24- البداية والنهاية، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، (1408هـ-1988م)، عدد الأجزاء14.

25- طبقات الشافعيين، تحقيق: أنور الباز، نشر: دار الوفاء- المنصورة، الطبعة الأولى، (1425هـ-2004م).

ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى، المتوفي سنة (711هـ-1312مـ).

26- لسان العرب الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، (1414هـ-1993م) عدد الأجزاء: 15.

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم، المتوفي سنة (697ه-1298مـ)

27- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جـ 1، جـ 2، جـ 3: الدكتور جمال الدين الشيال؛ جـ 4، جـ 5: الدكتور حسنين محمد ربيع، الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - المطبعة الأميرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، عام النشر: (1377هـ-1957 م)، عدد الأجزاء: 5.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر المعروف بأبى الفداء، صاحب حماة المتوفي سنة (732 ه-1332مـ).

28- تقويم البلدان، دار صادر بيروت.

أبي شامة: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، المتوفي سنة (665هـ-1267م).

29- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة

الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى(1418 هـ- 1997 م) عدد الأجزاء: 5

30- تراجم رجال القرنين السادس والسابع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (1422هـ-2002م)

أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفي سنة (241هـ-855 م).

31- فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1(1403هـ - 1983م) عدد الأجزاء2

البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المتوفي سنة (256هـ-870م)

32- الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، (1422هـ-2001م) عدد الأجزاء: 9.

البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي المتوفي سنة (487هـ-1094م)،

33- المسالك والممالك، نشر: دار الغرب العربي عام النشر: (1413 هـ- 1992 م) عدد الأجزاء: 2

الجوذري: أبي علي منصور العزيزي الجوذري، المتوفي سنة (390ه-1000م)

34- سيرة جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي.

الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفي سنة (626هـ-1229م).

35- معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، (1415هـ-1995م)، عدد الأجزاء:7.

36- (معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، (1414هـ-1993م)، عدد الأجزاء: 7.

الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، المتوفي سنة (900هـ-1495م).

37- الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، (1400هـ-1980م)، عدد الأجزاء: 1.

خسرو: أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، المتوفي سنة (481هـ-1088م).

38- سفرنامة، تحقيق: يحيى الخشاب، الناشر: دار الكتاب الجديد – بيروت، الطبعة: الثالثة.

خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، المتوفي سنة (1067هـ-1941 م) .

39- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مكتبة المثنى – بغداد، طبعة (1360هـ-1941م)

ادفوي: جعفر بن ثعلب الأدفوي، المتوفي سنة:(748هـ-1347م)

40- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، نشر: المطبعة الجمالية - القاهرة

(1333هـ-1914م).

الذهبى: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المتوفي سنة: (748هـ-1347م).

41- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المحقق: بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى (1424هـ-2003م)، عدد الأجزاء: 15.

42- سير أعلام النبلاء، الناشر: دارالحديث- القاهرة، (1427هـ-2006م) عدد الأجزاء: 18.

43 - العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت عدد الأجزاء: 4

44- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى

(1417هـ- 1997م).

45- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى (1419هـ-1998م)

الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المتوفي سنة (666هـ-1268م).

46- مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – الطبعة: الخامسة، (1420هـ-1999م).

الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، المتوفي سنة (1396هـ-1976م).

47- الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة: الخامسة عشر(1426هـ-2005م).

السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المتوفي سنة (771هـ-1369م)

48- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، (1413هـ-1992م).

السَلامي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي، المتوفي سنة (795هـ-1393م)

49- ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى (1425هـ-2005 م).

السيوطى: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفي سنة. (911هـ-1506م)

50- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة: الأولى (1387هـ-1967 م)، عدد الأجزاء: 2.

الشيرازي:أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، المتوفي سنة (476هـ- 1083م).

51- طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى

(1389هـ-1970م).

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المتوفي سنة (764ه-1363مـ)

52- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، طبعة (1420هـ- 2000م)عدد الأجزاء:29 .

قطب الدين: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، المتوفي سنة (726هـ-1326م)

53- ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية (1413هـ-1992م)، عدد الأجزاء:4.

القرشي: محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، المتوفي سنة (775هـ-1373م)

54- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، نشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي الفزاري القلقشندي، المتوفي سنة (821هـ-1418م).

55- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، المحقق: إبراهيم الإبياري، الناشر: دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، الطبعة: الثانية، (1400هـ-1980م)، عدد الأجزاء: 1.

56- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: 15.

57- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستارأحمد فراج، نشر: مطبعة حكومة الكويت، الطبعة: الثانية (1405هـ 1985-م)، عدد الأجزاء: 13.

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري، المتوفي سنة (355ه-966مـ).

58- كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (1424هـ -2003م)، عدد الأجزاء:1.

العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفي سنة (852هـ 1264م).

59- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد العيد، نشر: دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثانية (1392هـ-1972م) عدد الأجزاء:6.

عمارة بن علي بن زيدان الحكمي اليمني، أبو محمد، نجم الدين، المتوفي سنة (569هـ - 1174م)

60- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى تصحيحه: هرتويغ درنُبرغ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس-(1314هـ - 1897م).

المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، المتوفي سنة: (381هـ-991م).

61- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الناشر: دارصادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة: الثالثة (1411ه-1991م).

المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، المتوفي سنة (845هـ-1442م)

62- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء؛ الجزء الأول تحقيق: جمال الدين الشيال،

الجزء الثاني والثالث، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد؛ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي؛ الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 3

63- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى (1418هـ-1997م) عدد الأجزاء: 4

64- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى (1418هـ-1997م) ، عدد الأجزاء: 8.

65- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، نشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية (1427 هـ - 2006 م)، عدد الأجزاء: 8.

النابلسي: أبوعثمان الصمدي الشافعي، المتوفي سنة (640هـ-1243م).

66- تاريخ الفيوم وبلاده، القاهرة، المطبعة الأهلية، طبعة (1315هـ-1898م).

النويرى: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري المتوفي سنة (733هـ-1333م).

67- نهاية الأرب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى (1423هـ-2002م)، عدد الأجزاء: 33.

مخلوف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، المتوفي سنة (1360هـ-1941م).

68- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة (1424هـ-2003 م).

ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري، المتوفي سنة (799هـ-1396م).

69- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر.

مجير الدين العليمي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي، المتوفي سنة (928هـ-1522م).

70- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، نشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى (1431هـ-2011م).

ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المتوفي سنة (833ه-1429م).

71- غاية النهاية في طبقات القراء، نشر: مكتبة بن تيمية، الطبعة: الأولى (1351هـ-1932م)، عدد الأجزاء:3.

اليافعي: عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، المتوفي سنة (768هـ-1367م).

72- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (1417هـ-1997م).

ثانيًا- المراجع العربية:

إبراهيم جابر الجابر:

1- النقود العربية الإسلامية في متحف قطر الوطني، المطبعة الأهلية، قطر، ط (1412ه-1992م).

أحمد خلف فندي سبعاوي:

2- الخدمات الوقفية من خلال كتاب الخطط المقريزية، دار الكتاب الثقافية.

أحمد عبد العزيز محمود:

3- إجحاف بحق المجاهد صلاح الدين الأيوبي، مكتب التفسير للنشر-أربيل، ط 1 (1431ه-2010م).

أحمد السيد الصاوي:

4- مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (1408ه-1988م).

أحمد محمد حلمي محمد:

5- الحياة العلمية في مصر والشام، المجلة التاريخية المصرية، (1377ه-1958م).

أحمد معمور العسيرى:

6- موجز التاريخ الإسلامي، ط (1416ه-1996م).

أحمد مختار العبادى:

7- في التاريخ العباسي والفاطمي؛ دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

أحمد فؤاد السيد:

8- تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط1 (1422ه-2002م).

إصلاح خطاب محمد:

9- المكتبات المدرسية في مصر والشام في العصر الأيوبي، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط (1429ه-2009م).

السيد الباز العريني:

10- الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الأيوبيون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

السيد عبد العزيز سالم:

11- التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، ط (1434ه-2013م).

12 - دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، مؤسسة شباب الجامعة، ط (1424ه-2004م).

13- تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، ط (1422ه-2002م).

14- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار المعارف بمصر، ط (1380ه-1961م).

أمجد حافظ حسين طاعة:

15- العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين في مصر وبلاد الشام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، (1433ه-2012م).

أيمن شاهين سلام:

16- المدارس الإسلامية في مصر ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه، كلية الأداب، جامعة طنطا، (1419ه-1999م).

أيمن فؤاد السيد:

17- الدولة الفاطمية في مصر، الدار المصرية اللبنانية، ط (1412ه-1992م).

18- القاهرة خططها وتطورها العمراني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1436ه-2015م).

إيناس حسني البهجي:

19- تاريخ الدولة الفاطمية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان- الأردن، ط1 (1438ه-2017م).

جمال بدوى:

20- الفاطمية دولة التفاريح والتباريح، دار الشروق، ط 1 (1424ه-2004م).

جمال الدين الشيال:

21- تحقيق مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط (1422ه-2002م).

22- دراسات في التاريخ الإسلامي، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ط1 (1420ه-2000م).

23- تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف.

جمال علي خليل:

24- الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، ط (1415ه-1995م).

حسن إبراهيم حسن:

25- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المطبعة الأميرية، ط (1350ه-1932م).

26- المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، ط (1366ه-1947م).

حسن الأمين:

27- صلاح الدين الأيوبيين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، دار الجديد، ط (1415ه-1995م).

حسين مؤنس:

28- أطلس تاريخ الإسلام، نشر: الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، ط(1407هـ-1987م)

حسني محمد السعود:

29- دور المساجد والمدارس في حركة التعليم في مصر، وبلاد الشام خلال العصر الأيوبي، كلية التربية، جامعة الأزهر، (1431ه-2010م).

حمدي عبد المنعم محمد حسين:

30- محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، ط (1425ه-2005م).

31- الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية، ط (1425ه-2005م).

32- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، ط (1420ه-2000م).

خالد عبد الرحمن القاضي:

33- الحياة العلمية في مصر الفاطمية، الدار العلمية للموسوعات، ط1 (1428ه-2008م).

خالد عودة محمد:

34- الموارد والنفقات في مصر خلال العصر الفاطمي، جامعة آل البيت، ط (1438ه-2017م).

خضير نعمه هادي:

35- مصادر تمويل التعليم من بيت المال في العصر الفاطمي، الجامعة المستنصرية.

رأفت عبد الحميد:

36- الملك الكامل الأيوبي، دار الفكر العربي، ط (1426ه-2006م).

رشا خليل أحمد علي:

37- الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، (1430ه-2010م).

زكى محمد حسن:

38- كنوز الفاطميين، مكتبة دار الكتب المصرية، ط (1355ه-937م).

زنوبة نادى مرسى:

39- محاضرات في تاريخ وحضارة الفاطميين، دار الثقافة العربية.

سحر السيد عبد العزيز سالم:

40- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، ط (1424ه-2004م).

41- تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، ط (1423ه-2002م).

سعاد ماهر محمد:

42- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

43- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط (1391هـ-1971م).

44- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية- القاهرة، ط (1416ه-1996م).

سلام شافعي محمود:

45- أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1415ه-1995م).

سمير حسين عبد الكريم:

46- خلفاء صلاح الدين عند ابن واصل في كتابه " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب "، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، (1433ه-2013م).

سناء رفعت محمد الرفاعي:

47- الفكر التربوي في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه، كلية الدراساة العليا، الجامعة الأردنية، (1426ه-2006م).

سيدة إسماعيل الكاشف:

48- مصر في عهد الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ط (11369ه-1950م).

شوكت عارف الأتروبي:

49- الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، نشر: دار دجلة، ط1 (1427ه-2007م).

صبحي عبد المنعم:

50- تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين، العربي للنشر والتوزيع، ط (1424ه-2994م).

عارف تامر:

51- المعز لدين الله الفاطمي، دار الأفاق الجديدة - بيروت، ط (1402ه-1982م).

عبد الرحمن زكي:

52- موسوعة القاهرة في ألف عام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط(1389هـ-1969م).

عبد الله فياض:

53- تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري، مطبعة أسعد – بغداد، ط (1389ه-1970م).

عبد الخالق عبد الخالق يوسف:

54- البلاط الأيوبي مركزًا علميًا وثقافيًا، مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق.

عبد الغني محمود عبد العاطي:

55- التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، ط2 (1422ه-2002م).

عبد اللطيف حمزة:

56- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والممبوكي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1436ه-2016م).

عبد الله ناصح علوان:

57- صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين، دار السلام للطباعة.

عبد المنعم عبد الحميد عثمان:

58- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، مركز الإسكندرية للكتاب، ط3 (1429ه-2009م).

عبد المنعم ماجد:

59- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، ط4 (1414ه-1994م).

60- الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، ط (1417ه-1997م).

على إبراهيم حسن:

61- تاريخ جوهر الصقلي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2 (1382ه-1963م).

علي بيومي:

62- قيام الدولة الأيوبية في مصر، دار الفكر العربي، ط (1371ه-1952م).

علي محمد الصلابي:

63- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة- بيروت، ط1 (1428ه-2008م).

عماد صالح شيخ العيد:

64- حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، (1434ه-2014م).

عيسى محمد سليمان :

65- القضاء في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، (1425ه-2005م).

فاطمة محمد سعيد محمد:

66- النظم المالية في مصر في العهد الفاطمي، رسالة دكتوراه، (1412ه-1992م).

قاسم عبده قاسم:

67- في تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (1430ه-2010م).

ليلى عبد الجواد إسماعيل:

68- تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، دار الثقافة العربية- القاهرة.

محمد إبراهيم الداوودي:

69- تمويل المدارس في العصر الأيوبي، مجلة كلية التربية بورسعيد، يناير (1430ه-2010م).

محمد أحمد هربود:

70- أبرز من تولى الحكم ومنصب قاضي القضاة في عهد الدولة الأيوبية في مصر والشام، كلية التربية- جامعة تكريت، (1436ه-2016م).

محمد جمال الدين سرور:

71- تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي.

محمد زغلول سلام:

72- الأدب في العصر الفاطمي الكتابة والكتاب، منشأة المعارف بالإسكندرية.

محمد سهيل طقوش:

73- تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط7 (1429ه-2009م).

74- تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقيا ومصر وبلاد الشام، دار النفائسن، ط (1427ه-2007م).

75- تاريخ الأيوبيين في مصر والشام وإقليم الجزيرة، الناشر: دار النفائس، ط 2 (1428ه-2008م).

محمد فتحي الشاعر:

76- الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، ط (1417ه-1997م).

محمد هادي الأميني:

77- عيد الغدير في عهد الفاطميين، مكتبة الروضة الحيدرية .

محمود محمد خلف:

78- ثورات المصريين في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1432ه-2012م). **نريمان عبد الكريم أحمد:**

79- المرأة في مصر في العهد الفاطمي، الهيئة المصروئية العامة للكتاب، ط (1413ه-1993م).

نهلة أحمد عبد الباقي أحمد:

80- دور المرأة في مصر في العهد الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ط (1430ه-2010م).

وفاء محمد علي:

81- قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، ط (1406ه-1986م).

اكستريم للعملات:

82- الدولة الفاطمية وعملاتها، الشبكة العنكبوتية.

ثالثًا: المصادر الأجنبية

البيرشاندور:

1- صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، ترجمه عن الفرنسية: سعيدأبو الحسن،

تحقيق: نديم مرعشلي، نشر: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط2 (1413ه-1993م).

فرحات الدشراوي:

2- الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط (1414ه-1994م).

فرهاد دفتري:

3- تاريخ الإسلام الشيعي، ترجمه إلى العربية: سيف الدين القصير، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط (1437ه-2017م).

عبد الرحمن عزام:

4- صلاح الدين وإعادة المذهب السني، ترجمة: قاسم عبده قاسم، مؤسسة قطر للنشر، ط2 (1433ه-2011م).

نيل دي ماكنزي:

5- القاهرة الأيوبية، ترجمة: عثمان محمد عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1 (1427ه-2007م).